﴿ فهرس كتاب المنتخب من كنايات الادباء واشارات البلغاء ﴾

صحيفه

صحيفة

المنتخب

من كنايات الادباء واشارات البلغاء

للقاضي أبي العباس احمد بن محمد الجرجاني الثقفي
المتوفى سنة ٤٨٢ هجريه

(ويليه) كتاب الكناية والتعريض

لابي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي المتوفى سنة ٤٣٠

عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني الحلبي

﴿ الطبعة الأولى ﴾

سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م
على نفقة احمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه بمصر والاستانه

(طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)
لصاحبها محمد اسماعيل

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه نتوكل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حمداً لك اللهم أن جعلت اللغة العربية أحسن اللغات وأفصحها، وعباراتها أدل العبارات على المقصود وأوضحها، وأنزلت بها القرآن العربي، والمعجز النبوي الأحمدي، لتحتم على المسلمين اقتفاء كلام العرب، واستقراء أندية الادب، ليتدرجوا لمعرفة إعجاز القرآن، واستخراج ما أودع من سر البيان، والاطلاع على حقائق ألفاظه ومعانيه، والاشراف على ما كلفوا به من أوامر الشرع ونواهيه، ويتوصلوا به للخلاص من رق الجهالة، والفكاك من أسر الردى والضلالة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح من نطق بالضاد المختص بالرساله، الذى قد أنقذنا بنور هدايته من ظلمات الغواية والضلاله، وعلى أهله نجوم الاهتداء، وأصحابه مصابيح الاقتداء، مالمع بارق، وذر شارق، ومانص خطيب، وما تحرك فنن رطيب، ﴿أما بعد﴾ فان لهذه اللغة من الفضيلة ما أشرت اليه ومن المزية ما نبهت عليه، ولو لم يكن لها ذلك لكان فى اختصاصها من سائر اللغات، وتفردها عمن سواها من العبارات، بما تحويه من رشاقة ألفاظها وسلاستها وعذوبتها، وما تشتمل عليه من الحقيقة والمجاز، والبسط والايجاز، والاقتصار فيها على اللمحة، والاستغناء منها باللمعة، والاكتفاء بالاشارة عن العبارة، وعن الصريح بالكناية وعن الحقيقة بالاستعارة، والفرق منها بين التذكير والتأنيث فى الخطاب، والفصل بينهما فى تصاريف وجوه الاعراب، الى غير ذلك من معان هي عليها مقصورة، وفيما عداها من اللغات مفقودة، مايبعث كل ذي همة أبية، ونفس علية، على سلوك منهاجها، والتخرق في فجاجها، والتأدب بآدابها، والتعلق

باهدابها، وإحكام أصولها، وإتقان فروعها • ولم أزل في العنفوان، والى حيث انتهى العمر والزمان • مشغوفاً بكنايات الادباء • مفتوناً باشارات البلغاء • أعقل ضوالها • وأضم شواردها، وأقيد أوابدها، وأنظم فرائدها، حتى عثرت على الجم من الكنايات الفائقة • والاشارات الرائقة • والنوادر البديعة • والرموز المليحة • والمعاني المبتكرة • والنكت المحررة • والالفاظ المحبرة • وعلى ما يليق بها من الحكايات الانيقة • والاشعار الحسنة الرقيقة • ماعلك السمع والبصر اعجابه • ويرفع عن القلب للاصغاء حجابه • ويغني عن زهر الرياض حسنه • وعن فتيق المسك نشره • فمن تأمله ازداد حرصاً على تأمله وتصفحه مستعيداً ما يستحليه من فوائده • ومما يبعث على الشغف به انه من التصانيف مبتكر ومخترع وطريقة لم أسبق اليها • ولم أزاحم من قبلي عليها • وهي عذراء بكر • لم يفترعها فكر • وها أنا أبتدئ الكتاب المذكور بذكر شئ من فوائده • ونبذ من مقاصده ليكون عنواناً ينبئ عما في ضمنه • ورائداً لمن رام ان يطلع قبل تصفحه على حسنه • • فمن فوائده التحرز عن ذكر الفواحش السخيفة • بالكنايات اللطيفة • وابدال ما يفحش ذكره في الاسماع • بما لا تنبو عنه الطباع • قال تعالى (واذا مروا باللغو مروا كراما) أى كنوا عن لفظه ولم يوردوه فانهم أكرموا أنفسهم عن التلفظ به كما روى عن بنت اعرابي صرخت صرخة عظيمة فقال لها أبوها مالك قالت لدغني عقرب قال لها أين قالت في الموضع الذي لا يضع فيه الراقي أنفه وكانت اللدغة في احدى سوأتيها فتنزهت بذكرها عن لفظها • • ومنها ترك اللفظ المتطير من كره الى ماهو أجمل منه كقولهم لعق فلان أصبعه • واستوفى أكله • ولحق باللطيف الخبير • يكنون به عن الموت فعدلوا الى هذه الالفاظ تطيراً من ذكره بلفظه • • وكقولهم للمهلكة مفازة تفؤلا بذكرها • • ومنها الكناية عن الصناعة الخسيسة بذكر منافعها كما قيل للحائك ما صناعتك قال زينة الأحياء وجهاز الموتى وكما قال ابن الباقلاني

أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجاً الى ضوء ناره فمنهم قيام حولها وقعود

• • ومنها القصد الى الذم بلفظ ظاهره المدح كقول العرب أرانيه الله أغر محجلا أى مقيداً فظاهر اللفظ المدح وباطنه الذم • • ومنها الأمور الجارية بين البلغاء والادباء

ومداعباتهم بمعاريض لا يفطن لها البلغاء كما في الروضة عن المبرد انه حكى ان رجلا من تميم قال لشريك النميري مافي هذه الجوارح أحب اليك من البازي قال نعم اذا كان يصيد القطا وكل منهما قصد مقصداً فهمه الآخر . ومنها التوسع في اللغات والتفنن في الالفاظ والعبارات فانا اذا كنينا عن الملوك بقوم موسى وعن الشفيع المقبول بالشفيع العريان وعن المشهور أمره بقائد الجمل وعن الشيخ بقائد العنز وعن جامع كل شيء بسفينة نوح وعن الكثير السفر بخليفة الخضر وعن الكذاب بالفاختة وعن النمام بالزجاجة اتسعت عبارة المتكلم بها وكثرت ألفاظه الى غير ذلك واعلم ان الاصل في الكنايات عبارة الانسان عن الافعال التي تستر عن العيون عادة من نحو قضاء الحاجة والجماع بألفاظ تدل عليها غير موضوعة لها تنزها عن ايرادها على جهتها وتحرزاعما وضع لاجلها إذ الحاجة الى ستر اقوالها كالحاجة الى ستر أفعالها فالكناية عنها حرز لمعانيها قال تعالى (ولكن لاتواعدوهن سراً) فكنى عن الجماع بالسر لانه يكون بين الآدميين على السر غالباً وما عدا الآدميين لايسره إلا الغراب فانه يسره قال أبو الطيب .

ستر النعما ستر الغراب سفاده فبدي وهل يخفى الرباب الهاطل

وحكى أن الريان الوزير أسر الى أبي علي الحاتمي كلاماً فقال ليكن عندك أخفى من سفاد الغراب ومن الراء في كلام الالثغ فقال نعم ياسيدنا ومن ليلة القدر وقد علم كل ذي خبر صحيح ولب صريح ان القائل

اذا شربت ثلاثا وحان وقت مقيلي
جعلت أصبع بطني في عين ظهر خليلي

وان كان قد أسخن عينه ماذكره بهذه الكناية الشليعة فهي أقل شناعة وبشاعة من قول والبة بن الحباب حيث يقول

وقل لساقينا على خلوة أدن كذا رأسك من راسي
ونم على وجهك لي ساعة اني امرؤ أنكح جلاسي

من أجل أن والبة صرح به وتلفظ باللفظ الموضوع له فكان هذا سببا لتقصير الناس منه وتزهيدهم في معاشرته مع غزارة علمه ووفور أدبه .. وحكي اسحق الموصلي قال قال المهدي

لعمارة بن حمزة من أرق الناس شعراً قال والبة حيث يقول

ولها ولا ذنب لها حب كأطراف الرماح
فى القلب تجرح دائباً فالقلب مجروح النواحي

قال صدقت والله قال قلت فما منعك عن منادمته وهو عربي صرف قال يمنعني قوله ـ وقل لساقينا ـ البيتين أفتريد أن أكون من جلاسه على هذه الشريطة فقلت لا أنتهي

وهذه مقدمة كافية وبلغة شافية في الاستدلال من عنوان هذا الكتاب على ما فيه والاطلاع من فاتحته على مطاويه وأنا أبين مع ذلك عدة أبوابه وأبينها فى أولها زيادة في بيانه فبلغ أبوابه أربعة وعشرون باباً (الاول) فى الكنايات الواردة فى القرآن والآثار (الثانى) فى الكناية عن الزنا وما يتعلق به (الثالث) في الكناية عن الجماع والآلة وقوتها وضعفها (الرابع) فى الكناية عن الصفات كالثيوبة والبكارة (الخامس) فى الكناية عن اتيان النساء في المواضع المنهي عنها (السادس) فى الكناية عن الاجارة والمواطة (السابع) في الكناية عن التخنيث والجلد والسحق (الثامن) في الكناية عن البغاء والابنة (التاسع) فى الكناية عن قلة غيرة الأزواج (العاشر) في الكناية عن القيادة (الحادى عشر) فى الكناية عما ينقض الوضوء كريح (الثاني عشر) في أنواع من الكنايات (الثالث عشر) فى العدول عن الالفاظ المتطير بها (الرابع عشر) في التخلص من الكذب بالتورية (الخامس عشر) فى الكناية عن الصفة الخسيسة (السادس عشر) فى وصف الاشياء بغير صفتها (السابع عشر) في تأدية المعانى الى المخاطب بما يخفى على الحاضر (الثامن عشر) فى ألفاظ باطنها خلاف ظاهرها (التاسع عشر) فى الرموز الجارية بين الادباء فى المداعبات العشرون فى المسمى والمكنى (الحادى والعشرون) فى الكناية عن الأطعمة والمأكولات (الثانى والعشرون) فيمن تمثل بشعر كناية عن أمر (الثالث والعشرون) فى كنايات مختلفة وفنون متفرقة (الرابع والعشرون) في ألفاظ متخيرة تجرى مجرى الكنايات

﴿باب الكنايات الواردة في القرآن والآثار﴾

قال الله تعالى في صفة المسيح عليه السلام (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) فكنى بأكل الطعام عن الغائط والبول لانها بسبب منه اذلا بد لمن كل منهما والعرب تسمي الشيء باسم الشيء اذا كان منه بسبب فتسمي النبت الندى لانه به يكون وتسمى الشحم الندي لانه من الكلاء قال الشاعر

كثور الفرات الفرد يضربه الندى تعلى الندي في متنه وتحدرا

وفي قوله تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) أي لفروجهم فكنى عنها بالجلود على ماذكره أهل التفسير وقال تعالى (أولامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا) فكنى بالملامسة عن الجماع اذ لايخلو منها غالباً وروي عن ابن عباس انه قال ان الله حي كريم يعفو ويكنى عن الجماع بالملامسة وكذلك الغائط كنى به عن النجو وهو إسم المكان المنخفض من الأرض وكانت العرب اذا أرادت قضاء حاجتها أبعدت عن العيون الي منخفض فسمي بذلك لكثرة استعماله فصار بمنزلة الصريح كالمباشرة كنى بها عن الجماع لما فيه من التقاء البشرتين وقال تعالى في آية الصداق (وكيف تأخذونه وقد أفضي بعضكم الى بعض) فكني بالافضاء عن الدخول وقيل عن الخلوة والأول أصح لان العرب انما تكنى عما يقبح ذكره في اللفظ ولا يقبح ذكر الخلوة ٠٠ وورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من كشف قناع امرأة وجب لها المهر يكنى عن الدخول بكشف القناع لانه يكشف في تلك الحالة غالباً والعرب تقول في عفة الانسان ماوضعت مومسة عنده قناعا ٠٠ وروى أيضاً ان امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفاعة طلقني وبت طلاقي وتزوجت بعبد الرحمن ابن الزبير وليس معه إلا مثل هدبة الثوب فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم تريدين أن ترجعي الى رفاعة لاحتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فكني بذلك عن الجماع وقيل أراد قطعة من عسل كما قيل ذو الثدية وأريد قطعة من ثدي ٠٠ وروي أن رجلا قال للشعبي ماتقول فيمن قبل أم امرأته فقال أعن صبوح ترقق حرمت عليه امرأته وأراد عن فجور تكني فكان السؤال كناية وجواب الشعبي اشارة تحسيناً للفظ والأصل في

قوله أعن صبوح ترقق ماحكاه المفضل قال نزل رجل بقوم فأضافوه وأغبقوه فلما فرغ قال اذا أصبحتموني غداً فكيف آخذ فى حاجتي فقيل له أعن صبوح ترقق والصبوح هو الغداء وانما أراد الضيف بقوله هذا أن يوجب عليهم الصبوح فصار ذلك مثلا لكل من كنى عن شئ وهو يريد غيره ‥ وفى حديث عائشة رضي الله عنها أن النبى صلي الله عليه وسلم كان يصيب من الرأس وهو صائم وانما كنت عن القبلة ‥ وروت أيضاً قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل وهو صائم وكان أملككم لاربه انتهى ‥ ويكني عن النساء باللباس كما في الآية لما فيه من الملابسة وهو الجماع والاختلاط أنشد ابن عرفة للجعدي

اذا ماالضجيع ثني عطفه　　　ثنت وكانت عليه لباسا

وبالحرث أيضاً كما فى الآية وكما فى قوله

اذا أكل الجراد حروث قوم　　　فحرثي همه أكل الجراد

وبالقوارير كما روى انه ص عليه السلام بانجشة وهو يحدو بنساء العرب وكان حسن الصوت فقال يا أنجشة رفقاً بالقوارير قال ابن دريد أي لاتحسن صوتك فان النساء قلوبهن في رقة القوارير ‥ ويكنى عنهن بالريحان قال ابن قيس الرقيات

لا أشم الريحان إلا بعيني

أى أقنع من النساء بالنظر اليهن ‥ ويكني أيضاً بالسرحة قال حميد بن ثور

أبى الله الا ان سرحة مالك　　　على كل أفنان العضاه تروق

فيا طيب رياها وبرد خلالها　　　اذا حان من حامي النهار وديق

وهل أنا ان عللت نفسى بسرحة　　　من السرح مسدود على طريق

وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لخوات بن جبير الانصاري رضى الله تعالى عنه وهو صاحب ذات النحيين وقصته معروفة ما فعل بعيرك أيشرد عليك اليوم فقال أما منذ قيده الاسلام فلا يارسول الله ‥ وفى حديث عمر اذا التقى الرفغان وجب الغسل والاصل رفغ الفخذ وأراد به اذا التقى ذلك من الرجل والمرأة فكني به عن الجماع ‥ وروي ان امرأة شكت لعمر رضى الله عنه قلة غشيان زوجها لها فقال الزوج أنا أغتسل

عنها في كل شهر مرة فقال عمر في دون ذلك شفاء للعاشق وحل للتائق وقيل في قوله تعالى (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) كناية عن الزناء .. وقيل طرح الولد على زوجها من غيره لان بطنها بين يديها وفيه الحمل .. ويكنى عن النميمة بحمل الحطب قال تعالى (وامرأته حمالة الحطب) أي نمامة ذكره المفسرون والعرب تقول فلان يحمل الحطب اذا كان نماما وقالوا هو يوقد بين الناس الحطب الرطب وفي معناه يمشي بالحطب الرطب قال الشاعر يذكر امرأة بعدم النميمة

من البيض لم تقبل على حبل لامة ولم تمش بين الناس بالحطب الرطب

.. وأما قولهم فلان وقع في الحظر الرطب فهو بالظاء المعجمة بعدها راء مهملة وهو شجر ذو شوك يحظر به والمراد به انه وقع في شدة وذلك ان الانسان يقع في الشوك المحتظر فيصيبه منه شدة .. ويكنى عن الموت باليقين كما في قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) لانه واقع لامحالة ولذلك قال الحسن البصري مارأيت يقينا لاشك فيه أشبه بشك لايقين فيه من الموت .. ويكنى عن القلب بالثياب كقوله تعالى (وثيابك فطهر) قال عنترة

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

قال القاضي أبو العباس الجرجاني قرأت في أمالي أبي علي الحاتمي اللغوي قال تكنى العرب عن القلب بالثياب مرة وبالجيب أخرى فيقولون فلان ناصح الجيب قال الشاعر

على انه قد رابني مذ جفوتني دنوك من جيبه غير ناصح

وأما قولهم نقي الجيب فليس من هذا وانما هو الجيب المعروف وخص بذلك لانه أول ما يدنس من الثياب حكاه ثعلب وقال غيره يكنى عن الجسم أيضاً بالثياب يقولون فلان دنس الثياب أي الجسم قال

يارب ان عاص بن جهم أو ذم حجاً في ثياب دسم

أي أوجب على نفسه يمينا .. ويقولون فلان طاهر الثياب قال الشاعر

اتوها بأثياب خفاف وأوجه عتاق وأفراس كأنضية النبل

— وأنضية النبل — واحدها نضي وهو السهم قبل ان يراش وينصل فان ريش ونصل فهو

سهم •• ومما يجرى مجرى الكنايات ماروى عنه صلى الله عليه وسلم قال أفضل الاعمال الحالُّ المرتحل قالوا وما الحال المرتحل قال ان تختم القرآن ثم تفتتحه •• ومنها قوله صلى الله عليه وسلم بئست المرضعة وبئست الفاطمة كنى ـ بالمرضعة ـ عن الأمارة ـ وبالفاطمة ـ عن الموت •• وقال شريح القضا جمر فادفع الجمر بعودين قيل أراد بشاهدين وقيل أراد اجتهد فى الحكم فيما يدرأ عنك النار كما يقال يقاتل برمحين ويضارب بسيفين •• ومنها ماروى عنه صلى الله عليه وسلم أيضاً انه قال لعن الله المثلث قيل من المثلث قال الذى يسعى بصاحبه الى سلطان فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه

﴿ باب الكناية عن الزنا وما يتعلق به ﴾

تقول العرب فلانة لاترد يد لامس كناية عن الزانية المطاوعة قال

وما هي إلا نظرة بتبسم فتذبل رجلاها وتسقط للجنب

كذا رواه القاضي أبو العباس والذى يعرف انه موضوع على غير معنى وهما بيتان

وقالوا لها هذا محبك معرض فقالت أري اعراضه أيسر الخطب

وما هو إلا نظرة بتبسم فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

وفي هذين البيتين حكاية ظريفة يروي ان النضر بن شميل صاحب الخليل حضر مع جماعة من الادباء فغنتهم قينة هذين البيتين وأحسنت فطرب الجماعة إلا النضر فالحوا عليه بالعذل فقالت القينة دعوه فاني أعرف عذره انما سببه كون انشادى هذا محبك معرض ولم أقل معرضا ألم يعلم ان عبد الله بن مسعود قرأ وهذا بعلى شيخ فلما سمع النضر ذلك قام وأظهر الطرب انتهي •• وأجاد بعض الكلبيين في قوله

فقالت بحق الله إلا أتيتنا اذا كان لون الليل لون الطيالس

فجئت وماني القوم يقظان غيرها وقد نام عنها كل وال وحارس

فبتنا بليل طيب نستلذه جميعا ولم تقلب بها كف لامس

فتأمل ما كنى به عن العفة وتنزيه النفس وصيانة الحبيب عما يريب لا كالمتنبي القائل

انى على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها

ويستحسن قول حاتم الطائي في الكناية عن العفة

وما تشتكيني جارتي غير انني اذا غاب عنها بعلها لا ازورها

سيبلغها خيري ويرجع بعلها اليها ولم تسبل على ستورها

فكنى باسبال الستر عن الفعل لانه يقع على هذه الصفة غالباً ٠٠ وفي ذلك روى ان من أرخي ستراً أو أغلق باباً وجب المهر ٠٠ وقال الاخطل فى ضد ذلك يهجو رجلا ويرميه بالزنا

سبتنا بمضغ الكلب خرق ثوبه له في ديار الغانيات طريق

شبهه بالنمر لجراءته ولتمزيق الكلب ثوبه بالمضغ لانه يأنس به والعفيف ينكره فلا يأنس به ٠٠ وأنشد أبو تمام لعقيل بن علقمة المرى

ولست بسائل جارات بيتي أغياب رجالك أم شهود

ولاملق لذى الودعات سوطي ألاعبه وريبته أريد

والمختار في المعنى قول مسكين الدارمي

ناري ونار الجار واحدة واليه قبلى تنزل القدر

أعمى اذا ماجارتى برزت حتى يغيب جارتي الخدر

ماضر لى جاراً اجاوره ان لايكون لبيته ستر

وقد ملح ابن طباطبا في الكناية عن العفة حيث يقول

وطربت طربة فاسق متهتك وعفدت صبوة ناسك متحرج

والله يعلم كيف كانت عفتى مابين خلخال هناك ودملج

وهو شبه قول مسلم بن الوليد حيث يقول

مامركب وركوب الخيل يعجبني كمركب بين دملوج وخلخال

هكذا أورده الجرجاني ونسبه لمسلم والصحيح أن البيت للفرزدق يروى أن عبد الملك ابن مروان أحضر الفرزدق وجريراً والأخطل فقال ليصف كل منكم مركباً حتى

أدفعه اليه فوصف جرير فرساً والأخطل ناقة وقال الفرزدق

مامركب وركوب الخيل يعجبني ، كمركب بين دملوج وخلخال

ألذ للفارس المجرى اذا ارتفعت أنفاس أمثالها تجري بأمثال

وأومأ الى جارية رائعة كانت على رأس عبد الملك فقال عبد الملك خذبيدها فقالت الله الله بي ياأمير المؤمنين أتدفعني الى هذا الاعرابي الجافي فقال لينطلق بك فضي وأخذها . . ويكنى عن العفة بالازار وأنشدوا بيت عدي

أجل ان الله قد فضلكم فوق من حكاه صلباً بازار

شاهد على هذه الكناية بأن ـ الصلب ـ الحشب ـ والازار ـ العفاف وقيل الازار كناية عن الفرج يقال عفيف الازار عفيف الفرج والصحيح أن بيت عدى على الصريح ليس على الكناية ومعنى البيت أن الله قد فضلك على كل امرأة وحكاه بالهمزة والصلب والازار على لفظهما الصريح . . ويكنون عن النفس بالازار أيضاً قال ـ فدى لك من أخى ثقة ازاري ـ وأنشد بعضهم والطيبون معاقد الازر

لما مر أحد أهل البصرة وقد عرف مخارج الصوف فسمعه اعرابي فقال ليس كما تظنه انما أراد الطيبون معاقد الازر من الفحشاء انتهي وهذا بيت من أبيات بنت هفان أخت طرفة وهي

لايبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر

النازلون بكل معترك والطيبون معاقد الازر

قوم اذا ركبوا سمعت لهم لغطاً من التأبيد والزجر

والخالطين نحيتهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذى الفقر

هذا ثنائي ماتبقيت لهم فاذا هلكت أجنني قبري

ولم أسمع فى الكناية أبلغ من قول ابن ميادة

وما نلت منها محرما غير انني أقبـل بسا مامن الثغر أفلجا

وألثم فاها تارة بعد تارة وأترك حاجات النفوس تحرجا

ونظيرهذا قول ابن المعتز

فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وهذا بيت من جملة أبيات حسنة أولها

سقى الجزيرة ذات الظل والشجر ودير عبدون هطال من المطر
فطال ماتبهتنى للصبوح بها في غرة الفجر والعصفور لم يطر
أصوات رهبان دير فى كنائسهم سود المدارع نعارين في السحر
مزنرين على الاوساط قد جعلوا فوق الرؤس أكاليلا من الشعر
كم فيهم من رخيم الدل ذي غنج ظبى تفتر عينيه على حور
لاحظته بجفونى طالباً وطراً منه فراجعنى الميعاد بالنظر
وزارني في قميص الليل مستتراً مستعجل الخطو من خوف ومن حذر
فقمت أفرش خدى في الطريق له ذلاً وأسحب أذيالى على الأثر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامة قد قصت من الظفر
فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولاتسأل عن الخبر

من حيث انه كنى عن الفعل بترك ذكره ونبه عليه لان الحال تحتمله ٠٠ ويكني عن المرأة الفاسدة برقة الحافر يقال فلانة رقيقة الحافر حكي عن عاصم بن شبيب انه قال كابد يحيى بن زياد مطيع بن اياس فحلف يحيي في أثناء كلامه بالطلاق فقال مطيع

لاتحلفن بطلاق من أمست حوافرها رقيقه
هيهات قد علم الانا م بانها صارت صديقه

فغضب يحيي وحلف لا يكلم مطيعاً فتهاجرا زمانا ثم تصالحا ٠٠ ومنه قول جحظة من آخر بيت من هذه القطعة

أصبحت فى معشر شلبتهم فرض من الله لازم واجب
منهم صديق عرسه عجب اذا تأملت أمرها عاجب
تحسبها حرة وحافرها أرق من شعر خالد الكاتب

وتقول العامة فى الكناية عن ذلك فلان يستفرخ في برجه أى فاسد النساء قال ابن الرومي

أنت ياشيخ نائم فتنبه وانتصحنى فلست من غشاشك

لك أنثى تزيف في كل برج   وتربي الفراخ في أعشاشك

وتقول العرب في الكناية عن ولد الزنا ابن عجل قال يزيد بن مفرغ الحميرى يهجو عبيد الله بن زياد

شهدت بأن أمك لم تباشر   أبا سفيان واضعة القناع

ولكن كان أمراً فيه لبس   على عجل شديد وارتياع

وتقول فيه أيضاً ابن مطفئة السراج قال الأقيشر الأسدى وقد سماه رجل بلقبه

أتدعونى الاقيشر ذاك اسمى   وأدعوك ابن مطفئة السراج

تناجي خدنها بالليل سراً   ورب الناس يعلم ما تناجى

وتقول أيضاً فيه ابن الطريق أنشد أبو محمد الجوهرى لابى سعيد المخزومي يهجو عبداً

عدو راح فى ثوبى صديق   شريك فى الصبوح وفي الغبوق

له وجهان ظاهره ابن عمرو   وباطنه ابن زانية الطريق

ولابن الرومي أيضاً

يا ابن الطريق ويا ابن ألفى والد   وابن الطريق لصادر ولوارد

مافيك موضع لسعة لبعوضة   الا وفيه نطفة من واحد

ويكنون عنه بقولهم ابن زانية بزيت قال أبو سعيد المخزومي

وأعجب ما رأينا أو سمعنا   هجاء قاله حي لميت

وهذا دعبل كلف معنى   بتسطير الاهاجي للكميت

وما يهجو الكميت وقد طواه الـ   ردى إلا ابن زانية بزيت

وسمعت بعض الادباء يكنى عن النغل بالبيض المحول اشارة الى قول ابن الحجاز فى عبد الصمد بن المعذل

ابن المعذل من هو   ومن أبو ابن المعذل

سألت وهبان عنه   فقال بيض محول

ويكنون عنه أيضاً بيض التراب قال ابن الحجاج

فيا فقع القراقر يوم تبلى   أبوتكم ويا بيض التراب

عذرت الاسد أصليها بنارى مخاطرة فما بال الكلاب

ويكنى عنه أيضاً بالفقعة لانه لاعرق لها ولا أغصان وهي الكمأة البيضاء قال الشاعر

قوم اذا نسبوا يكون أبوهم عند المناسب فقعة فى قرقر

ويكنى عن ابن الزنا بآخر الصك قال ابن الرومي

لك وجه كآخر الصك فيه لمحاة كثيرة من رجال

كخطوط الشهود مشتبهات معلمات ان لست بابن حلال

وأهل المدينة يكنون عن اللقيط بالفرخ ٠٠ وكان جعفر بن يحيي وزير الرشيد يكنى الفضل بن الربيع أبا روح يكنى به عن اللقيط وذلك ان الفرخ يكنى أبا روح يحكى ان الرشيد كان يأكل مع جعفر بن يحيي فوضعت بين أيديهم ثلاثة أفراخ فقال لجعفر يمازحه قاسمني بهذه الافراخ حتى نستوفى أكلها قال قسمة جور أم قسمة عدل قال قسمة عدل فاخذ جعفر فرخين وترك واحداً فقال الرشيد أوهذا العدل قال نعم مي فرخان ومعك فرخان قال وأين الفرخ الآخر فقال هذا واومأ بيده الى الفضل ابن الربيع وكان واقفا على رأسه فقال يافضل لو تمسك بولائنا لنفى عنك هذا ٠٠ قال جراب الدولة وكان الربيع لايعرف له أب وان رجلا من الهاشمية دخل على المنصور فقال له المنصور متى مات أبوك وماكان سبب موته فجعل يقول اعتل رحمه الله بكذا وكذا فقال الربيع كم تترحم على أبيك بين يدى أمير المؤمنين فقال الهاشمى لاألومك فانك لاتعرف حلاوة الآباء فضحك المنصور حتى استلقى وخجل الربيع انتهي ٠٠ ويكنون عن الدعي بقولهم هو عربي من قوارير قال بشار

ارفق بعمرو اذا حركت نسبته فانه عربي من قوارير

واشدد يديك بحماد أبي عمر فانه نبطى من دنانير

قلت حكي أبو عبيدة قال كنت أقود بشارا فمررنا على باهلة فسلم فلم يردوا فالتفت الى وقال من فيهم قلت عمرو الظالمى فنفث وكان اذا أراد الشعر نفث وقال

ارفق بعمرو اذا حركت نسبته فانه عربي من قوارير

اذ جاز آباؤك الأنذال من مضر جازت فلوس بخارى في الدنانير

وكما تشبه نسبة الدعي بالزجاج لضعفه وسرعة تكسره تشبه أيضا بالزئبق قال

وتنقل من والد فى والد فكأن أمك أو أباك الزئبق

وكان بعض الادباء يكنى عن الدعي بالقدح الفرد اشارة الى قول حسان بن ثابت رضي الله عنه

وأنت دعي نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وما أملح ماعرض القائل بهذا البيت حيث قال

أراك تظهر لي وداً وتكرمة وتستطير اذا أبصرتنى فرحا

وتستحل دمي ان قلت من طرب ياساقي القوم بالله اسقني قدحا

يقول اذا استدعيت القدح خيل اليه اني عرضت بهذا الي انه دعي في بنى هاشم ويقال له أيضا المنوط والملصق اشارة الى قول أبي نواس

أيها المدعي سليما سفاها لست منها ولا قلامة ظفر

انما أنت ملصق مثل واو الصقت في الهجاء ظلما بعمرو

ويكنى عنه بالظريف المعمم ٠٠ ورأى عبد الله بن عمر رضى الله عنه زيادا فقال هذا الظريف المعمم ٠٠ ويكنى عنه بالعربى الجديد قال خالد النجار يهجو دعياً

ان كانت الدار اذا زخرفت بالجص والآجر حتي تشيد

وخلطة الوالى وغشيانه وظهر برذون وباب جديد

تثبت في الانصار من يدعي منهم فقد صرت الى ماتريد

لكن رأيت الناس قد أنكروا دعواك فى القول وهذا شديد

إلا بشرط منهم ان رضوا تقول إني عربي جديد

ويقال للمدعي فى بنى هاشم هو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم من الدلدل والدلدل بغلة أهداها المقوقس صاحب الاسكندرية الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أول بغلة رؤيت في الاسلام ٠٠ ويكنون عن الدعى باكارع الاديم قال الفرزدق

وأنت زنيم في كليب زيادة كما زيد فى عرض الأديم الاكارع

وقال آخر

فان قلتم زيد أبونا وأصلنا فاى أديم زيد فيه أكارعه

وللعوفي في وصيف الشاعر أبيات نوردها اعجابا بحسنها وان لم تكن من الكنايات وهي

اما وصيف فنحن نعرفه من غير شك فيه ولا ريب
من عرب السندوب مملكة له سرير فى الملك من قصب
والام تركان قد عرفت من الا ارمن مجلوبة من الجلب
فكيف في ساعة لحقت بقحطان ولكن أوجزت فى الطلب

قوله ـ أوجزت في الطلب ـ ألخص عبارة وألطف اشارة يعرفها المتأمل ٠٠ وألطف ما مجيء به الدعى قول دعبل بن على فى مالك بن طوق حيث يقول

الناس كلهم يسعى لحاجته مابين ذى فرح منهم ومهموم
ومالك ظل مشغولا بنسبته يرم منها خرابا غير مرموم
يبني بيوتا خرابا لا أنيس بها مابين طوق الى عمرو بن كلثوم

ومن أحسن ماقيل فى هذا المعنى قول البردخت الملقى يهجو أبا محلم السعدى

أخادعتك تميم فانخدعت لها أبا محلم والمخدوع مخدوع
لو ان موتى تميم كلهم نشروا وأنبتوك لقيل الامر مصنوع
مثل الجديد اذا مازيد فى خلق تبين الناس ان الثوب مرقوع

﴿ الباب الثالث فى الكناية عن الجماع وعن قوة الآلة وضعفها ﴾

تقول العرب فى الكناية عن دخول الانسان باهله بنى فلان على أهله وأصله ان كل من أراد الزفاف بنى عليها قبة فقيل لكل داخل بان وان كان قد دخل عليها قبله فيقولون دار بانيت قبله قال الشاعر

أيامن لذا البراق اليماني يلوح كأنه مصباح بانى

أراد مصباح بان باهله لانه لايطفأ ٠٠ وفي كتاب بهجة المستفيد عن أبى الفتح المراغى النحوى قال حكي عن ابن عمران الكلابي قال أتاني رجل فقال قد عزمت على التزوج فارفدني فقعلت ثم جاءنى وقد بنى على أهله فقلت

ياليت شعرى عن أبي الغريب اذ بات في مجاسد وطيب
أأغمد المحفار في القليب أم كان رخوا يابس القضيب

فكنى عن الفعل بقوله - أأغمد المحفار في القليب والمجاسد هنا جمع مجسد بضم الميم وهو الثوب المصبوغ بالجساد وهو الزعفران وأما المجسد بكسر الميم فهو الثوب الذى يلى الجسد قال الشاعر

أقول وجنح الدجي ملبد ولليل في كل فج يد
ونحن ضجيعان في مجسد فلله ماضمه المجسد

وحكي ان الصاحب اسماعيل ابن عباد كتب لصاحب له يكنى أبا العلاء وقد بنى على أهله

قلبي على الجمر فيا أبا العلا أهل فتحت المنزل المقفلا
وهل فششت الباب عن قفله وهل كحلت الناظر الاحولا
انك ان قلت نعم صادقا فابعث نثارا يملأ المنزلا
وان تجبنى من حياك بلا أبعث اليك الدوج والمغزلا

فأجاب قضى الأمر الذي فيه تستفتيان وأهل بغداد يقولون كلم فلان زوجته كناية عن الدخول بها ويقال في الكناية عن الفعل بالمرأة رفع كراعها وأشال شراعها والحق قرطها بخلخالها قال

ياحبذا الزور الذي زارني في شهر ذي الحجة من نصفه
بات يعاطيني على خلوة من ريقه خمراً ومن كفه
وكنت فيما بين ذا رىما أدنيت خلخاليه من شنفه

ومن لطيف الكناية في هذا المعنى قوله

يارب ظبي قد طرقت وساده في الليل سرا
ففششت قفلا من عقيـ ق أحمر وسرقت درا

وسمعت بعضهم يكنى عن الفعل فيقول سقاه اللبن يشير به الى قول الفضل بن حيدرة

تحدث قوم بخت الرضيع ولى في الحديث عليهم اذن
وقالوا لقـد نال مايشتهيه بوجه مليح وقد حسن

وأوموا بذاك الى تهمة لسيدة الخيل أم الفتن
فقلت لهم انما أرضعته بدرتها والفتى مؤتمن
فلما تمكن من نفسه تجري فردعليها اللبن

وتكنى العامة عن الفعل فتقول أصلح لها وسوي لها واغمد فيها وحكي أن الكسائي كتب للرشيد

قل للخليفة ماتقول لمن أمسى اليك بحرمة يدلي
مازلت مذصار الأمين معي عبدي يدي ومطيتي رجلي
وعلى فراشي من ينبهني من نومة بقيامه قبلي
أمشي برجل منه ثالثة موقوذة مني بلا رجل
فاذا ركبت يكون مرتدفا قدام سرجي راكباً مثلي
فامنن على بما يسكنه عني وأهد الغمد للنصل

قال فانفذ اليه خمس أفراس وخمسة غلمان وعشر جوار انتهى والبغداديون يقولون في الكناية عن ذلك يحرك سريرها وروى أن عمر رضى الله عنه خرج في بعض الليالي فسمع امرأة تقول

تطاول هذا الليل وازور جانبه وأرقني أن لاخليل ألاعبه
فوالله لولا الله لا شيء غيره لزعزع من هذا السرير جوانبه
ولكنني أخشى الاله وأتقي وأكرم بعلي أن تنال مراكبه

فسأل عمر رضي الله عنه عن زوجها فاذا زوجها غائب فرده انتهى وحكي أبو عثمان المازني قال ذكر عند الاصمعي أن شيخاً راود امرأة فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة أبطأ عليه الانتشار وأقبلت عليه تستعجله وتوبخه فقال لها ياهذه أنت تفتحين بيتاً وأنا أنشر ميتاً وان بينهما لفوتا فقال الأصمعي كم بين هذا وبين هذا القائل

ولي نظرة ان كان يحبل ناظر بنظرته أنثي فقد حبلت مني
فان ولدت مابين تسعة أشهر الى نظرتي ابنا فان ابنها ابني

وتقول العامة يندفه ويحلجه قال أبو نواس

وقد نوركت على ظهره   كأنني طير على برج
وكان منا عبث ساعة   واندفع الحلاج في الحلج

ويقولون يجلي مرآته ويرقع خرقه قال

رأيت أبا خالد مرة   وقد غاب في ذاته الأصلع
فقلت أشيخ كبير ينك   فقال نعم خلق يرقع

ومن الكنايات البديعة ما روي ان أبا الجودي شيخاً شامياً كان مقيما بواسط رفعته امرأته الى القاضي فقالت أصلحك الله أرحني منه والا قذفت نفسي في دجلة فقال له زوجها انها تدل بالسباحة فقال القاضي ماأدرى أيكما أرقع فقال الزوج ان كان ولابد فارقعني انتهى ويقولون ادخل قسه في دبره قال التنوخي

أخذت مني غلامي   لابره لا لغيره
عمرت ديرك لما   نجمت قسى بديره

وقال أحمد بن يونس

هيهات قلي ياربيعه   ماذي الامور الشنيعه
تريد خمسين قساً   وإعمالك بيعه

ويقولون استباح حماه قال أبو القيم الوزير المغربي

تذكركم من ليلة زرتنى   فيها فبتنا فى ازار معا
سكران عريان مباح الحمى   أجلوك حتى الصبح مستمتعا
ولي على نحرك خوف الورى   سطور دمع لم تدع مدمعا

ويقولون ادخل البسرة فى نواتها قال بشر بن هارون النصراني وقد أبدع

قولا لها لاجبرت يا جبره   فقد عكست العينان والخبره
كل نواة فى بسرة خلقت   لم خلقت في نواتك البسره

وقد أطرف أبو الفتح البستي في الكناية عن الفاعل والمفعول في قوله

أفدي الغزال الذى فى النحو كلني   مناظراً فاجتنيت الشهد من شفته
وأبدع الحجج المقبول شاهدها   محققاً ليريني فضل معرفته

ثم انصرفنا على رأى رضيت به الرفع من صفتى والنصب من صفته

ويقولون كان أرضاً أوسقفاً اشارة الي قول أبي نواس

اذا مضي من رمضان النصف تشوق العزف لنا والقصف
واصلح الناي ورم الدف واختلفت بين الغواة الصحف
لوعد يوم ليس فيه خلف فبعضنا أرض وبعض سقف

ومما يكنى به عن ضعف الآلة قول عبادة بن الصامت رضي الله عنه ألا ترون انى لا آكل الى مالوق لى وان صاحبي أصم وأعمي وما يسرنى اني خلوت بامرأة ليست مني بمحرم فكنى عن الآلة بالصاحب وعن ضعفه بعماه وصممه ويكنى عن المتاع بالمفتاح قال ابن الرومي

تركت هناك حياءها وتبدلت شبقاً وعند المفتاح بنسي الداح

وأنشد أبو العباس ثعلب فى ذلك لامرأة

عذبنى الشيخ بألوان السهر بالشم والتقبيل منه والنظر
حتى ماذا كان فى وقت السحر وصوب المفتاح فى القفل انكسر

وحكى ابن دريد قال وقف اعرابي على أبي عبيدة فقال له مايعني الشاعر بقوله

ولقد علوت بمشرف يافوخه رابى المجسة ماؤه يتفصد
مرح يسيل من المراح لعابه فيكاد جلداها به يتقدد
حتى علوت به مشق ثنية طوراً أغوربه وطوراً أنجد

فقال أبو عبيدة يصف فرسا قال الاعرابي حملك الله عليه ويقولون في الكناية عن ضعف الآلة ميزاب بول قال راشد الكاتب في بعض مراثى ذكره من قصيدة

قد كنت حربة نيك فصرت ميزاب بول

ولما كتب سليمان بن عبد الملك الى أمير المدينة ان احص من قبلك من المخنثين فصحف القارىء ان أخص من قبلك فدعاهم وخصاهم فقال أحدهم مافقدت الا ميزاب بول وقال آخر ما كان أغنانى عن سلاح لا أقاتل به وقال آخر هذا الختان الا كبر وقال آخر ما أدري ماحاؤكم وخاؤكم نهبت خصاكم بين الحاء والخاء ويقولون هو قوس نداف قال

راشد الكاتب

ابر تعقف واسترخت مفاصله ... مثل العجوز حناها شدة الكبر
يقوم حين يريد البول منحنيا ... كأنه قوس نداف بلا وتر

وأحسن ماسمع في ضعف المتاع قول راشد المذكور

ينام على كف الفتاة وتارة ... يقوم ولكن لايحس به الكف
كما رفع الفرخ ابن يومين رأسه ... الى أبويه ثم أدركه الضعف

وأطبع ماسمع فيه قول ابن الحجاج

تقول لي وهي غضبي من تدللها ... وقد دعتنى الى أمر فما كانا
ان لم تشكنى نيك المرء زوجته ... فلا تلمنى اذا أصبحت قرنانا
كأن ايرك شمع من رخاوته ... فكلما حركته راحتي لانا

وتقول العامة فى ضد ذلك هو سكين المطبخ أى لايرد أحدا لقوته لان سكين المطبخ يقطع بها كل شيء قال ابن المعتز وهو قريب منه

حبي وثاب الي ذاوذا ... ليس يرى شيأ فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغي ... ويرحم القبح فيهواه

﴿ الباب الرابع في الكناية عن صفات المفعول كالبكارة ﴾

حكي عن بعضهم انه قال لما أنشد الفرزدق سليمان بن عبد الملك قصيدته التى يقول فيها

ألستم عائجين بنا لعنا ... تري العرصات أوأثر الخيام
ثلاث واثنتان وهن خمس ... وسادسة تميل الى شمام
دفعن الي لم يطمثن قبلي ... وهن أصح من بيض النعام
فبتن بجانبي مصرعات ... وبت افض اغلاق الختام

قال سليمان أراك أقررت بالزنا وأنا امام يجب ان أحدك كما قال الله تعالى فقال الفرزدق

كتاب الله يمنعك من ذلك ان كنت تحكم به لان الله تعالي يقول والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر انهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون ثم أنشأ يقول

لقد شهدت لى في الطواسين آية أقام بها عذرى الكتاب المنزل

يقولون مالا يفعلون وانني من القوم قوال لما لست أفعل

قال الفرزدق فيها نجوت وكتب أبو الفضل الميكالي الى كاتب له بنى على أهله

أبا جعفر هل فضضت الصدف وهل اذ رميت أصبت الهدف

وهل جبت ليلا بلا حشمة لطول السرى سدفا في سدف

وحكى بعضهم ان دعبلا دخل على أبي دلف العجلى فامتدحه بقصيدة شكا فيها الغربة فوجه اليه بجارية عذراء فاجتهد دعبل فى افتضاضها طول ليلته فلم يقدر فكتب الى أبي دلف

الله أجرى من الارزاق أكثرها على يديك بخير ياأبا دلف

أعطى أبو دلف والريح عاصفة حتى اذا وقفت أعطى ولم يقف

مايصنع الشيخ بالعذراء يملكها لجودة بين فكي ادرد خرف

ان رام يكسرها بالسن تثلمه وكسرها راحة للهائم الدنف

قال فضحك أبو دلف حين قرأها ووجه اليه بجارية ثيب وقال له بع تلك الجارية وأنفق ثمنها على هذه وأنشدنى بعض الادباء لامرأة تزوجت رجلا عنينا فتشوقت الى زوجها الاول فكتبت اليه

ألا لا أرى ماء المضيح شافيا قلوبا الي أحواض نقعا نزعا

فمن جاء من ماء اليسير بشربة فان له من ماء لينة أربعا

وقد زادني وجداً بنقعاء انني رأيت مطايا بابلية طلعا

فمن مبلغ بالرمل قومي بانني بكيت فلم أنزل لعينى مدمعا

ويقولون باتت فلانة بليلة حرة في الليلة التى تزف فيها فلم يقدر على افتضاضها قال النابغة الذبياني

شمس موانع كل ليلة حرة يخلفن ظن الفاحش المغيار

وتسمي الليلة التي تفترع فيها البكر ليلة شيباء ومع ذلك شابت وقربت فلا تمتنع قال

طيبوها ولم تطيب بطيب   رب منع ألذ من اعطاء
بت في مرطها وباتت ضجيعي   في بصير وليلة شيباء

ويكنون عن البكر بالقلوص والخشب أي لم ترض والخشب السيف ان لم يدبر طبعه وهو الصقل ويكنون عن الثيب بالمطية المذللة وحكي بعض الادباء انه عرضت عليه جارية ثيب فلم يرضها وأنشأ يقول

كم بين حبة لؤلؤ منقوبة   نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب
ماكان يعجبني ركوب مذلل   أشهى المطي الى مالم يركب

وكانت الجارية فارهة أديبة فانشدت تقول

ان المطية لايلذ ركوبها   حتى تذلل بالالجام وتركبا
والدر ليس بنافع أربابه   حتى يؤلف بالنظام ويثقبا

قال فاعجبته فاشتراها ويكنون عن الثيب أيضاً بعجالة الراكب وهو اسم للسويق وذلك ان الراكب قد يستعجل عن النزول والصبر الى حين ادراك العيش فيستف السويق ويجزيه وأنشد ثعلب في الكناية عن المرأة بالمطية من أبيات المعاني

تظل المطايا جائرات عن الهدى   اذا ماالمطايا لم تجد من يقيمها

أراد بها النساء لانها مطاي الرجال وكلما علوت مطاه فهو مطية ولبعض الطائيين يكنى عن الايام والليالي بالمطايا وقد أحسن كل الاحسان ويروي للخليل بن أحمد

سرينا وأدلجنا وكان ركابنا   يسرن بنا في غير بر ولا بحر
وما هي الا ليلة ثم يومها   وحول الي حول وشهر الى شهر
مطايا يقربن البعيد الى البلا   ويدنين أشلاء الكريم من القبر
وينكحن أزواج الغيور عدوه   ويقسمن مايحوى الشحيح من الوفر

يلتظم مع هذا ماأنشده أبو بكر محمد بن القاسم الانبارى لبعض العرب

سبع رواحل مايخن من الونى   سود تساق بسبعة زهر
متعاقبات لاالذؤوب يملها   باق تعاقبها مع الدهر

ولبعضهم

وما هذه الايام الا صحائف   نؤرخ فيها ثم نمحى ونمحق
ولم أر شيئا مثل دائرة المنى   توسعها الآمال والعمر ضيق

وعرض على رجل جاريتان احداهما بكر والاخرى ثيب فمال الى البكر ورغب عن الثيب فقالت الثيب لم رغبت عنى بها دونى ومابينى وبينها الا يوم واحد فقالت البكر وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وسأل رجل جارية فقال لها أنت بكر أم ايش قالت ايش تعنى ثيب ويكنون عن الضيق بعقد تسعين وعن السعة بعقد ثلاثين وقد أبدع عبد الله بن المعلا في غلام له اسمه يوسف

مضى يوسف عنا بتسعين درهما   فعاد وثلث المال في كف يوسف
فكيف ترجي بعد هذا صلاحه   وقد ضاع ثلثا ماله في التصرف

أى انه كان تسعين فصار ثلاثين وقيل للجماز وقد حاش غلاما كيف وجدته فقال وجدته شعرا حسنا لكن قوافيه مطلقة وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يابن المستفرمة بعجم الزبيب والفرم ماتضيق به المرأة فرجها من رامك وعجم زبيب وغيره وكان السبب فى قوله ذلك ان الحجاج قال لانس بن مالك رضى الله عنه حين دخل عليه فى شأن أبيه عبد الله وكان خرج مع ابن الاشعث لا مرحبا ولا أهلا لعنة الله عليك من شيخ جوال في الفتن مرة مع أبي تراب ومرة مع ابن الاشعث والله لاقلعنك قلع الصمغة ولاعصبنك عصب السلمة ولاجردنك جرد الضب فقال أنس رضى الله عنه من يعنى الامير فقال اياك أعنى أصم الله أذنيك فكتب أنس رضى الله عنه بذلك الى عبد الملك بن مروان فكتب الى الحجاج يابن المستفرمة بعجم الزبيب لقد هممت ان آكلك أكلة تهوي بك الى نار جهنم ياأخيفش العينين أصك الرجلين اسود الجاعرتين قوله لاقلعنك قلع الصمغة أي استأصلنك لان الصمغة اذا قلعت بقى مكانها عاريا لا شئ فيه وهو مثل قولهم تركتهم على مثل ليلة الصدر لان الناس اذا صدروا من منى بقى المكان خالياً وقوله لأعصبنك عصب السلمة هو ان الاشجار تعصب أغصانها ثم تخبط بالعصا لسقوط الورق وهشم العيدان ويقولون به آثار ما كول اشارة الى قول القائل

ولن تصادف مرعى مونقاً أبداً إلا وجدت به آثار مأكول

ونظر بعضهم الى صبي حسن الوجه فقال عمارة الاوائل تدل على خراب الاسافل

ويقولون في غلام حسن الوجه سيء المتجرد هو دنيا بلا آخرة فاخره اشارة الى قوله

لاخير في الدنيا اذا لم تكن تتبعها آخرة فاخره
يامن له دنيا بلا آخره دنياك في مقلتك الساحره
قد سال صدغاك فان أعشبا صرت بلا دنيا ولا آخره

ويقال لايشبه العنوان مافي الكتاب ومعناه لايشبه البدن الوجه قال ابن الرومي

ظبيك ياذا حسن وجهه وما سوى ذاك جميعاً يعاب
فافهم كلامي ياأبا مالك لايشبه العنوان مافي الكتاب

ويستحسن قول عباس بن الاحنف في الاستدلال على باطن الكتاب بالعنوان وان لم يكن من الكنايات وجدته في التشبيهات لابن أبي عون منسوبا الى أبي نواس

لاجزى الله دمع عيني خيرا وجزى الله كل خير لساني
نم دمعي فليس يكتم شيئاً ورأيت الفؤاد ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طي فاستدلوا عليه بالعنوان

ولقابوس بن وشمكير في الاستدلال بظهور الزغب بعارض الغلام على كثرة شعر مؤتزره تشبيهاً للزغب بالعنوان ولما في باطنه بباطن الكتاب فقال

اذا زغب في عارضي أمرد بدا فقد ضم فخذيه من الشعر مئزر
ألم تريا أن الكتاب اذا أتى فعنوانه سطر وفي الطي اسطر

﴿ الباب الخامس في الكناية عن اتيان المرأة في الموضع المكروه ﴾

تقول العرب فلان يأخذ الجار بالجار كناية عمن يأخذ امرأته في غير موضع الحرث حكى الأصمعي قال تزوج اعرابي امرأة فأدخلت عليه وهي طامث فجعل يأتيها في دبرها ويقول

أماورب البيت ذي الاستار لاهلكن خلق الختار

هتك غلام ليس بالخوار قد يؤخذ الجار بذنب الجار

الحتار ما استدار بالعين من باطن الجفن وحتار كل شيء ما أحاط به وقال بعض أهل اللغة الجار اسم للفرج فالجار الاول من المجاورة والثاني اسم للفرج واحتج بقول المرار الفقعسي

ولست للام من عبس ومن أسد وانما أنت دينار بن دينار

فان تكن من بنى عبس وأمهم فام عبسكم من جارة الجار

أى من الاست ومعنى البيت الأول أنت عبد ابن عبد لان ديناراً من أسماء العبيد وقد أجابه المرار ما سرنى أن أمى من بنى أسد وان ربي نجانى من النار

جاءت بكم فتحروا ما أقول لكم بالظن أمكم من جارة الجار

والعرب تقول لمن تذمه ولد فلان من الاست كما قال الشاعر

ولا غرو الا ما تحمل سالم بان بني استاهها نذروا دمي

وقال مسلم بن الوليد

يهجو قبيلى ولا أهجو به أحداً ويلى على ابن استها لو عد من نفري

وقد يكنون عن الأست بالصفراء والحمراء قال المتنبي

ولو لم يكن بين ابن صفراء حائل وبينى سوي فتر لكان طويلا

وقال الفرزدق اذا ماقلت قافية شروداً تنحلها ابن حمراء العجان

وانما توصف بالصفراء لوجهين أحدهما أن تكون صفراء للداء الذى بها والثانى أن يصفرها صاحب الداء تحسيناً وترغيباً وقد فسر ابن جني صفراء فى بيت المتنبي بالأمة والصحيح ماذكرنا ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فرأى بين يديه جارية حسناء فنظر اليها الرجل فقال سليمان أعجبتك قال نعم قال قل سبعة أمثال فى الأست وخذها فقال ستة فى الأست من جملتها أست المسؤل أضيق ومن جملتها ضن عليه بالعرق أسته وقال فى السابع لامالك أبقيت ولا حرة انتقيت فقال سليمان ليس هذا من هذا فقال ياأمير المؤمنين أخذت الجار بالجار كما يأخذ أمير المؤمنين الولى بالولى فضحك وأعطاه الجارية وتقدم أن لا يؤخذ المولى بالمولى بعد هذا ويقرب من هذه الحكاية ماحكى عن المأمون انه قال لبعض أصحابه قال كم في البدن من كاف فان أتممت عشرة فلك عشرة

آلاف درهم فقال نعم خذ بكفك كوع وكرسوع وكاهل وكبد وكند وكتف وكلية وكعب وكرش فقال أخطأت لا أم لك لا كرش لابن آدم فأطرق ثم رفع رأسه فقال يا أمير المؤمنين انما هبتك وأجللتك خذ بكفك كمرة فهي تمام العشرة فقال لعنك الله ليتني ماغيرت عليك وأعطاه المال وأما قولهم فلان من ولد الظهر فليس من هذا ومعناه ليس منا قال ابن الاعرابي يقال أنت من ولد الظهر أي لست منا وأنشد

فان غلبوا كانوا علينا أئمة وكانوا بحمد الله من ولد الظهر

والعامة في زماننا يقولون لمن يأتي امرأته في الموضع المكروه يصعد الجبل واعلم ان العرب تكنى عن الفرج بمطلب الأنف ويقولون فلان لا يحمي مطلب أنفه أي فرج أمه قال الشاعر

من كان لا يغضب لمطلب أنفه من امه أو عرسه لم يغضب

وذلك ان الولد اذا تمت أيامه في الرحم كره مكانه وضاق موضعه فطلب أنفه موضع المخرج فيصير فيه ورأسه الى فم الرحم تلقاء الفرج ومعناه من لم يحم فرج أمه وامرأته فليس ممن يغضب لشيء وتقول العامة في الشيء المنهي عنه فلان يقلب السمكة فلان يقلب المائدة أنشدنا الرئيس أبو الحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم قال أنشدني أبي لنفسه

سألت شعثا ولم أحتشم ولم أزل أرفق بالوالده

أمن سلاح هو قالت نعم قد كان نصر يقلب المائدة

ويقولون فلان يقول بالعفص والبلوط اشارة الى قول ابن الحجاج

تناك في سرمها وفي حرها فمام عفص وعام بلوط

ومن نوادر ما جاء في هذا المعنى يحكي ان مزيداً قال لامرأته يداعبها ويلك من أين هذه الاولاد وأنا أقول بقلب المائدة فقالت ويحك اما رأيت سطيحا بكف

﴿ الباب السادس في الكناية عن الاجارة واللواط ﴾

يقولون للصبي اذا آجر وحاش القطع لقط القرطم تشبيها له بالفرخ اذا استقل بنفسه في لقطه وتصرف في طيرانه فكان ذلك سبباً في تدبيقه واصطياده قال ابن الحجاج

كم من رجاء لي في سيدي دحرجته ان لم يكن معلما
والطير لا يثبت الا اذا جعلت في البرج له قرطما

ويقولون ضيعته في سراويله وأنشد

له في سراويله ضيعة كفته التصرف والانزعاجا
ترى الماء يركبها سائحا فيسقي سهولتها والفجاجا
وتمسح بالفيش في كل وقت وتأخذ من ماسحها الخراجا

ونظر بعض الخلفاء الى غلام امرد فقال والله هذا وجه من شم التراب اشارة الى قول ابن الرومي

تعود شم الارض مذ كان طوله كشبر الى ان صار يدخل كالشبر
فلو جئته يوما بتربة بقعة لانباك من أى المواضع عن خبر

ويقال فيه أسجد من هدهد اشارة الى قول ابي منصور الثعالبي

في الحسن طاووس ولكنه أسجد في الخلوة من هدهد

ويقال للصبي اذا حاش القطع من الاجارة وأنفقها في الزنا يأخذ من الطست وينفق على الابريق ويقولون في الكناية عن اللوطي الثفر لملازمته ذلك الموضع من البهيمة وربما قيل الوط من ثفر ويكنون عنه أيضاً بالراهب اشارة الى قوله

والوط من راهب يدعي بأن النساء عليه حرام
يحرم بيضاء ممكورة ويعينه في البضع منها غلام
اذا مشي غض من طرفه وفي الدير بالليل منه غرام

هذه الابيات لابي المهند ذكرها ابن قتيبة في عيون الاخبار ونسبها أبو حيان للجاحظ في رسالته التي عملها بقرطبة وانما قال الوط من راهب لان اللواط عند بعض أصحاب ماني حلال والرهبان يستعملونه ويقولون في الكناية فلان يأخذ الزكاة من الظباء اشارة الى قوله

يا أيها الظبي الذي لحظاته بسيوفها منها القلوب رفات
كملت محاسن وجنتيك فزكها فاجابني ما في الظباء زكاة

ويقولون فيمن يؤثر الصبيان على النساء فلان يزور البيت من خلفه قال الشاعر

قد أمر الله فلا تعصه ان لا يزار البيت من خلفه

وفلان يصلي بظاهر المحراب قال بعض الخلفاء

اني امرؤ أهوى اللواط وأهله ومن الزناء مطهر الأثواب
آتي البيوت من الظهور ولا أرى اتيان بيت من خلال الباب
لا أدخل المحراب وقت فريضة وأرى الصلاة بظاهر المحراب
هذا ولست براكب لسفينة والظهر أسلم ياذوي الالباب

ويقولون في معناه فلان يؤثر الميم على الصاد قال الشاعر

ان ملوك الارض في عصرنا قد فضلوا الميم على الصاد

وأنشد المبرد في كتاب الروضة لخلف الاحمر يهجو رجلا باللواط

أتترك في الحلال مشق صاد وتأتي في الحرام مدار ميم
وتعلو في جبال الحزن ظلما فبئس تجارة الرجل الحكيم

قال الآمدي انما قال خلف هذين البيتين في الكسائي قال وقال خلف كان الكسائي صاحب غلمان وكان يمشي خلفي وأنا أمرد وكان يرمي عقبي بالحصا ثم صار بعد ذلك برسم الشرط في دار السلطان وكان من الادب بمكان وكان الكسائي اذا خرج من الدار وهو اذ ذاك يعلم أولاد الرشيد مشى خلف معه يحادثه ويسأله الى أن يقرب من الدار فاذا عاد يفعل مثل ذلك الى أن يدخل قال وظهر بالكسائي بياض وأمر باختيار رجل يصلح لتأديب ولد الرشيد فقال رجل بالباب يسمى خلفاً يصلح لذلك فنصب له ويقولون في ضد ذلك فلان يري فضل الخمار على العمامة ووصف أبو بكر الخوارزمي رجلا يقول بالصنفين فقال هو قلم برأسين وسكين بنصلين ومسجد بقبلتين يقبض ديوانين ويصيد طيرين ويقال في الكناية عن اللوطى هو على دين يحيي بن أكثم قال الشاعر

أنا الماجن اللوطى ديني واحد واني في كسب المعاصي لراغب
أدين بدين الشيخ يحيي بن أكثم واني لمن يهوى الزنا لمجانب

وكان القاضي يحيي بن أكثم مشهورا باللواط حتى صار يعرف به وهو الذي يقول فيه

أحمد بن أبي سلمة الكاتب

وكنا نرجى أن نرى العزل ظاهراً فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
وهل تصلح الدنيا ويصلح أهلها وقاضي قضاة المسلمين يلوط

ويقول فيه أحمد بن نعيم

أصبح دين الله ثار رممه الله يبليه ويحيي يهدمه
ألوط قاض في البلاد نعلمه مذ ولى الحكم أبيح حرمه
وانهتكت بين القضاة حرمه واضطربت أركانه ودعمه
ياليت يحيي لم يلده أكثمه ولم تطأ أرض العراق قدمه
ملعونة أخلاقه وشيمه أى دواة لم يلقها قلمه

* وأى جحر لم يلجه غيلمه *

وذكر جراب الدولة عن أحمد بن يونس قال كان زيدان الكاتب قاعدا بين يدي يحيي ابن أكثم يكتب فقرص خده فخجل زيدان واحمر وجهه خجلا ورمى القلم من يده فقال يحيي خذ القلم واكتب ما أملى عليك

يا قمرا خمشته فتغضبا وأصبح لى من تيهه متجنبا
اذا كنت للتخميش والعض كارها فكن أبداً ياسيدى متنقبا
ولا تظهر الاصداغ للناس فتنة وتجعل منها فوق خديك عقربا
فتقتل مشتاقا وتفتن ناسكا وتترك قاضى المسلمين معذبا

وقال له المأمون يوما من ذا الذى يقول

قاضي يرى الحد في الزناء ولا يرى على من يلوط من باس

قال له الذي يقول

أميرنا يرتشي وحاكمنا يلوط والرأس شر ماراس
لازمن الجور ينقضى وعلى الا مة وال من آل عباس

فوجم المأمون وقال من هو قال أحمد بن نعيم قال ينفى الى السند ويقال فيه استعمل قلمه في دواته قال أبو محمد بن مطران الشاني وكتب به الي بعض الكتاب

رأيت ظبيا يطوف فى حرمك　أغن مستأنسا الى كرمك
أطمعنى فيه انه رشأ　يرشي ليغشي وليس من خدمك
فاشغله بى ساعة اذا فرغت　دواته ان رأيت من قلمك

ويقال في الكناية بجمع الميم بالقلم قرأت فى بعض كتب الأدب ان حماد عجرد أخذه الربيع مؤدبا لولده الفضل فقال بشار يخاطب أبا الفضل

يا أبا الفضل لاتنم　وقع الذئب فى الغنم
ان حماد عجرد　ان رأى غفلة هجم
بين فخذيه حربة　في غلاف من الادم
فاذا ما خلا بها　يجمع الميم بالقلم

الحكاية على غير هذا وهو ان بشار بن برد وحماد عجرد كانا يتهاجيان فلما قال حماد

وأعمى قرطبان　ما على قاذفه حد
شبيه الوجه بالقرد　اذا ما عمى القرد
اذا ما نسب النا　س فلا قبل ولا بعد

جزع بشار وقال ابداعه لانه مكنى أمر معيشته وسأشغله وكان حماد يؤدب أولاد العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس فكتب بشار الى العباس هذه الأبيات وتداولتها الالسنة فقال المهدى للعباس وهو عمه مالنا والدخول بين هذين الكلبين أخرج ولدك عنه والا وسمك ميسم عار يبقى على الدهر فاخرج العباس ولده عن حماد فاثر ذلك في حاله (ومما يجري) مجرى هذه الحكاية وان لم يكن منها ماحكي ان مؤدبا لبنى مروان يسمي عبد الصمد وكان الخليل بن أحمد في مكتبه فرام منه قبيحا فدخل الخليل للوالي وقال

انه والله لولا أنت لم　ينج مني سالما عبد الصمد

فقال الوالى وما ذاك قال

رام بي جهلا وجهلا بابي　يدخل الافعي الى خيس الأسد

الحكاية على غير هذا الوجه حكى ان سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وفد

وهو غلام على هشام بن عبد الملك وكان وضيء الوجه فاراده عبد الصمد بن عبد الا على مؤدب الوليد بن يزيد على نفسه وكان عبد الصمد لوطيا فدخل سعيد على هشام مغضبا فقال

انه والله لولا أنت لم

الى آخر الابيات فضحك هشام والخيس بكسر الخاء المعجمة الثقب والغار والجحر ويكنون عنه بالتين قال الفرزدق

أهلا بتين جاءني ... مبتسما على طبق

يحكى الصباح بعضه ... وبعضه يحكى الغسق

كسفرة مجموعة ... قد جمعت بلا حلق

أخبرنا القاضي أبو القاسم التنوخي قال أخبرنا أبو عمرو بن حيويه قال أخبرنا محمد بن عمران الصيرفي قال حدثني أحمد بن محمد بن أيوب قال حدثني خلف المرى قال استسقى أبو نواس عمر بن دعبل قنينة من نبيذ وبعث به بغلام من قبله فأخذه عمر وعبث به فقال أبو نواس

قد كنت أستسقيك قنينة ... لاهبة منك ولا عينه

فجدت يا عمرو بقرابة ... صغيرة في قدر قنينه

وبعد ذا ان غلامي أتي ... منك بأمر ظاهر الزينة

يخبرني خجلانه انه ... قد طعن السكين في التينه

فسقني أخري لكى هذه ... لا يعتدي في كفه طينه

قال قوله لا يعتدى في كفه طينة معناه لا يتعدى عليك بختم الحاكم قال قلت ما معنى ظاهر الزينة قال يعنى مكحل مدهن وقريب من ذلك وان لم يكن من الكنايات قول المأمون منهما الرسول بالمرسل اليه

بعثتك مشتاقا ففزت بنظرة ... وأخلفتنى حتي أسأت بك الظنا

وناجيت من أهوى فكنت مقربا ... فياليت شعري عن دنوك ما أغنا

ورددت طرفي في محاسن وجهها ... ومتعت باستمتاع نغمتها اذنا

أري أثرا منها بوجهك بينا　　لقد سرقت عيناك من وجهها حسنا

فياليتنى كنت الرسول وكنتنى　　فكنت الذي تقصى وكنت الذي أدنى

ويقال فى الكناية عمن يقول بالصبيان فلان يصطاد بالدبق لان صغار الطيور تصاد به وأحسن ماقيل فى الاحتجاج في عشق الصغير قول الخالدي أبي عثمان وان لم يكن كناية

صغير صرفت اليه الهوي　　وهل خاتم فى سوى الخنصر

وقال الخبزأرزى

قالوا عشقت صغيرا قلت ارتع فى　　روض المحاسن حتى يدرك الثمر

ربيع حسن دعانى لافتتاح هوي　　لما تفتح فيه النور والزهر

﴿ الباب السابع فى الكناية عن التفخيذ والجلد والسحق ﴾

يقولون في الكناية عن التفخيذ فلان يصطاد من الشط قال أبو نواس

لا أركب البحر ولكننى　　أطلب رزق الله فى الساحل

وفلان يرضى باللحم قال وضاح اليمن

اذا قلت هاتي نوليني تبسمت　　وقالت معاذ الله من حل ماحرم

فما نولت حتي تبدلت حولها　　وخبرتها مارخص الله في اللحم

وفلان يشرب الماء بشهوة النبيذ

لعن الله مبدع التفخيذ　　قد أتي لا أتي بغير لذيذ

أي عيش ولذة لظريف　　شربه الماء شهوة للنبيذ

وفى معناه فلان يطوف بالبيت ولا يدخله ويقولون فى الكناية عن الاستمتاع بالكف فلان جلد عميرة وتزوج راحة بنت ساعد وقد حوى كنة خمس ولائد قال أبو نواس

اذا أنت أنكحت الكريمة كفؤها　　فانكح عميدا راحة بنت ساعد

وقل بالرفا مانلت من وصل حرة　　لها كنة حفت بخمس ولائد

وقال الشاذانى

لي عروس حرة مملوكة حزتها من غير مهر وثمن
ثيب بكر وما ان حبلت ولها خمس بنات في قرن
ان أصلها وصلت طائعة واذا مابنت عنها لم تبن
ضيقة الرحب في منكحها أخريات الدهر في كف الحين

وقرأت في كتاب الجوارى للجاحظ ان أبا نواس أراد ان يخجل عنانا جارية الناطفي فقال

ماذا ترين لصب بكفيه منك فطيره

فقالت

اياي تعني بهذا عليك فاجلد عميره

فقال

اني أخاف وربي على يدي منك غيره

وحكى ان امرأة مزيد جاءت يوما وكانت غائبة فوجدت زوجها يغتسل فكلمته في ذلك فقال كنت غائبة واشتد بي الامس فجلدت عميرة فلما كان في بعض الايام عاد مزيد لداره فوجدها تغتسل فكلمها في ذلك فقال كنت غائبا فجاءتني عميرة فجلدتني ولابي الفرج الاصبهاني

لنعم فتاة الحي ينكحها الفتى عميرة في حالي مغيب ومشهد
مهيرة غلاب وزوجة مفلس وخلة مهجور وأنس لمفرد

ويقال في الكناية عن السحق فلانة تسحق الرأس وتتقي الترس بالترس قال الشاعر ويقال انه لابي العتاهية

لعن الاله سواحق الرأس فلقد فضحن حرائر الانس
أبدين حربا لا طعان بها إلا اتقاء الترس بالترس

وهذا البيتان من أحسن ماسمع في ذلك ولا ينقص عنهما في الحسن قول الآخر

لقد غفلت ويحك عن الطيـ ـب ووقع السهام في الهدف
أي سرور لكن في صدف تطبق حافاته على صدف

ويقولون تضع الصاد على الصاد وترقع الخرق بالخرق قال

ألا يا ذوات السحق في الغرب والشرق أفقن فان النيك أحلى من السحق
أفقن فان الخبز بالأدم يشتهى وليس يسوغ الخبز بالخبز في الحلق
وأنتن ترقعن الخروق بمثلها وأي لبيب يرقع الخرق بالخرق

وكتبت امرأة لصاحبتها وقد زفوها لزوجها ليس من رأى عصى فاستحسنها توكأ عليها فلا يغرنك مايظهر لك من حبه فانه أيسر انحلالا من الحرض اليابس فكتبت في جوابها كنت أستلذ وقع الدفوف قبل أن أسمع صوت النايات فلما سمعته انعقد في قلبي شيء لا يحله الا الموت وقالت امرأة لأخرى ما أطيب القثاء تعني به المتاع فقالت لولا انه ينفخ البطن تعني الحبل ويقولون فلانة تأكل التين وفلانة معرفة فلانة

﴿ الباب الثامن في الكناية عن البغاء والابنة ﴾

كان ابن عائشة يكنى عمن به الداء بالغراب لانه يواري سوأة أخيه وكان الجاحظ يكنى عنه بالزهير اشارة الى قول ورقاء

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد فأقبلت أسعى كالعجول أبادر

وهو لورقاء بن زهير بن خزيمة من قطعة يذم فيها نفسه حين ضرب خالد بن جعفر بن كلاب وقد سقط على أبيه زهير وكان عليه درعان أنشدهما أبو طاهر الشيرازي في كتابه الموسوم بجمال الأدب وهي

لقد بشرت بي اذ ولدتني فماذا الذي ردت عليك البشائر
فشلت يميني يوم أضرب خالداً ويحرسه مني الحديد المظاهر
رأيت ظهيرا تحت كلكل خالد فأقبلت أسعى كالعجول ابادر
الى بطلان ينهضان كلاهما يريغان نصل السيف والنصل نادر
فياليتني من قبل ضربة خالد وقبل زهير لم تلدني تماضر

وكان بعض الادباء يكنى عمن به داء الابنة بالاخوانة ويشير لقول على بن حسن الحرانى

ياسائلي عن جعفر عهدي به ... رطب العجان وكفه كالجلمد
كالاقحوان غداة غب سمائه ... جفت أعاليه وأسفله ندى

وقال آخر في هذا المعنى

ان كان وجهك فيه فضل قساوة ... فلقد رزقت رخاوة في الاسفل
مارام خلق منك يوما قبلة ... الا أدرت عليه باب الكوثل

والكوثل مؤخر السفينة بلغة الملاحين وفي ذلك قال الجاحظ أردت الصعود في بعض القناطر وشيخ ملاح جالس فزلق حماري فكاد يلقيني بقفاى لكنه تماسك فاقعي على عجزه فقال الشيخ ماأحسن ماجلس على كوثله انتهى ولابي الحسن محمد بن جعفر الجرهمي في أبي الخطاب بن عون من قصيدة

قيل صفه قلت نصفا ... ن وفي ذلك رمز
عرقت جفت كما قـ ... ـيل وسرداب ينز
يزرع الكمون في تلـ ... ـك وفي هذي الارز

وقال آخر وقد جمع بين جفاف الدماغ بطول القرون وندواة الاسفل

قرونك قاحلة ترتقي ... وسفلك بالماء ريان

ويقولون فلان لايحمي ظهره وفلان يخبأ العصى أنشأ الجاحظ في البيان والتبيين

زوجك زوج صالح ... لكنه يخبأ العصا

وقد ظرف ابن بابك معرضاً بهذا المعنى

يكفر بالرسل جميعاً سوى ... موسي بن عمران لاجل العصا

وأحسن منه ماقاله أبو بكر الخوارزمي يهجو الحمام

نحوه فرعون لكنه ... خالف في السجدة إبليساً

ومن أحسن ماقيل في ذلك قول ابي اسحق الصابي

يابن هارون حازمنك سواو ... يلك عضواً برا وعضواً أثيما
فقحة آمنت بموسى واير ... كافر بالخليل ابراهيما
هذه تعشق العصا وهذا ... ك يرى الأختان عاراً عظيما

ولأبي الفرج الاصبهاني في القاضي الايذجي وكان طلب منه عكازة فنعه

اسمع حديثي تسمع قصة عجبا ... لاشيء اظرف منها تبهر القصصا

طلبت عكازة للرجل تحملني ... ورمتها عند من يحيي العصى فعصا

وكنت أحسبه يهوى عصى عصب ... ولم أكن خلته صبا بكل عصا

وأحسن من هذا كله قول أبي على بن رشيق القيرواني يهجو معز بن باديس

سيدنا لا ينيك حتى ... يناك نيكا به حلاوه

كالفاس لا يستجيد قطعاً ... إلا وفي عينه هراوه

ويقولون في ذلك فلان منقلب الداء اشارة لما روى ان أبا نواس دخل على عنان جارية الناطفي فقال لها أجيزي

اتي لى أيرا كبيراً ... عارم الرأس فلونا

اتي أخشي عليه ... ان يهان أويعونا

لو رأي في العنق جحراً ... لرقي حتى يمونا

زوجوا هذا بألف ... وأظن الالف فونا

فقالت عنان ... قبل أن ينقلب الداء ... فلا تأني وتوني

وسمعت بعض الادباء يكني عنه بالابرة اشارة لقوله

أبني من الابرة لكنه ... يوهم قوما انه لوطى

ويقولون فلان يحمل اللواء اشارة لقول الخوارزمى

وقال أنا المليك فقلت حقا ... بقلب اللام نونا فى الهجاء

ولم أر من أداة الملك شيئا ... لديك سوي احتمالك للواء

ويقولون فلان يفقد الدقل وفي كتاب البصائر لابي حيان ان المتوكل قال لعبادة أهب لك هذا الخصى فقال يا أمير المؤمنين أنا لا أركب زروقا بغير دقل وقد تناهي في الجودة قول ابن الرومي يصف خصيا تزوج امرأة

قل لنجح اخطأت باب النجاح ... اذ تعاطيته بلا مفتاح

لست بالسابح المجيد فدع عنك ... ركوب البحار للسباح

قطع الحب بالخصاء كما يقطع ... فقد الموزي بالملاح

انما أنتم قفاح فهلا ... ما غناء القفاح بالاحراح

ان من يعشق النساء بلا اير كمثل الغازي بغير سلاح
هل يكون الطعان الا برمح فدع الطعن للطوال الرماح

ويقولون فلان يحب الناى وفلان يحبس الاصابع قال أبو الفتح البستي فيه

عجبت من أمر فظيع قد حدث أبو نعيم وهو شيخ لاحرث
* قد حبس الأصابع في بيت حدث *

وفلان يفتح الميم ويدغم الميم في الميم قال ابن الرومي

ياأخا النحو والتقدم فيه لم تر اللام أدغمت في الميم
مثل لام أدغمتها أنت ميمك ثم احتججت بابن الخطيم

يعني قيس بن الخطيم شاعر مبرز لانه كان متهما بالداء ويقال يحب الطوامير اشارة لقول دعبل

يامن يقلب طومارا براحته ماذا بقلبك من حب الطوامير
شبهت شيئا بشيء أنت تعشقه طولا بطول وتدويراً بتدوير

ويقال به داء الملوك قال الشاعر

متى يدرك المجد أهل العراق وداء الملوك بكتابهم
فما سرني ان مالى لهم ولو ان لي ياأخى مابهم

ويقال به المذهب الأكبر قال ابن الرومي

وما أستدخل الاير من حاجة ولكن به المذهب الأكبر

ولابي الحسن البديهي في رجل يتهم بالداء

لما وقفت بباب دارك زائرا خرج اللحاف وقال انك نائم
فاجبته ابلا لحاف نائم هذا المحال وأنت عندي ظالم
فتضاحك الرشأ الغرير وقال لي أفأنت أيضاً بالقضية عالم
والله ماأقلت منه ساعة حتي حلفت له بأنى صائم

وللخوارزمي في التعريض به

أبو بكر هو اللوطي حقا ولكن ربما لحقته ظنه
أراه يبتغي الغلمان سودا عفاريتا فيوهمني بأنه

أي بأنه معروف بخلة سوء فقطع واستغني عن ذكر ماألغز كقول الشاعر

فان المنية من يخشها ... فسوف تصادفه أينما

أراد أينما ذهب أو أينما كان وهذه طريقة للعرب مشهورة كرر الخوارزمي في هذه الطريقة هذا المعنى قال

أبا جعفر لست بالمنصف ... ومثلك ان قال قولا يفي
فان أنت أنجزت لي موعدي ... والا مجنت وأدخلت في
وقد علم الناس ما بعده ... فقط الحديث ولا تكشف

وقريب منه قول الآخر

اذا ردكم حاجب مرة ... فعدتم فردكم ثانيه
فقولوا له يابن ثم اسكتوا ... فان السكوت هو الزانيه

ويقال في الكناية قلبت الرحا ثفالا وذلك أن الثفال هو النطع أو الكساء يوضع تحت الرحى يقع عليه الدقيق قال الشاعر

خلوك بالبكار يدل عندي ... على ان الرحا قلبت ثفالا
والا فالصغار ألذ طعما ... وأحلى ان أردت بهم فعالا

ومن الحكايات المطبوعة في ذلك إن رجلا شهد عند القاضي فقال المشهود عليه أتجيز شهادة محدود فقال أنارس أم رامح فقال بل نارس قال فشهادته مردودة وقال جراب الدولة كان عندنا رجل يعرف بالهواط فلما كبر انقلب داؤه فقيل له فيه فقال كنا نلعب بالرماح فحطمت فصرنا نلعب بالاتراس

﴿ الباب التاسع في الكناية عن قلة غيرة الازواج ﴾

يقولون في الكناية عن الكشخان فلان لا يمنع الماعون اشارة لقوله

قالوا يحب ولا يغار فقلت لهم ... لا يمنع الماعون عندي من عقل
ان مسه دنس الاجارة مرة ... فالماء يغسل ذاك منه اذا اغتسل

وقال ابن الرومى فى معناه يهجو أبا حفص الوراق

لاخير فى الوراق مالم يكن به من قرنه قائم سكينه
انا أبا حفص له زوجة يعدها من بعض ماعونه
لايمنع المسكين من نيلها يالبتنى بعض مساكينه

وقال آخر يهجو

أضحت كشاخنة الدنيا بأجمعها بيادقا وغدون الرخ والشاها
أصبحت أطولها قرنا وأوسعها صدراواقمرها حرزاً وأفتاها

والعامة يقولون فى هذا المعنى هو الحائط القصير يعنون به القرنان ويكنون عنه بالائل أيضاً قالت امرأة ماجنة لاخرى مافعل ائلك وأرادت زوجها قال ابن الرومى

قل لعبد القوى أنت قوى فاتق الله ويك فى الضعفاء
نحن جم وأنت أقرن والله حسيب القرنا للجماء

ويقولون هو مشرف الرأس أشارة لقول ابن الرومى

ياشريفا في رأسه اشراف وظريفا له ثياب ظراف
ناطح الايل المقرن والجامو س والكركند كيف تخاف

ولم أسمع في وصف القرنان بعلو القرن أبلغ من قول ابن الرومى

وقائلة بالنصح لم لاتزوج فقلت لها للقرن غيرى أحوج
كشيخ رأبناه تزوج آنفا فاضحي وما داناه كسرى المتوج
علا قرنه فى الجو حتى كأنه الي النجم يرقي أوالى الله يعرج

وله أيضاً فى معناه

تراه تحت الارض من ذله وقرنه فى الأفق الأعلى

وأحسن ما قيل فى هذا لعلى بن محمد بن نصر بن بسام يهجو أباه

كان للكركند قرن فاضحى قرنه اليوم عند قرنك مذرى
من يكن قرنه كقرنك هذا فليكن بابه كايوان كسري

واطبع ماقيل في حب المستذل قول الخبزأرزى

مازلت أعجب ممن حب مبتذلا حتى ابتليت على رغمي بمبتذل
أقول للنفس اذ غيري يغازله على البصيرة كان العشق فاحتمل
جاورت قوما وكانوا قبلنا نزلوا فان كرهت جوار القوم فانتقل
مالي ألوم على ماكان من زلل والأمر من قبل مبني على الزلل
مازلت أسمع فيكم كل مخزية حتى رمي حبكم أذني بالثقل

﴿ الباب العاشر في الكناية عن القيادة ﴾

يقولون في الكناية عن القواد مؤلف قال الشاعر

ان يشأ ألف ضبا حسن تأليف بحوت
ويقود الجمل الصعب بخيط العنكبوت

وقال آخر

يؤلف المرد الى بيته ويحمل الجار على الجار
لو شاء من حذق بتأليفه ألف بين الماء والنار

ويكنون عنه بالمصلح وربما قالوا المصلح بين العشائر قال الجماز البصري

ظلم الناس بكيرا ورموه بالكبائر
ماله ذنب سوى اصلاحه بين العشائر

والعامة تسميه المنزل لاخلائه وينشدون قول سعيد بن وهب

قالوا ابن عثمة قواد فقلت لهم لا تفعلوا ما أبو حفص بقواد
لكنه رجل يكريك منزله بدرهمين وما يبغي من الزاد

ومن كنايته اللطيفة مسمار المقراض قال الشاعر وقد أبدع

الق أبا اسحاق تلق امرأ ليس أمرؤ عنه بمعتاض
حليف من مال الى فسقه وبائع العرض باعراض

اذا حبيب صد عن الفه تهاواي كل رواض
سعي الى تأليف شخصيهما كأنه مسمار مقراض

ويقولون يجمع بين الرأس والرأس وبين الرأسين قال أبو نواس

لاخير في العيش اذا لم يكن في بيت هارون بن عباس
لايكره القمرة في بيته وليس بالقبلة من باس
وربما صرت الي خلوة تجمع بين الرأس والراس

ويكنون عنه بالمداد يقولون هو يمد المنارة بخيط وربما قالوا هو مد الحبل قال عبد الله ابن أحمد بن حرب العبدي

من سره طيب الحيا ةوقرب أولاد النعم
حتي يعز بدهره هذا ويثرى من عدم
فليأخذ الحبل الطويل ويمش قدام الغنم

وقال أبو الحسن الجهرمي في بنت القيمة المغنية وكان لها زوج يعرف بابن الملاح وكان مغضباً لاعجابه وصلفه

عرس سوء قامت بهالك سوق لست ممن يراه فيها وجيها
كلما توجتك قرنا كبيراً زدت كبرابه علينا وتيها
أتراها سفينة العبر في الدجلة من كل راكب يكريها
فرحا في الزحام لست تبالى بذى الريح بعد ما يجيها
قد تشابهتما فما الكا في عمل المخزيات يلفى شبيها
نبت في المدعن أبيك كما في الدلك نابت عن أمها وأبيها
غير انا نخال في رأسك الشكا ت فيها وغير مريدك فيها

هذه الابيات فيها اشارة لطيفة لم يسبق اليها فنها انه نسب الزوج الى القيادة وذكر انه ناب عن أبيه فيها وأبوه ملاح والملاح مداد لمده قلس السفينة وانها نابت في الدلك عن أمها القيمة وأراد بالدلك السحق في حقها ثم عرض بأنه قرنان بقوله نخال في رأسك الشكات وشكاة السفينة أشبه شيء بالقرون وعرض بأن غيره يحظي بها بقوله وغير

مريدك فيها وأبو الحسن شاعر مطبوع الشعر كثير الملح والعرب تقول أقود من الظلمة وأقود من بساط مظلم قال ابن المعتز

لا تلق الا بليل من تواصله … فالشمس نمامة والليل قواد

كم عاشق وظلام الليل يستره … لاقى أحبته والناس رقاد

ويقال الليل اخفى للويل وأخذ المتنبي معنى البيت الاول فحسن عبارته وكساه حلة أبهى من حلته فقال

أزورهم وسواد الليل يشفع لي … وانثني وبياض الصبح يغري بي

فقوله وسواد الليل يشفع لى أحسن وألطف من قول ابن المعتز والليل قواد وقد دل على القيادة لان الشفاعة فى أمثاله قيادة ولذلك عابوا على المتنبي قوله

عل الأمير يرى ذلى فيشفع لي … الى التي تركتني في الهوى مثلا

اذا كان قد سامه القيادة بطلبه الشفاعة منه وأشنع منه قول أبي نواس

سأشكو الى الفضل بن يحيي بن خالد … هواك لعل الفضل يجمع بيننا

فحكي ان الفضل لما انشده هذا البيت قال له مازدت على ان جعلتني قواداً فقال أصلحك الله جمع بفضل لاجمع وصل وتقول العرب أقود من ظلمة بغير اداة تعريف وهو اسم امرأة كانت تزني فى الجاهلية فلما كبرت قادت فلما عجزت عن القيادة ابتاعت تيساً وجعلت تطرقه مجانا ذكره ابن الأعرابي وكان بعض الظرفاء يكنى عن القواد بالقين لانه يجدآلة غيره ويشير به لقول ابن المعتز

وأفتى النميرى قوادة … وفتيا النميرى فسق وغى

بانك قين تحد السلاح … وليس عليك من القتل شى

وقريب من ذلك وان لم يكن منه قول الجماز البصري

اذا كنت لاتستطيع الجماع … وأنت بحب الصبي مولع

فانك فى ذاك مثل المسن … يحد الحديد ولا يقطع

وحكي الاصمعي قال كنت عند الرشيد فقال أي شئ القواد قلت القواد ثلاثة فمنهم الشقاص والدناص والقناص فالشقاص الرجل الفقير تكون له دار فيجيء صديقه الموسر

فيأتي بالمرأة الفاجرة فيجتمع معه على الفاحشة بها من غير ان يعطيه شيئا والدناص الرجل يكون له الجارية والجاريتان والثلاث فيستودعهن صديقا له ويغشاهن في منزله والقناص القواد النذل الذي يجمع بين الاثنين باجرة يأخذها فقال الرشيد فانا اذا دناص منذ أربعين سنة وأنا لاأدري

﴿ الباب الحادي عشر في الكناية عن الحدث وغيره ﴾

يقال لشارب الدواء المسهل كم لبثت نعلاك وكم احد برقك وكم سحت سحبك وكم تخطيت الي باب الكرامة كتب الصنوبرى لصديق له وقد شرب المسهل

ابن لى كم تخطيت الي باب الكرامه   كم حدا برقك من رعدوكم سحت غمامه

فلم يجبه فكتب اليه ثانياً

أبن لى كيف أصبحت   على حال من الحال
وكم سارت بك النا   قة نحو المنزل الخالى

فكتب اليه يجيبه

كتبت اليك والنعلان مالان   اغبهما من السير العنيف
اذا رمت الكتاب الى فاكتب   على العنوان يوصل للكنيف

ويقال في الواحد اذا داس عذرة فى طريق يكسر رسم السلطان ويقولون فى الكناية عن الحيض احتشمت المرأة والاحتشام الانقباض فكنوا بالمحتشمة لانقباضها وفي غيرهذا الموضع الاهتمام الاحتشام قال أبو عمرو يقال انه لمحتشم بامري أى مهتم به وسمعت بعض المولدين يقول لآخر عزيزك مفتصد يريدعشيقتك حائض وحكي عن بعض المجان انه كتب لعشيقته يستأذنها فى المصير اليها فكتبت له لاتجيء فان الصبى مفتصد فكتب اليها اذاكان الامر كذلك أخذنا دار صاعد يريد أتيانها فى الموضع المكروه وحكى انه لما تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل أرادها فى وقت الحيض فجليت عليه فى حصير ذهب من وقتها وحضرت النساء الهاشميات وقامت أم جعفر وزبيدة وحمدونه

فنثرن عليها كيلا من در فقال هذا مثل قول أبي نواس

كان صغري وكبري من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب

وقعد للناس من الغد فدخل أحمد بن يوسف الكاتب فقال يا أمير المؤمنين هناك ماحدث من الأمر باليمن والبركة وشدة الحركة والظفر بالمعركة فانشده للمأمون

فارس ماض بشكته حاذق في الطعن في الظلم

كاد ان يدمي فريسته فاتقته من دم بدم

فعرض بأنها كانت حائضاً وانه لم يصبها ويقولون في الضرطة اذا فلتت شردت ناقته اشارة لما حكاه المدائني قال كان يحيي بن زياد ومطيع بن أياس يشربون وعندهم رجل فضرط فاستحيا منهما ثم خرج ولم يعد فكتب اليه يحيي بن زياد

أمن قلوص غدت لم يؤذها أحد الا تذكرها بالرحل أوطانا

كان العذار بها فانبت اذ نفرت وانما الذنب فيها للذى خانا

منحتنا منك هجرانا ومقلية ولم تزرنا كما قد كنت تغشانا

خفض عليك فما في الناس ذوابل الا وانيقه يشردن أحيانا

ولابن الرومي فيه

هاجيت وهبا وهو ذو فطنة مازال للحكمة دراسا

ماهنة عمت بني آدم يعير الناس بها الناسا

يعتمد العامد اتيانها فلا يرى الناس بها باسا

حتي اذا جاء بها فلتة نكس من سوأتها الراسا

ويقال في الكناية استطلق وكاؤه اشارة لقوله صلى الله عليه وسلم العينان وكاء السته فاذا نامت العينان استطلق الوكاء والوكاء للقربة قال

اذا نامت العينان من مستيقظ تراخت بلا شك مشاريج فقحته

فمن كان ذا عقل فيجعلو ضارطاً ومن كان ذا جهل ففي صدر لحيته

وتقول العامة خفة دارش وذلك ان الدارش كثير الصوت وفي معناه نعله يصر ويقولون ثفر مسترخ كناية عمن انفلتت منه ضرطة وحكي بعضهم انه قال اجتازت امرأتان

بشيخ فشح احدبهما فقالت الاخرى اقدحي عليه أى اضرطى فقالت الاخرى رباط بطنى رقيقة ويقولون فلان يتفرقع ظهره قال ابن الحجاج

قد غضبت منى وأنكرت فرقعة تعرض في صدرى
وليس لى ذنب سوى انني أضرط بالليل ولا أدري

قال القتيبي تزوج اعرابي امرأة فلما دخل بها عانقها فضرطت ولم يضرط فخرجت غضبى الى أهلها وقالت لا أرجع اليه أو يفعل كما فعلت فقال لها عودى فبينما يعانقها ضرطت أخري فانشأ الاعرابى يقول

طالبتنى دينا عتيقا فلم أقضك حتى زدت في قرضك
فلا تلوميني على مطله ان كان ذا دأبك لم أقضك

وفى كتاب الذخائر لابي حيان التوحيدى قال سمع عبادة من جوف ابن حمدون النديم قرقرة فقال يا بن حمدون ولدت فى شباط أى أنت كثير الرياح وأنشد لابن المعتز

بلينا وقد طاب الشراب وأشعلت حمياه فى الفتيان نار نشاط
بابرد من كانون فى يوم شمأل وأكثر فسوا من رياح شباط

ويقال فى الكناية عن قرقرة البطن تحركت صفارته قال العصفرى

أبصرت وجهاً للمهاجر فوجدته احدى النوادر
وشهدت شيخاً قرقما نوذقته احدى الكبائر
فتحركت صفارتى نخشيت من بعض البوادر

ويقال فى الكناية عن الفسو فلان يقشر مأخوذ من القشار وهو البخار الذى يخرج به الحمام وتقول العامة يخرج بدك بفسوة حمامي فانه كثير القشار ويقولون فى غير هذا أجبته جواباً مقشراً اذا صرحت له بالشتيمة أو بما يكره وحكي أبو حيان التوحيدى فى كتاب النظائر عن موسي بن قيس المازنى قال قلت لأبى فراس أنت النهار ماش ليسكن بدنك بالليل فقال

اذا الليل ألبسنى ثوبه تقلب فيه فتى موجع

فقلت له يا أحمق أسألك عن حالك وتنشدني الشعر قال قد أجبتك يا بن الرطبة فقلت أتقول لي هذا وأنا سيد من سادات الانصار فقال

وان بقوم سودوك لفاقة الى سيد لو يظفرون بسيد

وضرط في يده ولطم بها عينه وقال هكذا يكون الجواب المقشر وضارط مزيد امرأته فجعلت تزوج وهو يفرد فانقطعت على رأس المائة ومد مزيد الى ثلثمائة ثم قال كيف رأيت مانحن فيه ماهو إلا كما قال الشاعر

قليل تصلحه فيبقى للريح في أثوابه دوي

فقيل ويحك هذا ضراط كله ومما قيل في اللغز فيه

ومولودة لم تعرف الطمث أمها وليس لها روح ولا تحرك
يقهقه منها القوم من غير رؤية وصاحبها من عارها ليس يضحك

ولابي يعقوب النمار في أبي هفان يرميه بالفساد لانه من عبد قيس

وأنت اذا جلست الى أناس فتحت كنانة وأخذت ترمي
وأنت تشك أنفسهم جميعاً اذا سددت نحوهم بسهم
تعالى من حباك بسهم ريح فأنت تشبها عن قوس لحم

﴿ الباب الثاني عشر في أنواع كنايات لاثقة بما تقدم ﴾

تقول العامة فى الكنايات عن جارية الانسان هي فللنسوة نومه وعن السرائر بخلاف القمر وهو بكنية السحاقات وحكي على بن الحسين القاضى قال حضرت مجلس قاض فتقدم اليه رجلان وادعى أحدهما على الآخر شيئاً فقال للمدعي عليه ماتقول فضرط بفمه فقال المدعي يسخر بك أيها القاضى فقال القاضي اصفع ياغلام فقال الغلام من أصفع الذى سخر منك أم الذى ضرط عليك فقال بل دعهما واصفع نفسك والقحاب تكنى عن شهر رمضان بشهر الكساد وأنشد بعض الادباء لابى هفان

اذا رأيت بنى فضل بمنزلة لم تدر أيهم الانثى من الذكر
قمص أنثاهم ينقد من قبل وقمص ذكرانهم تنقد من دبر

الابيات لدعبل يهجو بنى وهب وبعد البيتين

محنكون عن الفحشاء في صغر ... محنكون عن الفحشاء في كبر

محنكون ولم تقطع تمائمهم ... مع الفواطم والدايات بالكبر

وحكي القتيبي قال سألت امرأة زوجها الاذن في الحج فأذن لها وبعث معها أخاه فلما انصرفوا سأله عنها فقال

مالي علمت بها عيباً أخبره ... الا انها في هاصاحب الجمل

كان النهار اذا ما السير جدبنا ... يفيران وما بالرحل من فشل

ويخلوان كثيرا في منازلنا ... فلا نزال نري آثار مغتسل

فالله أعلم ما كنت سرائرهم ... والله أعلم بالنيات والعمل

﴿ الباب الثالث عشر في العدول عن الالفاظ المتطير بها لغيرها ﴾

من ذلك قولهم لحق فلان باللطيف الخبير يكنون به عن الموت أخبرنا أبو القاسم التنوخي باسناده ليعقوب بن اسحق السكيت انه قال في مجلس أبي بكر بن شيبة

ومن الناس من يحبك حباً ... ظاهر الود ليس بالتقصير

فاذا ماسألته ربع فلس ... الحق الود باللطيف الخبير

هذان ينسبان لدعبل وبعد البيت الاول

واذا ماخبرته شهد الطر ... ف على حبه بما في الضمير

واذا مابحثت قلت لهذا ... ثقة لي ورأس مال كبير

وأنشد بعضهم لابي العلاء المعرى من قصيدة

ولا تسل عن عداك أين استقلوا ... لحق القوم باللطيف الخبير

ويقال في الكناية عن ذلك لعق فلان أصبعه واستوفي أكله ويقال اصفرت أنامله قال عبد بني الحسحاس

أشوقاً ولما يمض لى غير ليلة فكيف اذا سار المطي بناعشرا
وما كنت أخشى معبداً أن يبيعنى بمال ولو أوضحت أنامله صفرا
أخوكم ومولاكم وصاحب سركم ومن قد ربى فيكم وعاشركم دهرا

وقال الآخر

فقر بانى بابي أنتما من وطنى قبل اصفرار البنان
وقبل منعاى الى نسوة منزلها حرنان والرقنان

وقال لبيد

وكل اناس سوف تدخل بينهم دويهية تصفر منها الأنامل

ـدويهيةـ تصغير داهية وهو تصغير تعظيم أى داهية كبيرة قال أوس

فويق جبيل شاهق الرأس لم تكن لتبلغه حتى تكل وتعملا

والتصغير ثلاثة أقسام تعظيم وتحقير وتقريب فالأول كما تقدم والثاني كفلس وفليس ودرهم ودريهم والثالث كقوله

يابن أمي ويا حبيب نفسي أنت خليتني لدهر شديد

ويقولون فى الكناية عن الموت صك بفلان على أبى يحيى وأبو يحيى كنية ملك الموت عليه السلام قال الخوارزمي

سريعة موت العاشقين كأنما يغار عليهم من هواهم أبو يحيى

ويكنون عنه بهادم اللذات قال النبي صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هادم اللذات وقال أبو العتاهية

رأيت المنايا قسمت بين أنفس ونفسى سيأتي بعدهن نصيبها
فياهادم اللذات مامنك مهرب تحاذر نفسي منك ماسيصيبها

وفى الحديث بادروا بالاعمال ستا الدجال وكذا وخويصة أحدكم يعنى الموت وهي تصغير خاصية أي مايختص به أحدكم ٠٠ ويقال فى الكناية عن ذلك حلقت به العنقاء قال الهذلي

فلو ان أمي لم تلدني لحلقت بهاوبى العنقاء عند بنى كلب

وموقعه ان أم هذا الشاعر كلبية فاسره أحد بني كلب فلما انتسب خلى سبيله ٠٠ ويقال

أيضاً زال الشراك عن قدمه قال الشاعر

لايسلمون الغداة جارهم حتى يزول الشراك عن قدمه

ويقال شالت نعامته قال الشاعر

ياليتما أمنا شالت نعامتها أيما الى جنة أيما الى نار

ليست بشبعي ولو أوردتها هجراً ولا بريا ولو حلت بذى قار

أى لايشبعها كثرة التمر ولايرويها كثرة الماء لأن بهجر تمراً كثير وبذى قار ماء نميراً والبيتان لرجل من عبد القيس وبعدها

خرقاء بالخير لاتهدي لوجهته وهي صناع الأذي في الاهل والجار

قال ابن دريد والنعامة خط باطن القدم ومنه قيل للميت شالت نعامته •• ويقال أيضاً شالت نعامتهم اذا تفرقوا وانما قالوا ذلك لخفة النعامة وسرعة طيرانها على وجه الارض كأنهم جفلوا من منازلهم •• وقال ابن السكيت شالت نعامته ثم سكنت اذا غضب •• ويقال فى الكناية عن الموت مضى لسبيله واستأثر الله به ونقله الي جواره ودعى فأجاب •• ويقال قضى نحبه ــ والنحب ــ النذر فكأن الموت كالنذر المتحتم على الاعناق •• ومن ذلك قال بعض الاعراب فى دعائه على رجل رماه الله بدينه أي بالموت لانه دين على كل واحد •• ويقال فيه ضحى ظله أى مات ومعناه صار ظله شمساً واذا صار الظل شمسا بطل صاحبه •• ويقولون فيه خلي مكانه قال العتبي أنشده ثعلب

اذا مابن عبد الله خلى مكانه فقد حلقت بالحق عنقاء مغرب

وقال دريد بن الصمة

فان يك عبد الله خلى مكانه فما كان وقافا ولا طائش اليد

وقال ابن الاعرابي وقع في حياض غتيم وعتيم اذا وقع فى الموت •• ويقال في الكناية عنه طار من ماله الثمين أى الثمن يقال ثمن وثمين كما يقال سبع وسبيع قال الشاعر

فلا وأبيك لاأولى عليها فتمنع طالباً من سائمين

فانى لست منك ولست مني اذا ماطار من مالى الثمين

أي اذا مت •• وقال ابن الاعرابى قال أبو الجراح قرض رباطه بمعنى مات •• وقال غيره جاء

وقد قرض رباطه من الجهد والعطش اذا كاد يموت ‥ ويقال في الكناية عن الدفين أضلوه وأضلوا به قال الله تعالى وقالوا أئذا ضللنا في الارض أئنا لفي خلق جديد أى اذا متنا ودفنا قال النابغة الذبياني في مرثية النعمان بن الحارث الغساني

فآب مضلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل

ويقال في الدعاء على الانسان لاعد من نفره اذا عد قومه لم يعد معهم وفقد من بينهم بالموت قال امرؤ القيس

فهو لاتنمي رميته ماله لاعد من نفره

إلا أن هذا الدعاء لايراد به التحقيق على مذهب العرب وانما يراد به التعجب ‥ واعلم أن العرب كما يكنون عن الموت تطيراً من ذكره كذلك يكنون عن القتل فيقولون ركب فلان الاغر الاشقر اذا قتل أنشد أبو عثمان للحارث بن هشام المخزومي في صفة الدم

الله يعلم ماتركت قتالهم حتى علوا فرسي بأشقر مزبد

ـ والاغر الاشقر ـ لما كان صفة الدم أقامها مقام الاسم واستغنى عن ذكره بذكر صفته التي يعرف بها كقول الله تعالى وحملناه على ذات ألواح ودسر فوضع صفتها موضعها ومن ذلك قول ذي الرمة

قد أعقر البازل المحبوك معسفه في ظل أخضر يدعو هامه البوم

أي في ظل ليل اسود فاستغنى عن ذكر الموصوف بالصفة ـ والاسود ـ عند العرب الاخضر ويقال كتيبة خضراء للسوداء ‥ وحكي عبدالله بن اسحق قال لما سمع الفرزدق قول الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب

وأنا الاخضر من يعرفني أخضر الجلدة من بيت العرب

من يساجلني يساجل ماجداً يملأ الدلو الى عقد الكَرَب

قال الفرزدق أنا أساجلك فقال الفضل

برسول الله وابن عمه وبعباس بن عبد المطلب

فقال الفرزدق أعض الله من يساجلك بما نفت المواسي من بظر أمه وأصل المساجلة ان يستقي ساقيان فيخرج كل واحد منهما في سجله أى دلوه العظيمة مثل مايخرج الآخر

فايهما كل فقد غلب وانما قال وأنا الأخضر لارادته انه مخصب كثير الخير لان الخصب مع الخضرة قال الشاعر

قوم اذا اخضرت نعالهم يتناهقون تناهق الحمر

أي اذا أعشبت الارض اخضرت نعالهم من وطئهم الارض وأغار بعضهم على بعض وقوله -يتناهقون- أى يتنادون للغارة وقال آخر في هذا المعنى

قوم اذا نبت الربيع لهم نبتت عداوتهم مع البقل

أي اذا أخصبوا وشبعوا غزا بعضهم بعضا ونظيره قول الآخر

يابن هشام أهلك الناس اللبن فكلهم يغدو بسيف وقرن

أي تسفهوا لما رأوا من اللبن ٠٠ وقيل لبعضهم متى تخاف من شر بني فلان قال اذا ألبنوا ٠٠ واعلم ان العرب كما تقيم الصفة مقام الاسم تقيمها مقام الموصوف وكذلك يذكر التابع ويستدل به على المتبوع كقوله

فتى لا يرى قد القميص بخصره ولكنه توهي القميص كواهله

لما كان سلامة القميص موضع الخصر تابعا لدقة الخصر ووهيه فالكاهل تابعا لعظمه ذكرها ودل بهما على رقة الخصر وعظمة الاكتاف ومنه قول مسلم بن الوليد

كأن قلبي وحاشاها اذا خطرت وقلبها قُلْبها في الصمت والخرس

لما كان قلق الوشاح تابعاً لدقة الخصر دل به عليه وهذه يقال لها الايماء ومنه قوله

لعمرى لنعم الحي حي بني كعب اذا نزل الخلخال في موضع القلب

يقول اذا ريعت صاحبة الخلخال فاندق ساقها وشمرت للهرب وكشف الساق تفعله المرأة اذا ريعت ولبست الخلخال مكان السوار دهشاً فاختصر ذلك الشاعر غاية الاختصار ٠٠ وتقول العرب في الكناية عن القتل نزل فلان بجعجاع اذا قتل اشارة لقول ابي قيس ابن الأسلت

من يذق الحرب يجد طعمها مرا ويتركه بجعجاع

٠٠ وتكنى العرب عن قتل الملوك خاصة بالمشعرة كانوا يكبرون ان يقولوا قتل فيقولون أشعر من إشعار البدن ٠٠ وتقول فلان محمول على الأدهم ومنه قول الحجاج لابن

القبمنزى لاحملنك على الادهم وعلى القيد فتجاهل وقال مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب ٠٠ ويقولون ركب فلان ردعه وأصله فى السهم يرمي به فيرتدع نصله فيه فقولهم ـ ركب ردعه ـ أى دخل عنقه في جوفه قال

ألستِ أرد القرن يركبِ ردعه وفيه سنان ذو غرارين بائس

وأنشد الجاحظ فى البيان والتبيين لبعضهم

ومسوم للموت يركب ردعه بين القواضب والقنا الخطار
يدنو وترفعه الرماح كأنه شلو تنشب في مخاب ضاري
فثوى صريعا والرماح تنوشه ان السراة قصيرة الأعمار

واعلم ان العرب تتطير من ذكر البرص فتكنى عنه بالوضح وبه سمى جذيمة الوضاح وكنوا عنه بالابرش أيضاً ٠٠ ومما يتفاءل بذكره قولهم للفلاة مفازة لان القفار في ركوبها الهلاك فكان حقها ان تسمى مهلكة ولكنهم أحسنوا لفظها تطيرا بها وعكسوه تفاؤلا ولبعض المحدثين

أحب الفأل حين رأى كثيراً أبوه عن اقتناء المجد عاجز
فسماه لقلته كثيراً كتلقيب المهالك بالمفاوز

وقال بعض أهل اللغة ـ المفازة ـ مفعلة من فوز الرجل اذا هلك فعلى هذا تكون الكلمة على أصلها غير معدول بها الى غيرها ٠٠ ومن ذلك تسمية اللديغ سليما وقال بقيلة

أرقت ونام عنى من يلوم ولكن لم أنم أنا والهموم
كأنى من تذكر ما ألاقي اذا ما اظلم الليل البهيم
سليم مل منه أقربوه وأسلمه المجاور والحميم

ومنه قولهم للأعور ممتع تطيراً من ذكر العور في ذلك قال

ولقبت بالكافى عمىً وجهالة وان كان أمر العجز عندك أوقعا
كما سمى الأعمى بصيراً وسمى اللديغ سليما والمخل ممتعا

ومن الكنايات بالعكس قولهم للاسوداء البيضاء وللأبيض أبو الجون وللأقرع أبو الجعد وللغراب اعور لحدة بصره ٠٠ وقال ابن الاعرابي سمى أعور لانه يغض احدي

عينيه ويقتصر على احدهما لقوة نظره فعلى هـذا لاتكون الكلمة من الكنايات بسبيل ٠٠ وللعامة كنايات معلومة منها قولهم للاقرع ذوائبه تنجر ٠٠ ومنها قولهم ما بينهما الاطراز الكذبين وما بينهما لاعين الميزان في الكناية عن المتفاوتين تفاوتا بعيداً ٠٠ ومما ورد في تحسين اللفظ ما حكي ان المنصور كان في البستان وكان معه الربيع فقال ماهذه الشجرة قال شجرة الوفاق يا أمير المؤمنين وكانت شجرة الخلاف ٠٠ وقريب منه ماحكى ان الرشيد كان في يده خيزران فقال لبعض أصحابه ما هذا فقال أصول القنايا أمير المؤمنين وتجنب ان يقول خيزران وشبيه بذلك ما حكي ان المأمون كان في يده مساويك فقال لولد الحسن بن سهل ماهذه فكره ان يقول مساويك فقال ضد محاسنك يا أمير المؤمنين

﴿ الباب الرابع عشر في التخلص من الكذب بالتورية عنه ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب ـ والمعاريض ـ من الكلام يشبه بعضه بعضاً يقال عرض بالكلام اذا لم يفصح ٠٠ وذلك مثل ماروى عن على ابن أبي طالب رضى الله عنه انه قال ان الله قتل عثمان وأنا معه وأراد وسيقتلنى معه وانما أراد بذلك تسكين الفتنة ٠٠ ومنه ماروي ان رجلا من الخوارج ألزم رجلا من الشيعة ان يبرأ من على وعثمان رضى الله عنهما فقال أنا من على وعثمان برىء فجعل ظاهر الكلام البراءة منهما ليدفع به شره وأراد البراءة من عثمان وحده ٠٠ ومنه ان أبا سعيد الحرمى سأل أبا يوسف رحمه الله عن السواد فقال النور في السواد وأراد سواد العين فرضي بذلك ٠٠ وحكي القتبى باسناده لأنس بن مالك رضي الله عنه قال أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم مردفا أبا بكر رضى الله عنه وأبو بكر شيخ يعرف ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاب لايعرف فيلقى الرجل أبا بكر فيقول له يا أبا بكر من هذا الذي بين يديك فيقول يهديني السبيل فيحسب انه يهديه الطريق وانما أراد سبيل الخير ٠٠ وقسم عمر رضي الله عنه مرة الغنيمة فقال له رجل اعطني لي ولاخي الحبشي فقال له أخوك

زق معمم ثم قال اعطوه نصف دينار قسمه ونصف دينار صدقه .. وقد ورد تشبيه الزق بالحبشى فى الشعر قال

عجبت من حبشى لاحراك به لايدرك الثأر إلا وهو مذبوح

وفي معنى خبر الاعرابي ماسمعت ان بعض المكديين ببغداد وهو يطوف بالشوارع ويقول ارحموني ياقوم فوالله ان في حلقي خمسة فحكي لي من يخبر حاله أنه يقول ذلك وأصابعه الخمس في حلقه يفتدي به عن الحنث فى يمينه .. وحكى أن حضر ابن شبرمة عند عيسي بن موسى وقد أتى برجل قد أجرم واستحق العقوبة فقال ابن شبرمة أصلح الله الامير ان له شرفا وقدما وبيتا فعفى عنه فقال اما الشرف فاشراف أذنيه واما القدم فالتى يمشى بها وبيت يأوى اليه .. وعن الهيثم بن عدى انه قال رأي عمر ابنه عبد الله رضي الله عنهما جالسا مع رجل فقال له يابنى احذر هذا فانه يبرأ من العيب من غير تقدمه فيه فمر عبد الله بذلك الرجل ومعه غلام وضيء الوجه فقال له أتبيعه قال نعم قال عبد الله هل به عيب قال ماعلمت به عيبا غيرانه ربما أرسلناه فى حاجة فيبطيء ولا يأتينا حتي نبعث في طلبه فقال عبد الله وما فى هذا فاشتراه فلما صار اليه أرسله في حاجة فهرب فطلبه أياما حتى وجده فرده اليه بالإباق فقال له ألم أقل لك انا ربما أرسلناه فى حاجة الخ فعلم انه خدعه وذكر قول أبيه .. ومرض زياد فدخل عليه شريح فلما خرج بعث اليه مسروق يقول كيف تركت الأمير فقال تركته يأمر وينهي فقال ان شريحا صاحب عويص فاسألوه فقال تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء .. وحكى المدائنى ان المغيرة بن شعبة قال ماخدعنى أحد قط غير غلام من بنى الحارث بن كعب فاني ذكرت امرأة لأتزوجها فقال لاخيرلك فيها اني رأيت رجلا قدخلا بها يقبلها فتركها فتزوجها الغلام ثم سأله عن الرجل فقال رأيت أباها يقبلها .. وكان رجل يعمل الدنان فقال لدلالة اخطبي فوق مقداري ولك ماتريدين فخطبت له الي قوم فسألوها عن صناعته فقالت يبيع الكرابيس فزوجوه فلما فتشوا عنه قالت الدلالة اعطوه كرابيس حتى يبيعها .. وحكي المدائنى ان شريحا أتى برجل فادعي عليه قوم انه خطب منهم فسألوه عن صناعته فقال أبيع الدواب ثم بعد ان تزوج فتشوا عنه فاذا هو يبيع السنانير فقال لهم شريح هلا

قلتم أي الدواب ٠٠ وخطبت امرأة لرجل فسألت عنه فقالت يبيع ويشتري ثم فتش عليه فاذا هو بطال فقيل له ألست قلت يبيع ويشتري فقالت نعم يبيع ثيابه ويشتري بها خبزا

﴿ الباب الخامس عشر ﴾

في الكناية عن الصنعة الخسيسة بذكر بعض منافعها

قرأت في بعض كتب الادب ان الحجاج خرج ذات ليلة فظفر برجلين فقال لهما من أنتما فقال احـداهما أنا الشريف ابن الشريف وقال الآخر أنا الكريم ابن الكريم فقال لكل منهما بن لي عن حسبك كيما أعرف نسبك فقال الاول

أنا ابن الذي لاتنزل الدهر قدره ... وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره ... فمنهـم قيام حولهـا وقعود

وقال الآخر

إن ابي مات غير مفتقد ... برحمة الله أيما رجل
له رقاب الانام خاضعة ... مابين حاف وبين منتعل
يأخذ من مالها ومن دمها ... لم يمس من نارُ على وجل

فقالوا خلوا سبيلهـما لادبهما لالحسـبهما وكان الاول ابن بافلاني والثانى ابن حجام والصحيح ان القطعة لعتبة الاعور يهجو بهما ابراهيم بن سـيابة وكان أبوه حجاما ولبعضهم فيه

أنا ابن من دانت الرقاب له ... مابين مخزومها وهاشمها
تأتيه بالرغم وهي صاغرة ... يأخذ من مالها ومن دمها

ولبعضهم فيه

أبو سائب مازال للناس مرجعا ... لاعناقهم نقرا كما ينقر الصقر
اذا عوّج الكتاب يوما سطورهم ... فليس بعوج له أبدا سطر

ولآخر فيه

يا ابن مـن يكتب بالا　　قلام من غير دوات
لم يكن يكتب شـيأ　　غير خط الالفـات

ودخلت دلالة الى قوم تخطب اليهم فقالوا ماصناعته قالت يكتب بقلم حديد ويختم بالزجاج فعلموا انه حجام ٠٠ وحكي بعضهم قال رأيت قبرين مكتوبا على احدهما أنا ابن سفاك دم الملوك وعلى الآخر أنا ابن مستخدم الرياح فسألت عنهما فكان أحدهما ابن حجام والآخر حداداً ٠٠ وقال آخر رأيت قبرين مكتوبا على أحدهما من رآني فلا يصغر قدري أما كنت أجلب الرياح وأفرقها وعلى الآخر كذب ابن الفاعلة انما كان يجمع الرياح فى الزق ينفخ فيه قال فما رأيت مشاجرة بين موتى غيرهما ٠٠ ووقع بين مسكين الدارمي وزوجته سب فقال مسكين

ناري ونار الجار واحدة　　واليه قبلي تنزل القدر

فقالت امرأته القدر لجاره فهي تنزل اليه قبله ثم قال

ماضر لي جاراً أجاوره　　ان لا يكون لبابه ستر

قالت بل يتسور على جارته فلا يحجبها سترها منه ٠٠ ويقولون في الكناية عن قيم الحمام فلان يكسو الناس مدارع خضرا أي يطليهم بالنورة والزرنيخ قال الشاعر

ان مات شيخك لم يكن أحد　　يكسو الأنام مدارعا خضرا
كم قد كساني ثوب خلعته　　ما خاط عروته ولا الزرا

وقيل لحائك ماصناعتك قال زينة الاحياء وكسوة الموتي ٠٠ وسئل الشعبي عن رجل فقال انه لنافذ الطعنة ركين المقعدة فاذا هو خياط ٠٠ وروي ان سوار الكاتب قيل له ان غلامك هذا الاسود امتهنك فقال بل أنا أمتهنته عمدت الي أكرم عضو فيه فاستعملته فى أقذر مدخل في فكيف ترى اعتذار هذا الساقط الذى قد عبر عن فعله الخسيس بهذا المعنى ٠٠ وفى ذلك أنشدنى القاضي أبو القاسم التنوخي قال أنشدنا أبو عمر قال أنشدنا محمد عبد الله بن حريث الكاتب قال أنشدنا أبو محمد الانبارى لابى نعامة

قلت له اعذله فى استه　　وكان لايصغى الى العذل

وقلت يامسكين خربتها ... مالم يخرب هدف النبل
فقال بالله ولكنني ... عمرتها والبيت بالاهل
وانما يخرب بيت اذا ... كان له خرج بلا دخل

وأطبع من هذا قول أبي اسحاق الصابي في معناه

رأيت ابن نصر سالكا في لواطه ... طريقا يضيق العذر عنه ويفسد
يحب الرجال حين تمت لحاهم ... ونموا ولا يهواهم وهم مرد
وقد لامهم فيه رجال فردهم ... ببيت ثنى أقوالهم فيه وارتدوا
أقلوا عليهم لا أبا لابيكم ... من اللوم أوسدوا المكان الذي سدوا

وأنشدت للعباس الخياط المصيصي فيما يجري هذا المجرى

بالثغر قاض قال هل لك حاجة ... عندي فقلت له بحد تبسم
ما هذه الادمات في استك قال لي ... أشطان بئر في لبان الادهم
قلت احتججت فالترس قد بدا ... فيه لعبدك طعن رمح محكم
فرنا الي وقال لي متبسما ... ليس الكريم على القنا بمحرم

﴿ الباب السادس عشر ﴾

في وصف الاشياء بغير صفتها بقوة العبارة وقلب المعاني عن صيغتها

حكي عن اسحاق الموصلي قال عاتب عبد الملك بن صالح يحيي بن خالد البرمكي عن شئ فقال له يحيي أعيذك بالله ان تركب مطية الحقد فقال عبد الملك ان كان الحقد عندك بقاء الشر والخير لاهلهما انهما عندي لباقيان •• وعبد الملك هو أول من مدح الحقد واحتج له ومدحه ابن الرومي بعد ذلك فقال

وخير سجيات الرجال سجية ... توقيك ماتسدي من القرض والقرض
وما الحقد الا توأم الشكر في الفتى ... وبعض السجايا ينتسبن الى بعض

فحيث ترى حقدا على ذى اساءة ... فثم ترى شكرا على حسن القرض

اذا الارض ردت ريع ماأنت زارع ... من البذر فيها فهي ناهيك من أرض

ولولا الحقود المستكنات فى الورى ... لينقض وترآخر الدهر ذو نقض

وقد أحسن ابن الرومي وأبدع فى مدح الحسد وعذر أهله فقال

أى شئ يكابد المرء في الدنيا ... الامر مايستهل الوليد

لا تلومن حاسدا ألم النفـ ... ـس من النحس يا أخي شديد

وابن الرومي فى قدرته على الكلام وتمكنه من التصرف فى شعره يصف الاشياء بصفتها ويحليها بغير حلاها فقال يمدح الموت وخالف الناس

قد قلت اذ مدحوا الحياة فاسرفوا ... فى الموت ألف فضيلة لاتعرف

منها أمان لقائه بلقائه ... وفراق كل معاند لاينصف

روي أيضاً يذم الورد على تفضيل الناس له

وقائل لم هجوت الورد معتمدا ... فقلت من بغضه عندى ومن سخطه

كأنه سرم بغل حين يفتحه ... عند البراز وباقي الروث في وسطه

وقال عبد الملك بن صالح في ذم المشورة ما استشرت أحداً قط الا تكبر عليك وتصاغرت لديه ودخلته العزة ودخلتك الذلة فعليك بالاستبداد فان صاحبه مبجل في العيون مهيب في الصدور واذا افتقرت الي العقول حقرتك العيون فيتضعضع شأنك وتخف بك أركانك ويستحقرك الصغير ويستخف بك الكبير فذم المشورة كما ترى وان كانت ممدوحة •• وقال ابن هرمة يمدح المنصور ويصفه بترك المشورة

اذا ما أراد الأمر ناجي ضميره ... فناجي ضميرا غير مختلف العقل

ولم يشرك الادنين فى جل أمره ... اذا انتقضت بالاضعفين عري الحبل

قال عيسى بن على بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهما مازال المنصور يشاورنا حتى مدحه ابن هرمة بهذه الابيات فما شاورنا بعدها •• وقال آخر يذم المشورة

وما العجز الا ان تشاور عاجزاً ... وما الفتك الا أن تهم فتفعلا

والمقدم فى هذا كله قول سعد بن ناشب المازني وهو أحسن ماقيل فيه

اذا هم أمضى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر فى رأيه غير نفسه ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

وقال بشار فى مدح المشورة برواية الأصمعى

اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن برأى نصيح أو مشورة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فريش الخوافي قوة للقوادم

قال الأصمعي قلت لبشار ما أحسن أبياتك ياأبا معاذ يريدها فقال أو ماعلمت ان المشاور بين احدي الحسنيين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك فى مكروهه فقلت له هذا والله أحسن من الشعر ٠٠ وقال بعضهم يذم الحلم

أباحسن ما أقبح الجهل بالفتى وللحلم أحيانا من الجهل أقبح
اذا كان حلم المرء عون عدوه عليه فان الجهل أعفى وأروح
وفى الحلم ذل والعقوبة نجدة اذا كنت تخشى كيد من عنه تصفح

وحكي محمد بن حرب قال رأيت العتابى ينادم كلباً يشرب كأساً ويولغه كأساً فكلمته فى ذلك فقال انه يكف عنى أذاه واذي سواه ويشكر قليلى ويحفظ مبيتي ومقيلى فهو من بين الحيوان خليلى قال ابن حرب فتمنيت أن أكون كلباً لاحوز هذا النعت ٠ وأحسن ماقيل في مدح الكلب قول القائل

أوصيك خيراً به فان له خلائقاً لاأزال أحمدها
يدل ضيفى علىّ فى غسق الليـ ل اذا النار نام موقدها

وقال ابن الرومى فى ذم القمر

ياسارق الأنوار من شمس الضحي يامثكلى طيب الكري ومنغصي
أما ضياء الشمس فيك فناقص وأرى حرارة نارها لم تنقص
لم يظفر التشبيه منـك بطائـل متسلخ بهقاً كلون الأبرص

وقال العلماء فى ذمه نثراً منها انه يهدم العمر ويقرب الأجل ويوجب أجرة المنزل ويحل الدين ويلزم الخراج ويشحب الألوان ويقرض الكتان ويفضح العاشق الطارق ويسخن الماء ويفسد اللحم ويشبه البرص ٠٠ وقد أحسن أبو محمد البصرى المخزومى فى ذم البـدر

وتروى لابن الرومي وهي به أشبه

رب عرض مبرئ من عيوب　　دنسته صحائفات الهجاء
لو أراد الاديب أن يهجو البد　　ر رماه بالخطة الشنعاء
قال يا بدر أنت تغدر بالسا　　ري وتغري بزورة الحسناء
يعتريك المحاق في كل شهر　　ثم يمحوك من أديم السماء
وتبيد الاعمار بين انتقاص　　وانسلام فى بكرة وعشاء
كلف في شحوب وجهك يحكي　　نكتا فوق وجنة برصاء
تنتن اللحم حيث ما تدرك اللحـ　　ـم بلا حائل وغير غطاء
وتذيب الكتان حتى براه　　لابسوه من أرذل الاشياء
وتهم السكان ان يجمعوا الما　　ل ويهدوه الى الامراء
وباحدى عينيك ضيق وبا　　لاخرى اتساع كزورة عوراء
ويريك السرار فى آخر الشهـ　　ـر شبيه القلامة الجذاء
واذا البدر نيل بالهجاء فليخـ　　ـش أولو العقل ألسن الشعراء

وقد ظرف بعضهم فى هجو القمر حيث يقول

أراد زيارتى فنهاه عنى　　ضياء البدر في ليل المصيف
فبات لما لقيت قرير عين　　وبت بليلة الدنف النحيف
فلولا انه للحب شبه　　دعوت عليه عاما بالكسوف

ولبعض الشعراء فى مدح البرص

ياعتب لاتستنكرى نحو لى　　ووضحا أوفى على حقبلى
فان نعت الفرس الرجيل　　يكمل بالغرة والتحجيل

وقال ابن هند الحمصي يخاطب أبا العلاء المعرى

أبا العلاء بن سليمانا　　ان العمى أولاك احسانا

وقال أبو العلاء فيه

قالوا العمي منظر قبيح　　قلت لعمرى بكم يهون

والله ما في الانام حر ، تأسى على فقده العيون

كأنه ينظر الى ماحكى ان بشارا قال له بعضهم ان الله تعالى اذا سلب كريمتي العبد عوضه ماهو خير منهما فما الذى عوضك قال أن لا أراك .. وأنشد السرى الرفا فى كتاب المحب والمحبوب لبعضهم يمدح غلاما أحول

ومنقلب طرفه فاتن ، يقلب بالطرف منا القلوبا
فعين توهمنى موعدا ، وعين تشاغل عنى الرقيبا
يصانع خصمين فى لحظة ، فلن أستريب ولن يستريبا

وأنشد لأبي حفص الشطرنجي يمدح حول نفسه

حمدت الاهي اذ بليت بحبها ، على حول يغنى عن النظر الشزر
نظرت اليها والرقيب يخالني ، نظرت اليه فاسترحت من العذر

ولابى نواس يمدح أعور

أعور المقلة من غير دعج ، لو عداه عور العين سمج
يحسب النكتة في ناظره ، وردة تلمع من غير سبج

وللسرى الرفا فى مدح الزرقة

وقالوا بمقلته زرقة ، تمني يظل لها مطرقا
وهل يقطع السيف يوم الوغى ، اذا لم يكن نصله أزرقا

وفي معناه لآخر

قالوا به زرقة فقلت لهم ، بذاك تمت خصاله البهجه
ماعابه ماترون من زرق ، كم بين فيروزج الى سنجه

وأحسن ماقيل فى هذا قول بكر الكاتب

يامن هو الماء في تكوين خلقته ، ومن هو الخمر في أفعال مقلته
ومن خلعت عذارى فى هواى له ، ومن تهتك ستري في محبته
ومن بزرقة سيف اللحظ طل دمي ، والسيف مافخره الا بزرقته
علمت انسان عينى ان يعوم فقد ، جارت سباحته فى ماء دمعته

وحكي العتبى عن أبيه قال دخل صحارى العبدى على معاوية رضى الله عنه وكان يمازحه فقال يا أزرق فقال البازي أزرق قال يا أحمر فقال الذهب أحمر فقال ماهذه البلاغة فيكم ياعبد القيس قال شئ يعتلج في قلوبنا فتقذفه على ألسنتنا كما يقذف البحر بالزبد قال فما البلاغة قال ان تقول فلا تخطئ وتعجل فلا تبطئ ٠٠ وقال رجاء بن الوليد الاصبهانى

حمدت إلهي اذ بليت بحبه ... على طرش يشفى ويغني عن العذر
اذا ماأراد السر ألصق خده ... بخدي اضطرارا ليس يدري الذى أدرى

ويستحسن قول ابن المعتز فى وصف الرمد

قالوا شكت عينه فقلت لهم ... من كثرة الفتك مسها الوصب
حمرتها من دماء من قتلت ... والدم فى النصل شاهد عجب

ولبعض شعراء الهند فى وصف ناصر الدولة بن مروان يصف رمدا أصابه

قصب الهند والقنا اخوانك ... والمقادير فى العدا اعوانك
أبهذا الامير مارمدت عينك ... حاشا لها ولا اجفانك
بل حكت فعلك الكريم ليضحى ... شأنها فى العلا سواء وشانك
فهي تحمر مثل سيفك فى الرو ... ع وتصفو كما صفا احسانك

وقد أحسن الناجم كل الاحسان في مدح مجدور

ياقمرا جدّر لما استوى ... فأكسب الملح بذاك الكلوم
كأنما غنى لشمس الضحى ... فنقطته طربا بالنجوم

﴿الباب السابع عشر في تأدية المعانى الى المخاطب بما يخفى على الحاضر﴾

حكي أن اعرابياً هوى امرأة فأهدى اليها ثلاثين شاة وزق خمر فتناول الغلام منها شاة وشرب بعض الشراب فلما وصل اليها قالت له قل له ان الشهر كان عندنا محاقا وان سحيما كان مرثوما فلما أخبره بذلك قال أخذت منها شاة وتناولت من الشراب فأقر له بذلك ٠ ومن

ذلك ماروى أن جميلا قال لكثير لو صرت الى بثينة فأخذت لي منها موعداً فقال ان حاشية عمها كثيرة فقال ان الحيلة تأتي من وراء ذلك فأطرق كثيراً ثم قال له افعل متى كان آخر عهدك بها قال يوم كذا قال في أي موضع قال في وادي الدوم وأصاب ثوبها شيء فغسلته قال فأتي الحي فجعل يحدث اليهم حتى أتى عمها فحادثه وقال أسمعك أبياتا في عزة حضرتني قال هاتها فاعلى انشاده لتسمع بثينة وقال

بأن تجعلي بيني وبينك موعداً وان تأمريني ماالذي فيه أفعل

أما تذكريني العهد يوم لقيتكم بأسفل واد الدوم والثوب يغسل

فعلمت ان أباها يقصد بالعلامة فصاحت أخسأ فصاح عمها ما أخسأت قالت كلباً كان يعترينا ليلا ثم رأيته الساعة فرجع كثير الى جميل وقال له ائتها الليلة فانها قدذكرت الليل . . وفي كتاب الملاحن عن أبي القاسم التنوخي عن ابن دريد في أسير بكر بن وائل سألهم رسولا الى قومه فقالوا له لاترسل الا بحضرتنا اشفاقا من أن ينذرهم فجيء بعبد أسود فقال له أتعقل قال اني لعاقل قال ماأراك عاقلا ثم ملأ كفيه من الرمل فقال كم هذا قال لاأدري وانه لكثير قال أيما أكثر النجوم أم التراب قال كل كثيرة قال أبلغ قومي التحية وقل لهم اكرموا فلانا يعني أسيراً في أيديهم فانهم لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قدأدبى وقد شكت النساء وأمرهم أن يعروا ناقتي الحمراء فقد طال ركوبها وان يركبوا جملي الأصهب بآية ماأكلت معكم حيساً وسلوا الحارث عن خبري فلما أدى العبد الرسالة اليهم قالوا لقد جن الأعور والله مانعرف له ناقة ولا جملا أصهب ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث وقصوا عليه القصة قال قد أنذركم أما قوله قدادبى العرفج أي ان الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح وقوله شكت النساء أي اتخذن الشكاء للسفر والشكوة القربة الصغيرة وقوله الحمراء أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان وهي الجمل الاصهب وقوله أكلت معكم حيساً يريد اخلاطاً من الناس قد غزوكم لان الحيس يجمع السمن والتمر والأقط فامتثلوا ذلك وعرفوا ما قال فأخذ هذا المعنى رجل كان أسيراً في تميم فكتب به الى قومه ينذرهم

حلوا عن الناقة الحمراء واقتعدوا العود الذي قد حما في ظهره وقع

ان الذئاب قد اخضرت براثنها والناس كلهم بكر اذا شبعوا

وهذان من أبيات المعانى قال أبو عثمان أراد بالناقة الحمراء الدهناء وهي أرض لبنى تميم تشبيهاً بالناقة لسهولة ركوبها لانها أرض فضاء سهلة واقتعدوا العود أي أسكنوا الصمان وهي بلد لبنى تميم أرض غليظة صلبة والعود المسن من الابل وجعل فى ظهره وقعاً وهو آثار الدبر فى ظهر البعير تشبيهاً للصمان بما قد وطىء وكثرت آثار الناس فيه يقول امتنعوا بركوب الصمان لانه وعر صلب يشق على الخيل ان تطأه وأراد بالذئاب القوم الذين يغزون شبههم بالذئاب لخبثهم وحرصهم على الغارة وقوله قد اخضرت براثنها أي قد أخصبت الارض وكثر الماء والعشب وأمكن الغزو والاقدام مخضرة من الكلأ فجعل الاقدام براثن وقوله والناس كلهم بكر يريد أن بكراً أشد الناس عداوة لبني تميم يقول اذا أربعوا وأخصبوا فعداوتهم كعداوة بكر وأخبر البزار بسنده لابى اليقظان قال مر رجل من بنى تميم يسمى ربيع بن الحارث على الفرزدق وهو ينشد قصيدة له وقد اجتمع اليه الناس فمر فى أبيات كما هي للمخبل السعدى قد سرقها قال فقلت والله لئن ذهبت قبل ان أعلمه ان هذا لشديد وان قلت له قدام الناس ليقمن بي فقلت أكله بشيء يفهمه هو ولايدري الحاضرون ماهو فقلت ياأبا فراس قصيدتك تنول قال اذهب عليك لعنة الله ففطن لها ولم يفطن لها أحد ومعنى قوله تنول أى ان البئر اذاحفرت ثم كبست ثم حفرت قيل لها تنول أراد ان قصيدتك هذه حييت بعدما ماتت وذكر أبو الفرج الاصبهاني فى كتاب الاغانى حكاية تليق بهذا الموضع وهي ماروى عبد الملك بن عمير قال آلي امرؤ القيس بن حجر ان لايتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنين فجعل يخطب النساء فاذا سألهن عن هذا قلنا أربعة عشر فبينا هو فى جوف الليل اذا هو برجل يحمل ابنة له صغيرة كأنها البدر لتمه فأعجبته فقال لها ياجارية ماثمانية وأربعة واثنين قالت اما ثمانية فاطباء الكلبة واما أربعة فاخلاف الناقة واما اثنان فثديا المرأة فخطبها الى أبيها فزوجه إياها وشرطت هي عليه ان تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال فجعل لها ذلك وعلى ان يسوق اليها مائة من الابل وعشرة أعبد وعشرة وصائف وثلاثة أفراس ثم انه أرسل عبده الى المرأة فاهدى اليها نحيامن سمن ونحيامن عسل وحلة من عصب فنزل العبد فى بعض المياه فنشر الحلة فلبسها ثم

أتاها وهي خلوف فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ودفع اليها هديتها فقالت له اعلم ان مولاك ان أبي ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً وان أمي ذهبت تشق النفس نفسين وان أخي يراعي الشمس وان سماءكم انشقت وان وعاءكم نضب فقدم الغلام على مولاه فأخبره فقال اما قولها ذهب يبعد قريباً ويقرب بعيداً فان اباها ذهب يحالف على قومه وقولها ذهبت تشق النفس نفسين فان أمها ذهبت تقبل نفساء وقولها أخي يراعي الشمس فان أخاها في سرح له يرعاه وقولها ان سماءكم انشقت فان البرد الذي بعثت به انشق وقولها وان وعاءكم نضب فان النحيين اللذين بعثت بهما نقصا فاصدقني فقص عليه الغلام القصة ثم ساق مائة من الابل وخرج نحوها ومعه الغلام فقام الغلام يسقي الابل فعجز عنها فاعانه امرؤ القيس فرمي به الغلام في البئر وخرج حتي أتى المرأة بالابل وأخبرهم انه زوجها فقيل لها قد جاءك زوجك فقالت والله لا أدرى أزوجي أم لا ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا فلما أتوه به أكل فقالت اسقوه لبنا خاثرا أي حامضاً فشرب فقالت افرشوا له عند الفرث والدم فنام فلما اصبحت أرسلت اليه انى اريد ان أسألك فقال سليني عما شئت فقالت مم تختلج شفتاك فقال لتقبيلى إياك قالت فم يختلج نخذاك فقال لتوركي إياك قالت عليكم فشدوه وثاقا ففعلوا قال واجتاز قوم بامرىء القيس فاخرجوه من البئر فرجع الي حيه وساق مائة من الابل وأقبل الى امرأته فقال لها قد جاء زوجك فقالت والله لا أدرى أزوجي أم لا ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا فلما أتوه بذلك قال فاين الكبد والسنام والملحي وأبي أن يأكل فقالت اسقوه لبنا خاثراً فأتي به فأبي أن يشربه وقال أين الضريب والرثيئة فقالت افرشوا له عند الفرث والدم فأبى أن ينام وقال افرشوا لى على التلعة الحمراء واضربوا عليها خباء ثم أرسلت اليه هلم شرطي عليك فى المسائل الثلاثة فارسل اليها ان سلى عما شئت فارسلت اليه مم تختلج شفتاك قال لشرب المشعشعات قالت فم يختلج كشحاك قال للبسي الحبرات قالت فم يختلج نخذاك قال لركوبى المطهمات قالت هذا زوجي لعمرى فعليكم به واقتلوا العبد فقتلوه ودخل امرؤ القيس بالجارية

﴿ الباب الثامن عشر في إيراد ألفاظ باطنها بخلاف ظاهرها ﴾

قد يدل اللفظ على المدح بظاهره، وعلى الذم بباطنه والضد من ذلك فيدل على القبيح في الظاهر وهو غير قبيح عند البيان وقد يكون الكلام موجهاً محتملا للذم والمدح عند البيان فما يراد به الذم وظاهره المدح قولهم أراتيه أنه أغر محجلا أي محلوق الرأس مقيداً والحجل عندهم الخلخال والحجول القيد أيضاً لانه في موضع الخلخال والمعروف في الغرة والتحجيل اذا استعملا في الانسان يراد بهما الشهرة والنباهة كشهرة الاغر المحجل من الخيل ومن هذا النوع فلان يصلي ويزكي اذا ركب صلو الفرس وقام لان المزكي المقام مأخوذ من قول الشاعر

ألا لا تصـلي ألا لا تزكي حرام عليك فلا تفـعل

فان المصـلي لدى ربه من النار في الدرك الاسفل

نهاه عن اللواط والقمار واما ماحكاه ابن الاعرابي في نوادره قال لقيت المجيم فقلت كيف أصبحت فقال

وصامت ثلاثا ناقتي بفنائهم ولو مكثت فيهم ثلاثاً لصامت

فمعناه أنا مقيم في ضر ناقتي لم تعتلف ثلاثة أيام وان دام عليها ثلاثة أيام أخر ماتت يقال صل اللحم واصـل اذا انتن نيأ وخم واخم اذا انتن مطبوخا ويقولون في المعنى في كناية المذموم باللفظ الجميل فلان صافي العيش حلو الحياة ويكنون به عن الجاهل اشارة لقول المتنبي

تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى منها وما يتوقع

وكان ابن عائشة كثيرا ما ينشد هذه الابيات

لما رأيت الحظ حظ الجاهل ولم ار المحزون غير العاقل

شربت خمراً من كروم بابل فصرت من عقلي على مراحل

يقول إنه توصل الى تكسب الجهل ليكتسب به الحظ الذي ينحرف عن العلماء ويتوفر على الجهال وذلك مبالغـة في ذم الزمان ووصفه بمساعـدته الجاهل ومعاندته العاقل

وقال أرسطاطاليس العقل سبب رداءة العيش وتقول العرب استراح من لاعقل له وقال امرؤ القيس

وهل ينعمن الا سعيد مخلد　　قليل الهموم مايبيت بأوجال

وللمخلد تأويلان أحدهما من الخلود أى لاينبغي أن ينعم إلا من يكون سعيدالجد مخلدا فاما من يكون نصب مكاره الدنيا وفجائعها فلا والثاني ان المخلد المقرط من الخلدة وهي القرط وفسر قوله تعالى ولدان مخلدون أي مقرطون ومعناه لاينعم إلا الصبي لانه لاحزم له ولاتدبير ويقولون فلان حسن الظن كناية عن الغافل المغتر اشارة لقول القائل

وحسن الظن عجز في أمور　　وسوء الظن أخـذ بالوثيق

ويقولون هو سليم الصدر اشارة لقوله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله فى أمر الدنيا الاكياس فى أمر الآخرة وكان بعض الظرفاء اذا أراد ان يلاعب انساناً قال له أعددت لك مايؤنس المتوحش ويبسط المنقبض وينشط الكسلان ويضحك الثكلان يكنى به عن الصفع وكان يقول في مثل ذلك أنت مطبوع الوف مطواع يظهر المدح وهو يكنى به عن الكلب لانه ليس فى الحيوان آلف لصاحبه منه وكان يقول أنت ثقيل الوطء يظهر به مدحه بالشجاعة وهو يكنى به عن الكلب لانه وطئته ثقيلة وكان اذا دعا للواحد قال له أعزك الله ثم يقول مرادى أن يعزأ حتى لايوجد فى الدنيا وسمعت البغداديين يقولون اذا تناغلوا على انسان سترك الله بستره أى رمي عليك حائطا يسترك ومن هذا لما سئل المدني عن امرأة تزوجها فقال فيها خصلتان من خصال الجنة فظن السامع انه يمدحها فقال وما هما قال البرد والسعة وحكي ان بعض المجان سئل عن امرأته فقال هي كباقة نرجس رأسها أبيض ووجهها أصفر ورجلاها خضر ونظم هذا المعنى أبو محمد الادرلى فقال فى امرأة تزوجها

أبنت أبي اسحاق هل أنت نرجس　　فان كلا شخصيكما متماثل

فساقاك خضراوان والرأس أبيض　　ووجهك مصفر وجسمك ناحل

ومن الكلام الذى ظاهره قبيح وباطنه بخلافه قول العرب من بطل ايرابيه ينتطق به فان اللفظ شنيع وهو كناية عن كثرة الاخوان تمثل به على بن أبي طالب رضى الله عنه

والمراد به من كثرت اخوانه اشتد ظهره بهم كالمنطقة تشد الظهر قال النابغة الذبياني

فلو شاء ربي كان ايرابيكم طويلا كاير الحارث بن سدوس

وكان للحارث بن سدوس احد وعشرون ذكرا واما قولهم من يطل ذيله ينتطق به فليس من هذا المعنى بسبب وانما أرادوا من يجد سعة يضعها في غير موضعها هكذا حكاه الاصمعي وطول الذيل كناية عن الغنى لان الغنى يظهر ولا يخفى قال الشاعر

ان الغنيّ طويل الذيل مياس

وهذا كما يقال من كثر زيته دهن أسته وتقول العامة من كثرت بنادقه رمي طير الماء وحكى السدى قال كانت جارية ببغداد يقال لها خنسا وكانت ظريفة مطبوعة على قول الشعر فدخل عليها بعض الادباء فقال لها اني أريد ان أطرح عليك شيئاً من الشعر فان أذنت قلت وان أبيت سكت قالت هات فأنشدها

حاجيتك ياخنسا في ضرب من الشعر
وفيها قدره شبر وقد يوفى على الشبر
له في رأسه شق وطرف بالندى يجرى
فان بل أتى بالعجب العاجب والسحر
أبيني لم أرد فحشاً ورب الشفع والوتر

فغضب مولاها فقال تفحش بجاريتي وتقول اكتناه فلما رأت الجارية ماحل بمولاها قالت يامولاى لم يرد فحشاً وانما أراد به القلم قال صدقت ومن هذا النوع ماحكاه ابن الاعرابي

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بعيدا من اسم الله والبركات

أى بعيدا من السفر فكنى به عن ذلك لان أصحابه يقولون ارحلوا على اسم الله وبركاته ومنه أيضا يقولون في الكناية عمن يطيل سكوته أبخر منتوف السبال فلفظ الكناية بشع والمكنى عنه بخلافه ومن حكم الكنايات أن تكون بخلافه وانما كنوا عنه بذلك تشبيهاً له به لان الابخر يحترز من الكلام حتى لايظهر بخره لجليسه واذا كان منتوف السبال كان أشد احترازاً وما أطبع قول السرى الرفا

حلقت سبالك جهلا بما يواريه عن عورات قباح

فعذبت أصحابك حتى المسا وعذبت عرسك حتى الصباح

فلا يبعد الله ذاك السبا ل فقد كان ستراً على مستراح

وتقول العامة في الكناية عن الشمس خرية السحر وحكي بعضهم انه قال للمأمون أنت أحمد الناس فغضب من ذلك فقال نحمد على المكارم فلا تدع لاحد مكرمة الا سبقت اليها فأعجبه ذلك ووصله وقريب منه ما حكي ان وفد العراق قدموا على سليمان بن عبد الملك فقام خطيبهم فقال يا أمير المؤمنين ما أتيناك رغبة ولا رهبة قال سليمان لم جئت لا حياه الله بك قال نحن وفود الشكر أما الرغبة فقد وصلت الينا منك في رحالنا واما الرهبة فقد امناها بعدلك وقد حببت الينا الحياة وهونت علينا الموت فاما محبتنا الحياة فلما أذقتنا من العدل واما تهوين الموت فلما نثق به منك فيمن نخلف من أعقابنا قال فاستحيي سليمان مما استقبله به وأحسن جائزته وجوائز أصحابه وروي ان الحجاج سأل اعرابيا فقال كيف كانت سنتكم هذه قال تفرقت الغنم ومات الكلب وطفئت النار فقال لاصحابه أترونه ذكر خصباً أم جدبا قالوا بل جدبا شديداً قال ما أقل بصركم بأمر العرب انما ذكر خصبا وذكر ان الغنم تفرقت وصرفت وجوهها الى المرعي ومات الكلب حين لم يبق من الغنم شيء فيأكل من لحمه وطفئت النار لاكتفاء الناس باللبن عن اللحم وتقول العرب في الخصب نبح الكلب السماء قال الشاعر

وما لي لا أغزو وللدهر كرة وقد نبحت حول السماء كلابها

يريد كثرة المطر وكثرة العشب وامتلاء الغدران فالكلب ينبح السماء من إلحاح المطر ويقال في المثل ما يضر السحاب من نبح الكلاب قال الكميت

فانكم ونزار في عداوتها كالكلب هر على وطفاء مدرار

ومن الكلام الموجه المحتمل للمدح والذم ماحكي ان خياطا اعور خاط قباء لسلم الخاسر ثم قال له قد خطت لك قباء لاتبالي ان تلبسه مصلوبا أو مستويا فقال سلم وأنا قلت فيك شعراً لايدرى أحد أمدحتك فيه أم هجوتك وأنشد

خاط لي زيد قباء ليت عينيه سواء

قل لمن يعرف هذا أمديح أم هجاء

ويقرب من هذا ان المأمون لما بنى على بوران بنت الحسن بن سهل وصل أبوها جميع من كان بحضرته من الشعراء المجيدين وغيرهم وأغفل أبا التبعي القاسم بن طرخان وكان سهل الخاطر مطبوع الشعر فقال والله لاقولن بيتين لايدري أحد أمديح أم هجاء ثم قال

بارك الله للحسن ولبوران في الختن
ياامام الهدى ظفر ت ولكن ببنت من

ومن ذلك قول المتنبي في مدح كافور

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران

فانه يحتمل المدح ويحتمل الهجاء بان يكون معناه أنت ساقط دنى والساقط لايعاديه إلا مثله فاذا كان معاديك مثلك فهو مذموم بكل لسان كما انك كذلك ولو عاداك الشمس والقمر لسقطا بمساجلتهما اياك يدل عليه قوله بعده

ولله سر في علاك وانما كلام العدا ضرب من الهذيان

فانه في الهجاء أظهر بأن يكون مراده في بلوغك هذه المنزلة التي لاتستحقها ولا تستوجبها سر لله تعالى غير مطلع عليه أحداً وله وجه في المدح بان يكون مراده ان الله تعالى مابلغك هذه المنزلة إلا وأنت تستحقها فيما بينك وبينه

الباب التاسع عشر في رموز جارية بين الأدباء ومداعباتهم بمعاريض لايفطن لها غير البلغاء

قال القاضي أبو العباس هذا باب جم الفوائد كثير النوادر يتضمن أنواعا من الملح وأصنافا من الظرف من ذلك ماروي ان أبا غسان المسمي مر بأبي غفار السدوسي فقال له ياأبا غفار مافعل الدرهمان فقال لحقا بالدرهم أراد بالدرهمين قول الأخطل

فان تمنع سدوس درهميها فان الريح طيبة قبول

وأراد الآخر

وفي جعد لؤم وفي آل مسمع صلاح ولكن درهم القوم كوكب

وحكى محمد بن عقال المجاشي قال كنت عند يزيد بن مزيد وهم يعرضون عليه السيوف فناولني سيفا وقال كيف ترى سيفي هذا قلت نحن بالتمر أبصر منا بالسيوف أراد الاول قول جرير في الفرزدق

بسيف أبي رغوان قين مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الامام فأرعشت يداك وقالوا محدث غير صارم

وأراد الثاني

لقد أفسدت أسنانه بكر بن وائل من التمر ماقد أصلحته ثمارها

ومما يحكى في التصريح من ذلك دون الرمز ماحكاه الأصمعي قال وقف الفرزدق على بغلته على قوم من بني عبس فقال من هذا الذي يقول

فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

والبيت للفرزدق فقال خزيمة بن نضر وهو يومئذ غلام فقال الذي يقول

بسيف أبي رغوان قين مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

فقال الفرزدق لبغلته عدس البادى أظلم وحكى المبرد في الكامل ان رجلا من تميم قال لشريك النميري مافي هذه الجوارح أحب اليك من البازي فقال نعم اذا كان يصيد القطا أراد قول جرير القائل

أنا البازى المطل على نمير أتيح من السماء له انصبابا

وأراد شريك قول الطرماح

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت طرق الهداية ضلت

وحكي ان رجلا من بني محارب دخل على عبد الملك بن يزيد الهلالي بارمينية وهو واليها فقال عبد الملك ماذا لقينا الليلة من شيوخ بني محارب ماتركونا ننام وعنى به الضفادع وأشار لقوله

تكش بلا شئ شيوخ محارب وماخلتها كانت تريش ولا تبري
ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت فدل عليها صوتها حية البحر

فقال المحاربى أصلحك الله أنهم أضلوا برقعا البارحة فكانوا يبغونه وأشار لقول الشاعر

لكل هلالى من اللؤم برقع ولابن يزيد برقع وجلال

وفى كتاب الجوابات عن عساكر ابن ذكوان باسناده عن أبي الطيب قال قيل للفرزدق ان ههنا اعرابيا ينشد شعرا له قال له من أنت قال رجل من بنى فقعس قال كيف تركت القنان قال تركته يساير لصاف أراد الفرزدق

ضمن القنان لفقعس سوآتها ان القنان لفقعس لمعمر

وأراد الفقعسى قول أبي مهوس الشاعر يهجو بنى تميم

واذا يسرك من تميم خصلة فلما يسؤك من تميم أكثر

أكلت أسيد والجهيم ومازن ابر الحمار وخصيته العنبر

قد كنت أحسبهم أسود خفية فاذا لصاف يبيض فيها الحمر

قال وقرأت في الكتاب المذكور ان الاحنف لما قدم على معاوية كان عنده عمرو بن العاص فقال عمرو لمعاوية أتأذن لي أن أمازح الاحنف فقال لاتفعل فانه معد للجواب فأبي إلا ان يمازحه فقال يا أحنف مامعنى قول الشاعر وهو يزيد بن الصعق الكلابى

اذا مامات ميت من تميم وسرك ان يعيش فجيء بزاد

بخبز أو بسمن أو بتمر أو الشيء الملفف فى البجاد

تراه يطوّف الآفاق حرصا ليأكل رأس لقمان بن عاد

قال السخينة رحمك الله فقال معاوية ذق عقق والسخينة تعير بها قريش قال الانصاري في هجائه قريشا

زعمت سخينة ان ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب

وهذا الانصارى كعب بن مالك رضي الله عنه ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له اما ان الله لم ينس قولك يعنى البيت وأول من هجا قريشا بذلك خداش بن زهير العامري فى قوله

ياشدة ماشددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم

اذ يتقينا هشام بالوليد ولو انا ثقفنا هشاما شالت الحزم

وأما قول معاوية ذق عقق فهو معدول عن عاق مثل قولهم ياغدر يافسق يالكع وما أشبهه وأول من لفظ بهذا المثل أبو سفيان بن حرب حين رأى حمزة عليه الرضوان صريعا يوم أحد وحكي عن عبد الله بن سوار قال كنا على مائدة اسحاق بن عيسى ابن علي نتغدى فأتينا بالخزيرة قد عملت بالسمن والسكر فجعل معدل بن غيلان يقول مارأيت أصلحك الله خزيرة أطيب من هذه وجعل يكرر والخزيرة من السخينة فظن اسحاق أنه يعرض به فقال قد أكثرت يامعدل أحد لايذكرك معايبك فقال أصلح الله الامير معايبي لاتذكر على الخوان وكان معدل عبدي وتعير عبد القيس بالفسا وقد أكثر الشعراء في ذلك وكان سنان النميري يماشي عمرو بن هبيرة الفزاري وهو على بغلة فتقدمت فقال عمرو غض من بغلتك فقال أصلح الله الامير انها مكتوبة أراد ابن هبيرة قول جرير

فغض الطرف انك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأراد سنان النميري قول ابن دارة

لاتأمنن فزاريا خلوت به ... على قلوصك واكتبها باسيار

والاصل في الثاني ان بني فزارة كانت تعير باتيان الابل وفيهم يقول الفرزدق

أمير المؤمنين وأنت بر ... كفي لست بالجشع الحريص

أأطعمت العراق ورافديه ... فزاريا أخذ يد القميص

ولم يك قبلها راعي مخاض ... لتأمنه على وركي قلوص

تفنق بالعراق أبو المثنى ... وعلم قومه أكل الخبيص

ـ الرافدان ـ دجلة والفرات لكثرة الانتفاع بهما وقوله لتأمنه على وركي تعريض باتيانهم الابل وقوله تفنق أي تنعم وامرأة فنق أي ناعمة وقوله أخذ يد القميص كناية عن السرقة والخيانة مأخوذ من الخذد وهو الخفة في موضع آخر فان ذهبت به مذهب الخفة كان معناه ان كمه قصير فيده بادية للاخذ والخيانة فيكون كناية عن السرقة ويحتمل ان يكون كناية عن الدناءة والخسة وترك الهمة لان ادوان الناس أكمامهم قصيرة وأكثرهم يلبسون الصدر وفي هذه الابيات نادرة وهي ماحكي أبو عبيدة عن

عبد الله بن عبد الاعلى قال كنا نتغدى عند عمرو بن هبيرة فأحضر طباخه جامة خبيص فكرهه للبيت السائر إلا ان جلده أدركه فقال ضعه ياغلام وأنشد

تفنق بالعراق أبو المثنى   وعلم قومه أكل الخبيص

قال المبرد وقد يشير البيت الى واحد فيرى عليه أثره أبد القول أبو العتاهية في عبد الله ابن معن بن زائدة وقد أتاه وعيده وتهدده

لقد بلغت ماقل   فما باليت ماقالا
ولو كان من الاسد   لما شال ولا صالا
فما تصنع بالسيـ   ـف ان لم تك قتالا
فكسر حلية السيف   وضعها لك خلخالا

قال فكان ابن معن اذا لبس الثوب وتقلد السيف فيرى من يرمقه بأن أثره عليه ويتبين الخجل عليه ونظيره ماحكى ان جريرا لما قال

والتغلبي اذا تنحنح للقرى   حك استه وتمثل الامثالا

قال والله لقد قلت فيهم بيتا لو طعنوا بالرماح في استاههم لما حكوها وحكى أبو عبيدة عن يونس قال قال عبد الملك بن مروان وعنده رجال هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعر ودوا أنهم افتدوا منه بأموالهم فقال اسماء بن خارجة الفزارى نحن ياأمير المؤمنين قال وما قيل فيكم قال قول الحارث بن ظالم المرى

وما قومي بثعلبة بن سعد   ولا بفزارة الشعر الرقابا

فوالله ياأمير المؤمنين انى لألبس العمامة الصفيقة فيخيل لى أن شعر قفاى قد بدا منها ومثله ماروي ان عبد الله بن كعب كان يقال له العجلان لتعجيله القرى على أضيافه فلما قال النجاشي فيه

وما سمي العجلان إلا لقولهم   خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فصار الرجل منهم اذا سئل عن نسبه قال كعبي وترك ان يقول عجلانى وحكى الهيثم ابن عدي قال اختصم الوليد بن شريح مولى عمرو بن حريث وزوجته الى عبد الملك ابن عميرة قاضي الكوفة فتوجه القضاء على الوليد فحكم عليه عبد الملك فقال هزيل

لقد عثر القبطي أول زلة وكان وما فيه العثار ولا الزلل
أتاه وليد بالشهود يقودهم على ما ادعى من صامت المال والخول
يسوق اليه كلها وكلاهما شفاه من الداء المخامر والخبل
فأدلى وليد عند ذاك بحجة وكان وليد ذا مراء وذا جدل
فأقلت القبطي حتى قضى لها بغير قضاء الله في الحشر والطول
اذا ذات دل كلمته لحاجة فهم بان يقضي تنحنح أو سعل
له حين يقضي للنساء تخاوص وكان وما فيه التخاوص والحذل

فقال عبد الملك ماله قاتله الله والله ان التنحنح ليأخذني في الخلاء وأنا أرده وانما قيل لعبد الملك قبطي لأنه كان له فرس يدعي القبطي فغلب عليه واعلم ان الهجو كما يضع الرفيع كذلك المدح يرفع الوضيع لما روى ان بني أنف الناقة من بني قريع كانوا اذا ذكر عندهم أنف الناقة أو نسبوهم اليه غضبوا الى ان قال فيهم الحطيئة

سيري امام فان الاكثرين حصى والاكرمين اذا ما ينسبون أبا
قوم هم الأنف والاذناب غيرهم ومن يسوى بانف الناقة الذنبا

فصار الرجل منهم يعجب بهذا الاسم. عيرت فزارة بأيان الابل فانها تعير بأكل جردان الحمار وذلك ان منهم رجلا كان في سفر فجاع فشوى جردان الحمار وأكله وقد أكثر الشعراء في ذلك فقال الفرزدق

جرد اذا كنت مرتادا ومنتجعا الى فزارة عيرا يحمل الكمرا
ان الفزارى لايشفيه من كرم أطايب العير حتي ينهش الكمرا
ان الفزارى لم يعي فيطعمه اير الحمار طبيب أبصر البصرا

وحكي ان فزارة وبني هلال بن عامر بن صعصعة تنافروا الى أنس بن مدرك الخثعمي وتراضوا به فقال بنو عامر يابني فزارة أكلتم جردان الحمار فقالت بنو فزارة لانعرف ذلك ولكن فيكم يابني هلال من قرى حوضه فسقى ابله فلما رويت سلح فيه ومدره بخلا أن يشرب فضلة غيره فقضى أنس على آل الاولين وأخذ الفزاريون منهم مائة من الإبل وكانوا قد تراضوا عليها وفيهم يقول الشاعر

لقد جللت خزيا هلال بن عامر بنى عامر طراً بسلحة مادر

فاف لكم لاتذكروا الفخر بعدها بنى عامر أنتم شرار المعاشر

والمادر الذي لا يتمالك سلاحا وحكي ان المفضل الضبي بعث بأضحية هذيل الى شاعر ثم لقيه فسأله عنها فقال كانت قليلة الدم فضحك المفضل وقال مهلا أردت قوله

ولو ذبح الضبي بالسيف لم تجد من اللؤم للضبي لحماً ولا دما

وحكى ابن الاعرابي قال رأي عقال بن شبة على أصبع بن عياش وضحا فقال ماهذا البياض على أصبعك يا أبا الجراح قال سلح النعامة يريد قوله جزيعة

فضح العشيرة يوم يسلح قائما سلح النعامة شيبة بن عقال

وكان من حديث شيبة بن عقال انه كان مع العباس بن الوليد بن عبد الملك يوم طوانة فخرج رجل من الروم فقال من يبارز وكان أصهب أحمر أزرق فخرج اليه شيبة ابن عقال فلما عاينه نكص فلما بلغ ذلك جريرا باليمامة قال هذا البيت انتهي وحكى أبو عبيدة قال لقي جرير الفرزدق بدمشق فقال له جرير تحبر بالبصرة فقال له الفرزدق هو خير من التمرغ فى طواعين الشام وكان رؤبة يعجب منهما في هذا أراد جرير قول بجيم لهم

تركتم غلاما أمكم فى عدوكم وأحرزتم كنز القيون المحبرا

وهو أول من عير آل الفرزدق بالقيون وأراد الفرزدق بقوله هو خير الخ قول الأخطل لجرير

وابن المراغة حابس اعياره قذف الغريبة مابذقن بلالا

قال أبو زيد النحوي انما نسب جرير الفرزدق الى انه قين لانه كان في بني مجاشع رجلان حدادان كان يقال لاحدهما جبير والآخر داسم

اذا عدت الايام أخزيت دارما وتخزيك يا بن القين أيام دارم

فخرت بأيام الفوارس فافخروا بأيام قينيكم جبير وداسم

وقيل ان أم الفرزدق هلكت فارضعته أم جبير أحد هذين القينين فنسب اليه وأما جرير فانما قيل له ابن المراغة لان بني كليب بن يربوع أصحاب حمير معرفون باتخاذها

واستنتاجها ويرمون بأتيان الأتن كما ترمي فزارة باتيان الابل وفى ذلك حكي بعضهم قال سقط جرير فانكسرت ثنيته فجزع لذلك جزعا شديداً فليم على جزعه فقال والله ماذاك إلا لما تسمعون من الفرزدق

وعت ثنيتك الاتان فشاهد — منها بفيك مبين مستقبل
وعناك حين عجلت قبل وداقها — لكن أبوك الكلب لايستعجل

وحكي نوح بن جرير قال مر الفرزدق بمالنا فوثب عليه قوم منا فقالوا والله لانتركك حتى تأتي الاتان فطالما عيرتنا به فقال والله ماأتيت أتانا قط فقالوا لنقتلنك أو تفعل فقال أما ان كان ولا بد فهاتوا الحجر الذي كان يقعد عليه عطية اذا نزا على الاتان فضحكوا منه وتركوه ومن النوادر الظريفة ان الفرزدق مر بمخنث وقد حمل قماشاً له كان يريد ان يتحول فقال إلى أين راحت عمتنا فقال نفاها الاغر ابن عبد العزيز يريد به قول جرير

نفاك الاغر ابن عبد العزيز — وحقك تنفى عن المسجد

وذلك ان الفرزدق ورد المدينة فأكرمه حمزة بن عبد الله بن الزبير وأعطاه وقصر عن ذلك عبد الله بن عمرو بن عثمان رضى الله عنه فمدح حمزة وهجا عبد الله فقال

ماأنتم من هاشم في سرها — فاذهب اليك ولابنى العوام
قوم لهم شرف البطاح وأنتم — وضر البلاد وموطىء الاقدام

فلما تناشد الناس ذلك بعث اليه عمر بن عبد العزيز ان وجدتك بعد ثلاث عاقبتك فقال الفرزدق من قصيدة

تهددني وتمهلني ثلاثا — كما وعدت بمهلكها ثمود

فقال جرير

نفاك الاغر ابن عبد العزيز — وحقك تنفى من المسجد
وشبهت نفسك أشقى ثمو — د فقالوا ضللت ولم تهتد
وقد أجلوا حين حل العذاب — ثلاث ليال الى الموعد
وجدنا الفرزدق بالموسمين — خبيث المداخل فى المشهد

ويحكي ان عمارة بن الوليد من عقبة بن أبي معيط رأي على الاشعث بن قيس برداً فقال أين نسج هـذا البرد يا أبا محمد فقال يابن أخي بصفورية عرض عمارة بان كندة تعير بالنسج وعرض الاشعث بان آل معيط ينسبون الي صفورية من أرض اليمن وانهم ادعياء ومن الرموز الحسنة ماحكي الاصمعي قال اعتللت فدخلت على الرشيد فقال كيف بت فقلت بليل النابغة فقال لعلك تعني قوله

فبت كأني ساورتني ضئيلة　　من الرقش في أنيابها السم ناقع

فجاء بالذي في نفسي ومارأيت أروى لاشعار الحجازيين منه والعرب تقول في مثل ذلك بات بليل القنفذ لان القنفذ لاينام وحكى أبو عبيدة قال بينا اشراف الكوفة وقوف اذ جاء اسماء بن خارجة الفزاري فوقف وأقبل ابن معكبر الضبي فوقف متنحيا عنه فأخذ اسماء خاتما في يده وفصه فيروزج فدفعه الى غلامه وقال له ادفعه الي ذلك الرجل يعني به ابن معكبر فأخذ ابن معكبر تسعا فربطه مع الخاتم ورده مع الغلام أراد اسماء قول الشاعر

لقد زرقت عيناك يا بن معكبر　　كما كل ضبي من اللؤم أزرق

وأراد الضبي قول ابن دارة

لاتأمنن فزاريا خلوت به　　على قلوصك واكتبها باسيار

واعلم ان هذا من الرموز أشد أنواعها استخراجا وأصعبها استنباطا لخلوه من النطق والاقتصار على مجرد الفعل ومن هـذا القبيل ماحكى ان أبا العيناء أهـدى الى أبي على البصـير وقد ولد له مولود حجرا يذهب به لقوله صـلى الله عليه وسلم وللعاهر الحجر فاستخرجه أبو على بفطنته وتوقدذ كائه ثم ولد لابى العيناء ولد فقال له أبو على في أى وقت ولد قال في السحر قال أطرد قياسـه وخرج في الوقت الذى يخرج فيه السؤال يعرض بان أبا العيناء مكد وان ولده أشبهه فيه وسـئل خلف الاحمر عن معـنى قوله صلى الله عليه وسلم وللعاهر الحجر فقال ماأظنه إلا الاثم لانه يثقل كالحجر وفسر بعض المفسرين قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فقال الحجارة الآثام على هـذا التأويل وقال غيره أراد بالحجر الرجم وقال وللعاهر أراد وعلى العاهر كقوله تعالى ان أحسنتم أحسـنتم لانفسكم وان أسأتم فلها أي فعليها وقال غيره أراد بالحجر مالا ينتفع به ولا

بمحصوله يريد الخيبة كما يقولون لفلان التراب ومن الرموز بالعمل دون القول ماقرأت في كتاب الامثال عن مؤرج بن عمرو السدوسي قال حدث أبو خالد الكلابي أن الاحوص بن جعفر أتي فقيل له أتانا رجل لانعرفه فلما دنا من القوم حيث يرونه نزل عن راحلته فعلق وطباً من لبن ووضع في بعض أغصانها حنظلة ووضع صرة من تراب وصرة شوك في بعضها ثم استوى على راحلته فنظر القوم والاحوص من أمره فقال الاحوص أرسلوا الى قيس بن زهير فاتوا قيسا فجاؤا به اليه فقال له الاحوص ألم تخبرني انه لا يرد عليك أمر إلا عرفت مأتاه مالم ترم بنواصي الخيل فقال ماالخبر فاعلموه فقال قد تبين الصبح لذى عينين فصار مثلا يضرب لوضوح الشيء قال أما صرة التراب فانه يزعم انه قد أتاكم عدد كثير واما الحنظلة فان حنظلة أتاكم قد أدركتكم وأما الشوك فان لهم شوكة وأما اللبن فهو دليل على قرب القوم أو بعدهم فان كان حلوا حليبا فقد أتتكم الخيل وان كان لاحلوا ولا حامضاً فعلى قدر ذلك ولكم الرأى وانما ترك الكلام لانه أخذت عليه العهود وقال أنذرتكم ويدخل في هذا الباب قرع العصا التى اختصت به العرب تحكي ان النعمان بن المنذر ورد عليه سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ومعه خيل بعضها يقاد وبعضها عرى مهمل فلما انتهي الى النعمان سأله عنها فقال سعد انى لم أقد هذه لابيها ولم أعر هذه لاهبها فسأله النعمان عن أرضه هل أصابها غيث بحمد أثره ويروى شجره فقال سعد اما المطر فغزير وأما الورق فشكير وأما النبت فكثير فقال النعمان وقد حسده على مارأى من ذرب لسانه وأبيك انك لمفوه وان شئت أنبئك بما تعي عن جوابه فقال سعد قد شئت ان لم يكن منك افراط ولا ابعاط فأمر النعمان وصيفاً فلطمه وأراد ان يتعدى في القول فيقتله فقال ماجواب هذه فقال سعد سفيه مأمور فارسلها مثلا فقال النعمان للوصيف ألطمه أخرى ففعل فقال ماجواب هذه فقال ملكت فاسجح فارسلها مثلا فقال النعمان أصبت فاقعد فمكث عنده مامكث ثم بداله ان يبعث رائدا يرتاد له الكلأ فبعث عمرو بن مالك أخا سعد فابطأ عليه فأغضبه وأقسم لئن جاء حامدا للكلأ أو ذاما ليقتلنه فلما قدم عمرو دخل على النعمان وعنده الناس وسعد أخوه

فيهم وقد كان عرف ما أقسم به النعمان فقال سعد أتأذن لي فاكلمه فقال ان كلمته قطعت لسانك فقال فاشير اليه فقال ان أشرت اليه قطعت يمينك قال فاوحي اليه قال اذن أنزع حدقتيك قال فاقرع اليه العصى قال اقرع فتناول عصى من بعض جلسائه فوضعها بين يديه وأخذ عصاه التي كانت معه وأخوه قائم فقرع بعصاه الاخري قرعة واحدة ثم رفعها الى السماء ثم مسح عصاه بالاخرى فعرف انه يقول قل لم أجد جدبا ثم قرع العصا مراراً بطرف عصاه ثم رفعها شيئاً فعرف انه يقول ولا نباتا ثم قرع العصا قرعة وأقبل بها نحو النعمان فعرف انه يقول كلمه فاقبل عمر بن مالك حتى قام بين يدي النعمان فقال له النعمان هل حمدت خصبا أم ذممت جدبا فقال عمرو لم أذمم جدبا ولم أحمد بقلا ارض مشكلة لاخصبها يعرف ولا جدبها يوصف رائدها واقف ومنكرها عارف وآمنها خائف فقال أولي لك بذلك نجوت فنجا وهو أول من قرعت له العصا قال سعد بن مالك يصف الحال

قرعت العصا حتى تبين صاحبي ... ولم تك لولا ذاك للقوم تقرع

فقال رأيت الارض ليس بممحل ... ولا سارح فيها على الرأى مشبع

سواء فلا جدب فيعرف جدبها ... ولا صابها غيث غزير فتمرع

فنجى بها حوباء نفس كريمة ... وقد كان لولا ذاك فيهم بقطع

وأما قول القائل

وزعمتم أن لا حلوم لنا ... ان العصا قرعت لذي الحلم

فهو عامر بن الظرب كان حكما للعرب يحتكمون اليه فى كل معضلة وهو أول من قضي بالخنثي فاتبعه الناس وقضى بها على كرم الله وجهه فى الاسلام وكان قد أسن فكان يغلط لذلك فقالت له ابنته انك قد صرت تهم فى حكومتك أي تغلط فقال لها اذا رأيت ذلك مني فاقرعي العصا وكانت اذا قرعت له العصا فطن فثاب اليه حكمه وكان يقال لعامر بن الظرب ذو الحلم قال المتلمس

لذي الحلم بعد اليوم ماتقرع العصا ... وما علم الانسان الا ليعلما

وفي الرموز الدقيقة ماحكى ان قتيبة بن مسلم دخل على الحجاج وبين يديه كتاب من

عبد الملك بن مروان وهو مفكر متغير فقال ما يحزن الامير فقال كتاب أمير المؤمنين قال وماذا فيه فناوله الكتاب فاذا فيه أما بعد فانك سالم والسلام فقال له قتيبة مالي ان استخرجت ما أراد به قال لك ولاية خراسان قال يريد به قول الشاعر

يديرونني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والانف سالم

أي أنت عندي مثل سالم عند هذا القائل وعلى ذكر هذا البيت حكى ان رجلا كان يسقي رجلا شرابا صرفا ولا يمزجه وكان يحتاج اليه لقوته وكان يغنى له

يديرونني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والانف سالم

فقال له لو جعلت مالك من البيت في القدح لصاحب البيت والنبيذ جميعا وشبيه بحكاية قتيبة ما حكى ان الحجاج كتب لعبد الملك يغلظ أمر قطرى المازني فكتب اليه عبد الملك أما بعد فاني أوصيك بما أوصى به البكري زيدا فلم يفهم الحجاج ماعني به عبد الملك فقال من جاء بتفسير ما أوصى به البكرى زيدا فله عشرة آلاف فورد عليه رجل من أهل الحجاز يتظلم بعض عماله فقيل أتعلم ماأوصى به البكرى زيدا قال نعم قيل فات الحجاج بذلك ولك عشرة آلاف درهم فدخل عليه فسأله فقال أوصاه بان قال

أقول لزيد لاتوانى برقامهم يرون المنايا دون قتلك أو قتلى
فان وضعوا حربا فضعها وإن أبوا فعرضة نار الحرب مثلك أومثلى
وان رفعوا الحرب العوان التى ترى فشب وقود الحرب بالحطب الجزل

فقال الحجاج صدق أمير المؤمنين وصدق البكرى وكتب الي المهلب ان أمير المؤمنين أوصاني بما أوصى به البكري زيدا وأنا أوصيك بما أوصى به الحارث بن كعب بنيه فنظر المهلب في وصيته فاذا فيها يابني كونوا جميعا ولا تكونوا شيعا فتفرقوا وبزوا قبل ان تبزوا فموت في قوة وعز خير من حياة في ذل وعجز فقال المهلب صدق البكرى والحارث ونظير هاتين الحكايتين ماحكي ابن دريد عن أبي حاتم عن الاصمعي قال بلغنا ان عبد الملك كتب الى الحجاج انك قدح ابن مقبل فلم يدر الحجاج ماعنى به فسأل قتيبة وكان فصيحاً عالماً راوية للشعر فقال قتيبة ان ابن مقبل نعت قدحا له فقال

غدا وهو مجدول وراح كأنه من المس والتقليب بالكف أبطح

وحكي ان المأمون غضب على عبد الله بن طاهر وأراد عبد الله الرجوع فكتب الى صديق له كتابا ووقع في حاشيته ياموسى فلما وصل اليه الكتاب جعل يتأمل ذلك ولا يدري مامعناه فقالت له امرأة صحبته يقول ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فامسك عن القدوم وجعل يلاطفه حتى جلب قلبه ومن غرائب الرموز ماحكى عن الربيع قال حججت مع المنصور فلما دخل المدينة أمر أن آتيه برجل يسايره ويريه طرق المدينة ومنازلها وكان بالمدينة رجل ظريف منقطع فأمرته بمسايرته ففعل وجعل لايسأله عن شئ إلا أخبره وحدثه بمايطربه فقال له المنصور أين منزلك فقال مالى منزل ولا ولد ولا جارية قال فمن أنت قال رجل مغمور لاتبلغه والله معرفتك قال قد أمرت لك باربعة آلاف درهم فرمي بنفسه فقبل رجليه ثم قال لى تنجز ذاك من أمير المؤمنين فقلت له هيهات احتل لنفسك فانه خارج غدا وركب المنصور فدعا به ثانيا ليحدثه فبينماهما يسيران اذ مرا على موضع فقال ياأمير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الاحوص فلم يفطن المنصور فقال أنشدني الشعر فقال انه يمدح عمر بن عبد العزيز قال وان كان فانشده

يا بيت عاتكة الذي أتعزل حذر العدا وبه الفؤاد موكل
أصبحت أمنحك الصدود وانني قسما اليك مع الصدود لاميل

الى قوله

وأراك تفعل ماتقول وبعضهم مذق اللسان يقول مالا يفعل

فضحك المنصور وقال وأبيك لقد أذكرت بنفسك ياربيع مر له فليتزن وقرأت في نوادر ابن الاعرابى قال كان المخبل السعدي في سفر فأم بيتا ضخما في يوم حار فلما وقف عليه سلم فقيل له أي الشراب أحب اليك أنبيذ أم ماء أم لبن قال أيسره وأوجده قالت اسقوا الرجل ماء تمر وأمرت فذبحت له شاة وصنعت فأكل وشرب فلما راح قال جزاك الله خيراً من منزل فما رأيت أكرم منك قال فاذا امرأة ضخمة فقال لها ما اسمك يرحمك الله قالت رهوا قال سبحان الله أماوجد أهلك إسما يسمونك به أحسن من هذا فقالت سميتنى أنت به قال انا قالت أخليدة أنت قالت نعم قال واسوأتاه

والله لاهجوت بعدك امرأة أبداً أوقال تميمية أبداً وأنشأ يقول

لقد ضل حلمي في خليدة انني سأعتب ربي بعدها وأتوب
وأشهد رب الناس ان قد ظلمتها وجرت عليها والهجاء كذوب

قال ابن الاعرابي وكان الاصل فيه ان الزبرقان زوج أخته خليدة هزالا من بني جشم ابن عوف بعد ان قتل الهزال جاراً للزبرقان يقال له مالك بن ضبة بن عبد القيس فهجاه المخبل السعدي فقال

وأنكحت هزالا خليدة بعد ما زعمت لعمر الله انك قاتله
فانكحته رهوا كان عجانها مشق اهاب أوسع السلخ ناجله
يلاعبها فوق الفراش وجاركم بذي شبرمان لم تزمل مفاصله

ــ الرهو ــ الواسع وهو في غير هذا الساكن وشدة السير وطائر يشبه الكركي حكى ذلك ابن الاعرابي ومن المداعبات ماحكي ان عبيد الله بن زياد قال لحارثة بن بدر ركبت الاشقر فجمح بك في مضيق فقال له حارثة لو ركبت الاشهب لم يصبني هذا عنى عبيد الله بقوله ركبت الاشقر شربت الخمر وعنى حارثة لو شربت الماء فانظر الى فطنة كل منهما لاستخراج ما في خاطر الآخر اذ الاشقر لايعرف كناية عن الخمر ولا الاشهب كناية عن الماء وانما هو على حسب ما خطر لهما في الحال وقال ابن المعتز

وليلة من حسنات الدهر ما ينمحي موضعها من صدري
سربت فيها بخيول شقر سياطها ماء السحاب السفر

أى مزجت الخمر بالماء ومما يجرى هذا المجرى ماحكي ان ثعلبا قال لرجل أطال الجلوس عنده بلغك خاتم طاووس فلم يعرف مراده فقال كان نقش خاتمه أبرمت فقم فاذا دخل عليه من يتبرم منه عرض عليه الخاتم فاحوجه الي القيام وقريب منه قول الشاعر

ويدعي الشرب في كأس وفي قدح وأم عنترة العبسي تكفيه

أى تكفيه زبيبة لان ذلك اسم أم عنترة وتقول العامة في الدعاء المرموز لاحاه ولاباه يريدون لاحياه الله ولابياه ومن المدعبات ماروى ان عبد الملك قال لعقيل بن أبي طالب شابت عنفقتك يا أبا يزيد قال ان الجوارى يلثمن فاي ولا يشممن قفاى يعرض له

بالبخر فان عبد الملك كان أبخر ولبخره كان يسمى أبا الذباب لكن فى اسناد هذه الحكاية لعقيل مع عبد الملك نظر لان عقيلا لم يبق لزمن عبد الملك وصحتها ان المداعب لعقيل كان معاوية بن أبي سفيان انتهي ومن حكايات عبد الملك ماروي ان أم بنت عبد الله بن جعفر رضي الله عنه كانت تحته فروى انه عض على تفاحة ورمى بها اليها فأخذت السكين وحلقت موضع العضة فقال لها عبد الله ماتصنعين قالت أميط عنها الاذى فطلقها فتزوجت بعده بعلى بن عبد الله بن العباس رضي الله عنه وكان أصلع لايرفع العمامة والقلنسوة عن رأسه فدس اليها عبد الملك جارية تعيرها بصلعته فقالت قولي له اصلع من بنى العباس أحب الى من أبخر من بنى أمية ومن التعريض فى المداعبات ما حكى محمد بن يحيي قال لقى سليمان بن المنذر العبدي الفرزدق على فرس قد استعاره فقال ياأبا فراس من ذا الذي يقول

وجدنا في كتاب بنى تميم   أحق الخيل بالركض المعار

فقال الفرزدق يقوله الذى يقول

معاقر قهوة ونديم زير   وعبدي لقفـونه بخار
رباط الخيل في أفناء بكر   وأقصي خيلها خشب وقار

﴿ الباب العاشر فى المسمى والمكنى ﴾

من الاسماء المسماة ما جاء فى ذلك من الآباء قولهم أبو حباحب كنية للنار التى لاينتفع بها مثل النار التى تخرج من حوافر الخيل ويقال لها حباحب قال النابغة

تقد السلوقي المضاعف نسجه   وتوقد بالصفاح نار الحباحب

أراد ان السيوف تقد الرجال وعليهم الدروع السلوقية فتقطعها حتى تصل الي الارض فتصيب الحجارة فتقدح نار الحباحب وذكر بعضهم ان أبا حباحب كان رجلا من بخلاء العرب يخفى ناره خوف الاضياف فجعلها العرب مثلا لكل نار ضعيفة لاتحرق وقيل نار الحباحب طائر أحمر الريش يطير بين المغرب والعشاء يخيل للناظر ان في

جناحه ناراً وقال ابن الحاجب مشتقة من الحجبة وهي الصعف وابن الحاجب هو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت رحمه الله تعالى أبو عذرها وأبو عذرتها لاول زوج المرأة ويكنون به عن المبتكر للامور والمخترع لها قال ابن الاعرابي أبو مالك الهرم وأنشد

أبا مالك ان الغواني هجرنني أبا مالك ما ان أخالك ناجيا

وأبو مالك الجوع قال الشاعر

أبو مالك يعتاده في الظهائر يجيء فيلقي رحله عند جابر

ـ وجابر ـ الخبز قال ابن الاعرابي اخذر مبح أبي سعد اذا شاخ وكبر ورمح أبي سعد كناية عن العصا وأبو سعد هو أول من استعان بالعصا على الكبر وهو مزيد بن سعد رجل من عاد فقيل لكل من شاخ واحتاج الى أخذها أخذ رمح أبي سعد قال ذو الاصبع

اما ترى شكتي رمح أبي سعـ ـد فقد أحمل السلاح جميعا

وحكي أحمد بن أبي طاهر قال صرنا الي الجاحظ وقد بدا به الفالج وكان في منظرة له وخاقان خادمه واقف على رأسه وقرعنا الباب فما فتح لنا ثم أشرف علينا من المنظرة وقال إلا اني حولقت وأخذت رمح أبي سعد وسقت العنز فما تصنعون بشق مائل ولعاب سائل سلموا تسليم الوداع وانصرفوا وفي فتيا العرب هل على أسير أبي سعد صوم قال نم اذا قدر عليه وأبو سعد الهرم وقوله سقت العنز كناية عن الهرم لان سائقه مطأطيء رأسه لحقارة العنز قال

يا ويح هذا الرأس كيف اهتزا وابيض قرناه وقاد العنزا

وكما يكنون عن العصا برمح أبي سعد فانهم يكنون عنها براحلة الكبير قال الشاعر

وركبت راحلة الكبير ولم يكن يمشي الهميس مع المطى ركابي

وأما قوله

اذا كان هادي الفتى في البلا د صدر القناة أطاع الاميرا

فهو رجل قد كبر وهدته العصا وأطاع أمره أي قائده الذي يقتاده لانه يأمره بالمشي

في بعض الطريق وينهاه عن بعضه ولبعض المحدثين في مثله

قل لمن يحمل العصا حين أمسى وأصبحا
ماحوتها يد امرىء بعـد موسى وأفلحا

ويشبه ذلك ماقال الاعرج

ومابي عيب يافـتي غـير انني جعلت العصا رجلا أقيم بها رجلي

ويقولون أبو عمرة كناية عن الجوع قال الشاعر

أن أبا عمـرة شر جار يجرني بالليل والنهار
جر الذباب صفة الحمار احرقـه الله بشر نار

وأبو جعدة الذئب والجعدة الرخلة من أولاد العنز ويسمى الذئب اباها لانه يقصـدها لضعفها وطيبها قال الكميت

ومستطعم يكني بغـير بنانه جعلت له حظا من الزاد أوفرا

أراد به الذئب وانه يكنى بغير بنانه لانه لايسمى ابنه ولا بنته جعدة ومن أمثال العرب كما الذئب يكنى أبا جعده يضرب للرجل يظهر لك اكراما ويريد غيلة لان كناية الذئب وان كانت كناية حسنة فان عمله ليس بحسن وفي الحديث ان عبد الله بن الزبير سئل عن المتعة فقال الذئب يكنى أبا جعدة أي كناية حسنة والذائب خبيث وكذلك المتعة تحسن باسم التزويج وهي فاسدة وقال عبيد بن الابرص للمنذر حين أراد قتله

هي الخمر تكنى الطلا كما الذئب يكنى أبا جعده

كذا أنشده أبو عبيد ووزن المصراع الاول ناقص وكان بعض الادباء ينشد

هي الخمر يا قوم تكنى الطلا كما الذئب يكنى ابا جعده

ويقال للذئب ابو مذقة لان لونه كلون المذقة والمذقة اللبن المخلوط بماء قال

لحي الله صعلوكا اذا نال مذقة توسد احدى ساعديه فهوّما

وقال آخر

ويمذق للاضياف لامن هو انهم ولكن اذا ماضاق شيء يوسـع

وقال أبو دثار الكلبي

لـنم البيت بيت أبي دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا

أي اذا خاف بعض القوم قرص البعوض فالبعض الثاني مصـدر بعضه البعوض اذا قرصه وأبو زياد كنية الحمار قال الشاعر

زياد لست أدري من أبوه ولكن الحمار أبو زياد

وجاء في ذلك من الامهات قولهم للداهية أم حبوكر يقال جاء فلان بام حبوكر وام حبوكرى أى جاء بالداهية قال ابن أحمر

فلما غسا ليـلى وأيقنت انهـا هي الاربي جاءت بام حبوكرى

وأم طبق للداهية ويقال لها بنت طبق وهي حية تتولد بين الحية والسلحفاة قتالة شبهت الداهية بها وحكي ابن السكيت عن محمد الباهلي قال لما مات المنصور جاء خلف الاحمر حتى وقف على يونس فقال

* قد طرقت ببكرها أم طبق *

فقال يونس ماذا فقال

* فذمروها خبرا ضخم العنق *

قال ثم ماذا فقال

موت الامام فلقـة من الفلق

قوله فذمروها مأخوذ من ذمرت الفصيل اذا غمزت قفاه ساعة يبدو رأسه من بطن أمه ليعلم أذكر هو أم أنثى والفاعل لذلك مذمر والقفا مذمر قال الشاعر

وقال المذمر للناتجين متى ذمرت قبلى الارجـل

وهـذا مثل أي ان التذمير لا يكون الا في الرأس فاذا ذمرت الارجل فالامر منقلب ويقال للدنيا أم دفر والدفر النتن وهي أمه سـميت بذلك لكثرة مزابلها ويقال لهـا أم شملة وقرأت في أمالى أبي على الحاتمي اللغوى أم سلمة هي الشمس وأنشد

من أم شملة ترمينا بذائفها فرارة ريبت منها المهازيل

ـالذ ءف ـ السم القاتل ويقال للدنيا أم خنور يقال وقع في أم خنور وأم خنور الضبع ولما استقام الأمر لعبد الملك بن مروان قال اليوم تمكنا من أم خنور فـأتت عليـه

سبعة أيام حتى مات وأم مرزم الشمال وأم لدماغ جلدة رقيقة لها بشرة رقيقة ألبست الدماغ وأم الطعام المعدة قال

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه أم الطعام ترى فى رأسه زغبا

وأم النجوم المجرة ويقال هي الثريا وأم كل ناحية أعظم بلدة فيها وأكثرها أهلا وأم القرى مكة وأم خراسان مرو ويقال في النبي الامي صلى الله عليه وسلم انه منسوب الى أم القرى وقيل كما ولدته أمه لايكتب ولايقرأ .. وتقول العرب ركب القوم أم جندب اذا ركبوا الظلم وأم الكتاب الحمد وفى أمالى الحاتمي أم العيال القدر وأم بيضاء القدر وأم سالم الخنفساء وأم سالم الاست وأم جابر السنبلة ويقال له جابر بن حبة وأم جابر اياد بن نزار ويقال بنو أسد بن خزيمة قال أوس بن حجر

وجاءت على وحشيها أم جابر على حين سنوا فى الربيع وأمرعوا

قال ابن الاعرابي أم الخل الخمر وأنشد لمرداس بن حزام الباهلى

سقينا عقالا بالثوية شربة فالت بلب الباهلى عقال

فقلت اصطبحنا ياعقال فانما هي الخمر حبانا لها بحبال

رميت بأم الخمر حبة قلبه فلم ينتعش منها ثلاث ليالى

قال وذاك ان عقالا الباهلى كان قد استسقاهم ماء فقالوا له أولبنا لجاؤه بخمر قد جعلوا فيه رغوة اللبن فعب فيها فسكر وترك الشراب وبات فلما بلغه هذا الشعر قال يؤث بلذتها ويؤثم بائعها انتهى وأم الخمر العنب قال الحسين بن القاسم القاشانى

لقد كانت الشهباء يوما عشيقتى وقد ألزمتنى رقة الحال صرمها

فعللت بالاعباب نفسى كمنعظ نأت عرسه عنه فواقع أمها

نهانى عذولى بل لحانى إذ رأى ولوعى بالاعناب أكثر قضمها

واذا كانت الخمر من العنب فالخمر بنت العنب قال الوزير أبو محمد المهلبي

ما لابن هم سوى شرب ابنة العنب فهاتها قهوة فراجة الكرب

قال الخبزأرزى وقد أحسن

قم فاسقنيها على ورد وتوريد ولا تدع طيب موجود لمفقود

نحن الشهود وخف العود خاطبنا نزوج ابن سحاب بنت عنقود
كأس اذا أبصرت في القوم منقبضاً قال السرور له قم غير مطرود
أما ترى الحسن والاحسان قد جمعا فافرح فانك في عرس وفي عيد

وأم عامر الضبع قال الكميت

كما خامرت في حضنها أم عامر لذي الحبل حتى عال أوس عيالها

ـ أوس ـ الذئب ٠٠ ويضرب المثل بالضبع في الحمق ومن حمقها انه يدخل عليها مغارها فيقال ليست هذه أم عامر فتسكن حتى تصاد فقوله خامرت سكنت وانخدعت وأصل المخامرة الملابسة وقوله لذي ـ الحبل ـ أي الصائد ورواه ابن الاعرابي لذي الحبل وقوله ـ حتى عال أوس عيالها ـ يقال ان الضبع اذا صيدت عال الذئب ولدها وأتاها باللحم وذلك انه يثب على الضبع فتحمل وتلد منه فاذا صيدت فالذئب أبو أولادها منه وروى غال أوس عيالها أي لما صيدت أكل الذئب جراءها والغول الهلاك ٠٠ ويضرب المثل بالذئبة في الحماقة لانها تدع ولدها وترضع ولد الضبع قال

كمرضعة أولاد أخرى وضيعت بني بطنها هذا الضلال عن القصد

ولذلك يضرب المثل في الحماقة بالنعامة لانها تدع الحضن على بيضها ساعة تريد الطعم فان رأت بيض نعامة وقد خرجت للطعم حضنت بيض غيرها وتركت بيضها واياها أراد ابن هرمة حيث يقول

واني وتركي ندي الاكرمين وقدحي بكفي زنداً شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا

ـ الشحاح ـ الزند الذي لا يوري ولذلك قيل للارض الصلبة التي لا تشرب الماء ولا تنبت أرض شحاح ٠٠ ويضرب المثل في الحمق بالحمامة قال عبيد بن الأبرص

عيوا بامرهم كما عيت ببيضتها الحمامه
جعلت لها عودين من نشم وآخر من ثمامه

ومما جاء في ذلك من البنين قولهم هو ابن جلا للرجل المنكشف الامر الذي به خفاء قال سحيم بن وثيل الرياحي

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا　　متى أضع العمامة تعرفوني

وتمثل به الحجاج بالكوفة على المنبر ومعنى جلا أوضح وكشف وتقديره أنا ابن الذي جلا ولكنه جاء كذلك قال ابن الاعرابي يقال هو ابن مدينة أى عالم بها وأنشد للاخطل

ربت وربا فى حجرها ابن مدينة　　يظل على مسحاته يتركل

وابن أنقد القنفذ يقال في المثل بات فلان بليلة أنقد أي ساهرا لان القنفذ لاينام الليل حكاه ابن دريد ولابي الفضل الميكالي في ذلك

يامن يبيت محبه　　منه بليلة أنقد

ان غبت عني سمتني　　وشك الردى وكان قد

وابنا سمير الليل والنهار ويقال لاأفعل كذا ماسمر ابنا سمير ويقال ماسمر سمير ويراد به السامر وابن جمير أظلم ليلة فى الشهر وهي التى لايطلع القمر في أولها ولا في آخرها وأنشد

نهارهم ليلهم وليلهم　　وان كان بدر الفحمة ابن جمير

أى لصوص يكمنون النهار . . ويقولون فى الكناية عن اللص نهاره أعمى وليله بصير أي لص يخرج بالليل . . قال صاحب الكتاب أى الجرجانى قرأت فى كتاب الفرس لابن قتيبة ان ابن جمير هذا كان لصا لايخرج إلا فى أشد مايكون الليل ظلمة فنسبت اليه الظلمة الشديدة وقال الشاعر

عند ديجور ظلمة ابن جمير　　طرقتنا والليل داج بهيم

وقال ابن الاعرابى يقال لليلة التى يستتر فيها الهلال قد أجمرت ويقال أيضاً الفحمة مابين غروب الشمس الى نومة الناس سميت فحمة لحرها وأول الليل أحر من آخره ولا تكون الفحمة فى الشتاء ويقال ابن ثمير لليلة المقمرة وابن دأية للغراب لانه يقع على دأية البعير فينقرها وكل فقرة دأية وجمعها دأيات وابن ذكاء الصبح منسوب الى ذكاء وهي الشمس لانه يتولد منها وسميت الشمس ذكاء لانها تذكو كما تذكو النار قال الشاعر

قد ولدت قبل انبلاج الفجر وابن ذكاء كامن فى كفر

أى فيما يستره من الظلمة وكل ماستر شيئا فقد كفره ويقال للرجل كيف وجدت ابن أنسك أي كيف وجدت صاحبك وابن ماء طائر ولا يذكر الا منكرا قال ذو الرمة

وردت اعتسافا والثريا كأنها على قة الرأس ابن ماء محلق

وابن ماء الشيب أيضاً قال الشاعر

وكم فر الغراب من ابن ماء فأحنى صعدة الرجل المجيد

عنى -بالغراب- الشباب -وبالصعدة- ظهره -والمجيد- صاحب الفرس الجواد ويسمي الشيب النسر قال الشاعر

ولما رأيت النسر عز ابن دأية وعشش فى وكريه جاش له صدرى

وشبه أبو عثمان الخالدى الشبان بالآبنوس والشيب بالعاج في بيتين له هما

وقفتني ما بين هم وبوس وثنت به ضحكة بعبوس

اذ رأتني مشط عاج بعاج وهي للآبنوس بالآبنوس

وهذا الاسم وأمثاله معرفة وان لم تدخل عليه الالف واللام لانها اسماء أشياء باعيانها ليست تزول عنها وأما ابن لبون فنكرتان لان الالف واللام يحسنان فيهما قال جرير

وابن اللبون اذا مالز فى قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

وقال الفرزدق وجدنا[1]

فضلت تميما كفضل ابن المخاض على الفصيل ولان هذه ليست تلزم كلزوم الاسماء وانما ذلك كالصفة يقع عليها وقتاً دون وقت ونظير ذلك ابن المزنة للهلال حين ينقشع عن السحاب والمزنة السحابة البيضاء فدخل عليه الالف واللام لان ذلك ليس بصفة لازمة له قال الشاعر

كأن ابن مزنتها جانحا فسيط لدي الافق فى خنصر

قال أبو الفتح انما قال ابن مزنتها لانه رآه فى المغرب دون الغمامة جانحا أي مائلا -والفسيط- قلامة الظفر أخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال

(١) بياض بالاصل

وجاءني في قبص الليل مستترا مستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامة قد قدت من الظفر

فزاد عليه حسناً لانه جعله قلامة الظفر على الاطلاق والاول قيده بالخنصر وذكره حشو لامعنى له ٠٠ وقال أبو العلاء المعري

وليلة بت فيها وابن مزنتها كميت عاد حيا بعد ماقبضا

ويقال للهلال ابن ملاط وابن ملاط العضدان فشبهوا الهلال بعضد الناقة لانفتاله ويسمي أيضاً ابن جلاء لانه يجلو الظلمة وابن السبيل المسافر قال الشاعر

ومنسوب الى من لم تلده كذاك الله أنزل في الكتاب
وأحيانا يكون كبير سن وأحيانا يكون مع الشباب

وابن النعامة الطريق قال الشاعر

وابن النعامة يوم ذلك مركبي

وانما سمي ابن النعامة لان النعامات علامات تنصب على الطريق وربما نصبت فيستظل بها وابن الطود كناية عن الصداء الذي يجيبك في الجبل أنشد الباهلي فى المعانى

دعوت كليبا دعوة فكأنني دعوت به ابن الطود أو هو أعجل

أى أسرع الى حين دعوته كالصداء الذي يجيبك قبل انقطاع صوتك وقيل أراد به الحجر أي أسرع الى حين دعوته كأنه حجر تردى من جبل وابن أوبر لضرب من الكمأة قال أبو عمر هو شئ ينفض مثل الكمأة وانفضاضه انشقاق الارض عنه وجمعه بنات أوبر يقال بنو فلان كبنات أوبر يظن أن فيهم خيراً فاذا خبروا لم يكن فيهم خير قال أهل اللغة كماقيل فيه ابن كذا فاذا جمع يقال بنات كذا كما قيل في ابن أوبر وكذا يقال ابن الطود وبنات الطود وابن لبون وبنات لبون ولايقال بنو إلا فى الآدميين وفي الجن إلا ان يضطر الشاعر فيجعل له البنون مكان البنات كقوله

فباكرتها والديك يدعو صباحه اذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

وهذا البيت لنابغة بنى جعدة وقد سبق لهذه الضرورة الأعشى فقال

حتى يعيدك من بنيه رهينة نعش ويرهنك السماك الفرقدا

وبنو غبراء كناية عن اللصوص ويقال هي كناية عن الفقراء والمحاويج قال طرفة

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هذاك الطراف الممدد

وأولاد درزة كناية عن السفلة والسقاط أنشد المبرد لحبيب الهلالي من الخوارج في زيد ابن علي رضي الله عنه

أأبا حسين لو شراك عصابة صحداء كان لو ردهم اصدار

ان يقتلوك فان قتلك لم يكن عاراً عليك ورب قتل عار

أأبا حسين والجديد الي بلى أولاد درزة اسلموك وطاروا

وابن حنية السهم والحنية القوس والسهم ابنها قال ابن الرومي

توددت حتى لم أدع متودداً وأبعدت قولي في العتاب مرددا

كأن استدنى بك ابن حنية اذ النزع أدناه الى الصدر أبعدا

وكرر ذلك في موضع آخر

رأيتك بينا أنت خل وصاحب اذا أنت قد أوليتنا نائيا عطفا

وانك ان تحنو حنوك معقبا بعاداً لمن يبدي لك الود والعطفا

لكالقوس أحنى مايكون اذا حنت على السهم انأى مايكون له قذفا

ومما جاء من ذلك في البنات يقولون للبرد بنات السحاب قال عدي ابن الرقاع

كأن ثناياه بنات سحابة سقاهن شؤبوب من الغيث باكر

وبنات غير الكذب أنشد ثعلب عن ابن الاعرابي

اذا ماجئت جاء بنات غير وان وليت أسرعن الذهابا

وصحفه ابن الاعرابي فقال بنات عير وبنات الدهر حوادثه قال أبو فراس الحمداني

علقت بنات الدهر تطرق ساحتي لما فضلت بنيه في حالاته

فالحرب ترميني ببيض رجالها والدهر يطرقني بسود بناته

وبنات نخنة للسياط ونخنة نخلة بالمدينة طويلة السعف أي ان السياط طويلة كسعفها

وبنت المعاء البعر قال

أبنت البنات عن الامهات ببيض السيوف تروى الصداء

أى نحرت الناقة وشققت امعاءها وأزلت الابعار عنها وبنات الصدر الهموم وبنات الطريق الطرق الصغار تتشعب من الطريق الاعظم وبنت شفة الكلمة الواحدة يقال كلمت فلانا ببنت شفة اذا كلمته بكلمة واحدة وبنت الجبل الصدا يجيب كل ذي صوت بمثل صوته ذكر ذلك أبو عبيدة قال وذلك مثل قولهم فلان أمعه لضعف رأيه يكون مع كل أحد وفلان أمره لضعفه يأتمر بكل أمر وأما قولهم صمي ابنة الجبل فهى كناية عن الداهية قال الشاعر

فاياكم اياكم وملمة * يقول لها الكانون صمي ابنة الجبل

أى الذين يكنون عنها فالكانون جمع كان قال أبو هلال العسكرى فى كتابه الموسوم بجمهرة الامثال أظن ان أصله رجل قال لآخر أصابت فلانا داهية فردها الصدا فقال صمي ابنة الجبل أى لا كانت هذه الكائنة ولا يسمع بهذا الخبر وقال غيره أراد ببنت الجبل الحصاة أي لكثرة الدم اذا وقعت حصاة لم يسمع صوتها انتهى وبنات شمس لعابها وبنات بحر السحاب وبنات مسند حوادث الدهر والمسند الدهر وقد أوردنا فى هذا الباب فوائد جمة واقتصرنا على ما تكثر الفائدة بمكانه ويصلح للحفظ والمحاضرة وذلك بعون الله وحسن توفيقه

﴿الباب الحادي والعشرون في الكناية عن الاطعمة والمأكولات﴾

الخبز يكنى عنه بعاصم بن حبة وبجابر بن حبة قال الاعشى

فلا تلوماني ولوما جابرا * فجابر كلفني الهواجرا

ويكنون بالشهيدة عن الهريسة وبالهدية أيضاً اشارة لقول القائل

هلموا الى من عذبت طول ليلها * بنار سعير فوقها تتسعر
وهي جلده جلدين وهى بريئة * هلموا الى دفن الشهيدة تؤجروا

ويكنى عن اللحم بتحفة ابراهيم عليه السلام وعن التمر بخرسة مريم والخرسة ماتطعمه النفساء عند الولادة والخرس بلا هاء طعام وليمة المولود والصوفية يكنون عن الخوان

بابي جامع وعن الفالوذج بابي المضاء وعن الخبيص بابي الطيب وكان القاضي أبو بكر بن قريعة يكنى عن القطائف بلفائف النعيم وقدم لبعض الاعراب قطائف فلم يعرفها فقال هذه كرش معطبب قال طباخ عضد الدولة لابي القاسم الصوفي ماتشتهي قال الشيخ الطبري في رداء عسكري وقبور الشهداء فلم يعرفها حتى فسرها بالارز باللبن والقطائف انتهى ويكنون عن العصيدة بام رزينة وعن العنب باوعية المدام قال الشاعر

يحملن أوعية المدام كأنما يحملنها باكارع النغران

فشبه شعب العناقيد التي تحمل العنب بارجل النغران وهو طائر يشبه العصفور أحمر المناقر وهذا من أحسن التشبيهات وأوقعها وأهل بغداد يكنون عن العنب الرازقي بالمخازن الطوال ومخازن البلور أيضاً اشارة لقول ابن الرومي

ورازقي مخطف الخصور كأنه مخازن البلور
قد ضمنت مسكا الى الشطور وفي الاعالي ماء ورد جوري
لم يبق منه وهج الحرور غير ضياء في أديم نوري
لو انه يبقى على الدهور قرط آذن الحسان الحور

ومن كناية البغداديين بائع القراح للبطيخ ورقصة العيد للتخمة لانها لاتكثر الا في الاعياد قال الجاحظ في عيوب الاكل الزقاق الذي في فيه لقمة ويسيغها بشراب الماء ويسمي زاق الفرخ والبلام الذي في فيه لقمة لا يسيغها ويبادر خلفها باخري والمحلحل الذي يأخذ سكرجة الملح فيحركها ليجتمع الابزار ليأكلها ويترك ملحاساذجا والمفربل الذي يحرك طبق الرطب والباقلاء ثم يأكل نقاوته والمقبب الذي يجمع اللحم بين يديه على رغيف كأنه قبة ويدع رفقاءه بغير لحم والمبقل الذي يأخذ لقمة أكثر مما يسع فه فيضع يده أو كسرة تحتها والمعلق الذي في فمه لقمة وفي يده أخرى انتهى ٠٠ وفي عيون الاخبار عن القتيبي ان مسلم بن قتيبة قال للشعبي ماتشتهي قال أعز مفقود وأهون موجود قال يا غلام إسقه ماء ٠٠ وفي كتاب ديوان المعاني لابي هلال العسكري قال حضر أبو الحسن بن طباطبا دعوة الكراريسي فلم يرضها فقال يذمها ويصف جميع ماقدم اليه من ألوان المأكولات على سبيل الكناية عن أشياء منها وذلك ان أول ماقدم اليهم

مائدة وعليها خيار وفي وسطها جامات عليها أقط ولم يصحبها بوادر فسماها مسيحية لانها أشبهت موائد النصارى وقدم بعد ذلك سكباجة بعظام عارية فسماها شطرنجية ثم قدم مضيرة في غضارة بيضاء فسماها معتدة لان البياض لباس المعتدة وهي لاتمس الدهن والطيب ثم قدم زرباجة باطراف جدى صفر بزعفرانها فسماها عابدة لان ألوان العباد صفر ثم قدم لونا بعصبان محلولة فسماها قتبية ثم فالوذجة قليلة الزعفران والحلاوة فسماها صابونية فقال

يادعوة مقبرة قائمه كأنها من سفر قادمه
قد قدموا فيها مسيحية أضحت على اسلابها نادمه
ثم وشطرنجية لم تزل أيد وأيد حولها حائمه
وبعدها معتدة أختها قائمة عابدة صائمه
والقتبياة فلا تنسها لخبرني في وصفها دائمه
أقتب ما امتد في أصبعي أم حية في وسطها نائمه
وجام صابونية بعدها فانخر بها اذ كانت الخاتمه
ظل الكراريسي مستعبراً من عصبة في بيته طاعمه

فلما سمعها الكراريسي حلف لا يدخل أبو الحسن داره ولا أحد من أصحابه انتهى وقوله — شطرنجية — مأخوذ من قول جحظة

قدم لى أعظم حولية قد طبخت في الماء في برمته
فلم أزل زلت به نعله ألعب بالشطرنج في قصعته

وقد سبق في هذا المعنى أبو العيناء حين قدم اليه لون كثير العظام فقال اطبخ بالشطرنج أم باسنان الزنج

﴿ الباب الثانى والعشرون فيمن تمثل بشعر كناية عن أمر ﴾

قرأت في كتاب الجمهرة لابي هلال العسكري قال خرج قوم في خلافة على رضي الله

عنه في سفر فقتل بعضهم بعضاً فلما رجعوا طالبهم وأمر شريحا بالنظر فحكم باقامة البينة فقال على رضى الله عنه متمثلا

أوردها سعد وسعد مشتمل ماهكذا تورد ياسعد الابل

أراد انه قصر ولم يستقص كما قصر صاحب الابل عند ايرادها والمثل لمالك بن زيد مناة ابن تميم وقد رأى أخاه سعدا أورد ابله ولم يحسن القيام عليها فتمثل بذلك أي سعد مشتمل بكسائه نائم غير مشمر لسقى فصار مثلا للذى يقصر في الامور ويؤثر الراحة على المشقة قال ثم ان عليا عليه الرضوان فرق بينهم وسألهم واحداً واحداً فاختلفوا فلم يزل يبحث حتى أقروا فقتلهم انتهى ٠٠ وحكى ان ابن دريد شوق الى بغداد فلما دخلها لم تعجبه لما رأى أخلاق أهلها فقال

سمعت بذكر الناس هنداً ولم أزل أخا صبوة حتي نظرت الى هند

فلما أراني الله هنداً وزرتها تمنيت أن أزداد بعداً على بعد

وحكى أبو حيان في الذخائر عن الرياشي قال ركب الاسمعي حماراً دميا فقيل له ابعد براذين الخلفاء تركب هذا فقال متمثلا

ولما أبت إلا اطراقا بودها وتكديرها شرب الذي كان صافيا

شربنا برنق من هواها مكدر وليس يعاف الرنق من كان صاديا

ومثل هذين البيتين قول ابن المعتز

ومن يمنع الماء الزلال ويمتنع من الشرب من سؤر الحمار تغضبا

خليق اذا لم يستطع شرب غيره وخاف المنايا ان يذل ويشربا

اذا المرء لم يقدر له مايريده تحمل ما يقضي له شاء أو أبى

وفي كتاب المفاوضة لابي محمد بن نصر المالكي الكاتب قال دخل على أبي العباس عيسى بن ماسر جليس يعرف بابي الحسين بن اسحاق ومعه فتى من أولاد النصارى لم ير أحسن منه وجها فرمقه الحاضرون بابصارهم فقال أبو العباس من هذا منك فقال بعض اخواني فأنشد

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن أخاها ولم أرضع لها بلبان

دعتني أخاها بعد ما كان بيننا من الامر مالا يصنع الاخوان

وحكي بعض الادباء ان رجلا كان يختلف الي الخليل يقرأ عليه العروض ولا ينطبع له فتبرم له الخليل وكره ان يجبهه بالصرف فقال له يوما قطع قول القائل

اذا لم تستطع أمراً فدعه وجاوزه الى ماتستطيع

ففطن لذلك وانقطع عنه فقال الخليل مارأيت أفطن منه على بلهه وروى ان رجلا بث في وجه أبي عبيدة مكروها فأنشأ أبو عبيدة يقول

ولو ان لحمي إذ وهي لعبت به سباع كرام أو ضباع وأذؤب
لهوّن وجدى أو لسلى مصيبتي ولكنما أودى بلحمي أكلب

وروي ان الاحنف بلغه ان رجلا يغتابه فقال عثيثة تقرض جلداً أملس وهي تصغير عثة وهي دويبة تلحس الصوف والثياب وأراد به يعيب من لا عيب فيه ٠٠ وحكي أبو حاتم عن أبي عبيدة قال أتى على رضى الله عنه بالوليد بن عقبة يوم الجمل أسيراً فقال لما رآه

هنيدة قد حللت بدار قوم هم الاعداء والاكباد سود
هم ان يظفروبي يقتلوني وان أظفر فليس لهم جلود

فقال الوليد أنشدك الله ياأمير المؤمنين في دمي فخلى عنه وسمع الشعبي قوما ينتقصونه فقال

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت

وحكي ان أبا جعفر بن سليمان لما ولى البصرة سأل جعفر بن حرب ان يصحبه فقال على شريطة ان تجمع بيني وبين أبي الهذيل فأجابه فلما ورد البصرة دخل أبو الهذيل وأصحابه الي جعفر بن سليمان فقال له ياأبا الهذيل هذا شيخنا جعفر بن حرب وقد أحب ان يناظرك فقال أبو الهذيل

لو باباتين جاء يخطبها زمل ماأنف خاطب بدم

فقال هل في أصحابك من يناظره فقال

من تلق فيهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

فجعل جعفر يتأمل أصحابه فقال ابو الهذيل

فالك والتقلب نحو نجد وقد غصت تهامة بالرجال

ثم أخذ طاقة من لحيته وقطعها وقال

فلو كنت الحديد لليّنوني ولكني أشد من الحديد

ونهض ٠٠ وحكى عثمان بن عبد الرحمن القرشي قال تعرض رجل لموسى بن عبد الله بن الحسن بن علي رضى الله عنه فسبه فقال موسى متمثلا

تمنت وذاكم من سفاهة رأيها لاهجوها لما هجتنى محارب

معاذ الاله انني بعشيرتي ونفسي عن ذاك المقام لراغب

قال أبو حيان ورأيت أبا حامد في مجلس ابن أم شيبان يناظر خصماً له فابتدر أبو جعفر الابهري لينكلم مداخلا فأنشد أبو حامد

فان تك قيس قدمتك لنصرها فقد حربت قيس وذل نصيرها

وحكي بعضهم ان بعض المغنين حضر مجلساً وقد أكلوا فغنى لهم ساعة وهو لايشرب فسقوه ثم جعل يغنى لهم

خليلي داويتما ظاهراً فمن ذا يداوى جوى باطنا

ففطن له صاحب المنزل وأمر له بطعام حتى أكل ٠٠ وعن مسعود بن بشر قال كان الاصمعي يقرئنا فاذا أراد ان يقوم تمثل بقوله

اذا حل دين اليحصبي فقل له تجهز بزاد واستعن بدليل

وهذا البيت في رجل من يحصب كان له على رجل من باهلة دين فلما حل دينه هرب الباهلي وأنشأ اذا حل الخ ٠٠ وقرأت في عيون الاخبار عن القتبي قال قال المحدث بهذا حدثني من رآه بقا ليقلا أو بدليل وهو مصلوب وقد وقع عليه عقاب ٠٠ وعن الاصمعي قال أخذ علي رضى الله عنـه قوما بسرقة فحبسهم فجاء رجل فقال ياأمير المؤمنين انى كنت معهم وقد تبت فامر بحده وقال متمثلا

ومدخل رأسه لم يدعه أحد بين القرينين حتى لزه القرن

وحكي أبو زيد قال كان المفضل الضبي اذا لم يرض الجواب أنشد الذي أجابه قول الفرزدق

أعد نظراً ياعبد قيس فانما　　أضاءت لك النار الحمار المقيدا

وعن أبي بكر الصولى قال نظر الواثق الى أحمد بن الخطيب يوما من الايام فتمثل بقوله

من الناس انسانان دينى عليهما　　مليان لو شاء آلقد قضياني

خليلى اما ام عمرو فمنهما　　وأما عن الاخرى فلا تسلاني

قال فبلغ ذلك سليمان بن وهب فقال إنا لله أحمد بن الخطيب أم عمرو وانا الاخري ٠٠ وفي عيون الاخبار عن القتبي قال مر طارق صاحب شرطة خالد بن عبد الله القسري بابن شبرمة وطارق في موكبه فقال ابن شبرمة متمثلا

أراها وان كانت تحب فانها　　سحابة صيف عن قليل تقشع

لاهم لهم دينهم ولى ديني فاستعمل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء فقال له ابنه أتذكر يوم مر بك طارق في موكبه فقلت ما قلت قال يابنى انهم يجدون مثل أبيك وأبوك لايجد مثلهم ان أباك أكل من حلواهم فانحط في هواهم وهذا البيت لعمران بن حطان في ذم الدنيا فى قصيدته التي يقول فيها

أرى أشقياء الناس لايسأمونها　　ملالا وهم فيها عراة وجوع

أراها وان كانت تحب فانها　　سحابة صيف عن قليل تقشع

وعن القتبي قال وفد على عبد الملك وفد أهل الكوفة فلما دخلوا عليه رأي فيهم غلاما آدم عالي الجسم فكلمه فراقه بيانه فلما ولى قال عبد الملك متمثلا يقول عمر ابن شاس

وان عرارا ان يكن غير واضح　　فانى أحب الجون ذا المنكب العمم

فالتفت الغلام الى عبد الملك وضحك فقال علي به ما أضحكك قال أنا والله عرار مرتين ٠٠ وفى الكامل عن المبرد قال اختلف نصرانى الى أبى دلامة مولى بني أمية يتطبب لابن له فوعده ان برئ على يده أن يعطيه ألف درهم فبرئ ابنه فقال للمتطبب الدارهم ليست عندي ولكن احتال لك ادع على جارى فلان هذه الدراهم فانه موسر وأنا وابني أشهد لك فليس دون أخذها شئ فصار النصراني بالجار الي ابن شبرمة فسأله البينة فطلع عليه أبو دلامة وابنه ففهم القاضى فلما جلس بين يديه قال أبو دلامة

ان القوم غطوني تغطيت عنهم　　وان بحثوا عني ففيهم مباحث

وان نبشوا بئري نبشت بآرهم　　ليعلم قوم كيف تبدي النبائث

فقال ابن شبرمة قد عرفت شهادتك وقال للمدعي خل عن خصمك ورح الي العشية فراح اليه فقرها من ماله انتهي ٠٠ابن دريد عن أبي حاتم عن الاصمي قال أخبرني رجل من أهل الكوفة قال خرجت أنا وصاحب لي الى ظهر الحيرة فقعدنا بين رياض نشرب فتغنيت أنا وصاحبي فتمارينا أينا أحسن غناء فقال نرضى بأول من نري فاذا اعرابي عليه اهدام فأطعمناه وسقيناه وقلنا له نحا كم اليك قال فماذا قلنا استمع غناءنا فأينا كان أحسن غناء حكمت له فقال قولا فتغنيت وتغنى صاحبي فنظر اليه ثم نظر الي وقال

حمارا عبادي اذا قيل بن لنا　　بشرهما يوما أقول كلاهما

ثم أدبر عنا وتولى ٠٠قال الجاحظ نظر أبو الحارث حمير الى برذون استقي عليه فقال وما المرء إلا حيث يجعل نفسه لو ان هذا البرذون حمحم أوهملج مافعل به هذا ٠٠ودخل اسحاق الموصلي على الرشيد فقال له اغتابك كل من في المجلس غيرى فقال اسحاق

اذا رضيت عني كرام عشيرتي　　فلا زال غضبانا على لئامها

وحكي أبو العيناء قال مارأيت أحداً قط أحسن شاهداً عند الحاجة من ابن عائشة قلت له يوماكان أبو عمرو المخزوي يقصدك كثيراً ثم جفاك فقال

فان تنأعنا لاتضرنا وان تعد　　تجدنا على العهد الذي كنت تعلم

هذا البيت لجرير بن خرقاء العجلي من قطعة رد فيها على الفرزدق فى قوله

تصرم عني ود بكر بن وائل　　وما كان لولا ظلمهم يتصرم

قوارص تأتيني وتحتقرونها　　وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

وشاور المنصور اسحاق بن مسلم فى قتل أبي مسلم فانشده

تريدين كيما تجمعيني وخالداً　　وهل يجمع السيفان ويحك في غمد

وشاور سلمة بن قتيبة فقال لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا

﴿الباب الثالث والعشرون في كنايات مختلفة وفنون متفرقة فيها﴾

يقال فلان من قوم موسى اذا كان مملولا اشارة للآية الكريمة قال الشاعر وهو أبو نواس

ومظهرة لخلق الله وداً ... وتلقى بالتحية والسلام
أتيت فؤادها أشكو اليه ... فلم أخلص اليه من الزحام
أيامن ليس يكفيه خليل ... ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى ... فهم لا يصبرون على طعام

وقال العباس بن الاحنف

كتبت تلوم وتستريد زيارتي ... وتقول لست لنا كعهد العاهد
فاجبتها ودموع عيني سجم ... تجرى على الخدين غير جوامد
ياقوم لم أهجركم لملالة ... عرضت ولا لمقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم ... لا تصبرون على طعام واحد

ويقال فلان آبق من رضوان الله وربما قالوا فر من الجنة كناية عن حسن الوجه قال ابن نوح النصراني

جست العود بالبنان الحسان ... وتثنت كأنها غصن بان
فسجدنا لها جميعاً وقلنا ... اذ سبتنا بالحسن والاحسان
حاش لله ان تكوني من الانـ ... ـس ولكن أبقت من رضوان

ويقولون فلان واسطى كناية عن التغافل قال الرقاشي

تركت عيادتي ونسيت ودي ... وقدما كنت بي براً حفيا
فما هذا التغافل يا بن عيسى ... أظنك صرت بعدي واسطيا

وقال أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة

سقطت اليك صحيفة بعتابها ... يابؤس قلبك بالكتاب الساقط
سألوك ماهذا التغافل كله ... عنا كأنك جئتنا من واسط

والأصل في ذلك ان أهل واسط موصوفون بالدناءة وكان أحدهم اذا صعد بغداد

نزل على معرفته مدة مقامه فاكرمه فاذا انحدر البغدادى الى واسط والتقى بمعرفته أنكره وتغافل عن تعهده فقيل ذلك لمن تغافل عما يلزمه تغافل كأنك واسطي قال الشاعر

وقد قيل فى مثل سائر تغافل كأنك من واسط

ويقولون فى الشفيع المقبول والشفيع العريان اشارة لقول الفرزدق

أما الرجال فلم تقبل شفاعتهم وشفعت بنت منصور بن زبانا
ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزراً مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

وأراد بالعريان المرأة لانها تلتقي بزوجها في الفراش عريانة وانما صار العريان للمرأة لانه لم يقصد قصدها كما تقول يعجبنى الجميل من الناس فلا تأتى بلفظ التأنيث وان كنت تعنى امرأة والاصل فيه أن الفرزدق كان ابن عم نوار ووليها فخطبها رجل من قريش فقالت للفرزدق زوجني منه فقال كل ماأخذت فيك من أمر فهو نافذ قالت نعم فخرج فزوجها من نفسه فرفعته الى عبد الله بن الزبير فرأى نكاحه غير جائز ففسخه فحينئذ قال الفرزدق هذا الشعر فلما بلغ ذلك ابن الزبير قال للنوار عرضتنى للفرزدق فانا أزوجك منه بمثل مهر القرشي فاجابت وفعل فأمسك عنه ٠٠ وقال الفرزدق في ابنه لبطة وقد كان عقه

ولما رآنى قد كبرت وانه أخو الجن واستغنى عن المسح شاربه
أصاخ لعريان النجي وانه لازور عن بعض المقالة جانبه

يصف ولده وانه لما رأى جنوناً بشبابه واستغنى ان يمسح شاربه لينظر أبت أم لا أصغي الى امرأته فسمع قولها وأزور جانبه عني والنجي الذي تناجيه وقد يكون للواحد والجمع والمراد هنا الجمع لانه أراد العريان من النجى والمرأة تناجي زوجها وهي عريانة فى الفراش وأراد بقوله عن بعض أي عن كلها ولم يرد بعضها وهذا كقول لبيد

* أو يخترم بعض النفوس حمامها * ويقولون فى الجامع لكل شئ سفينة نوح قال بعض أهل الادب

لم يبق فيك لحسن ظني موضع اذهب فمثلك ليس مثلي يخدع

شنأنك نفسي اذ رأيتك دائباً تبدي نحية ذا وذا لاتدبع
أنت الذي لم تبق من شبه له إلا سفينة نوح فيما تجمع

وتقول العامة فى معناه هو جامع سفيان قال ابن الحاج

يا أهل ودى وصفاي ويا جميع ساداتى واخواني
بالله قولوا لى ولاتحصروا لست من الحق بغضبان
فقر وذل وخمول معاً أحسنت ياجامع سفيان

ويقولون فلان قائد الجمل اذا كان مشهور الامر مكشوف الحال لان قائد الجمل لايخفى قدره لعظامه فشبهوه بذلك كما يقال للشيخ قائد العنز لانه يطأطئ قال القلاخ بن حزن

أنا القلاخ بن جناب بن جلا أبو خنائير أقود الجملا

أي أمري مشهور لايستتر ـ والخنائير ـ الدواهي •• وهذا كقول العامة فلان يركب الفيل ويقول لاتبصرونى أى حالى أظهر من أن يخفى ويقال في المثل ماستتر من قاد الجمل •• والعرب تقول فى مثل ذلك مايوم حليمة بسر ويريدون به الامر المشهور الذى لايستتر ويوم حليمة يوم التقى المنذر الاكبر والحارث الغساني الاكبر قال المبرد وهو أشهر أيام العرب ويقال ارتفع فيه من العجاج ماغطى عين الشمس حتى ظهرت الكواكب وحليمة اسم امرأة أضيف اليوم اليها لانها أخرجت الى المعركة مراكن الطيب وكانت تطيب الداخلين فى القتال فقاتلوا من أجل ذلك حتى تفانوا •• ويقولون في الكناية عن الشيخ هو قائد الحمار أنشد الجاحظ من كتابه قال أنشدني الاصمعى

آني الندي فلا يقرب مجلسى وأقود للشرف الرفيع حمارى

ومن الكنايات عن الشيخ العاجن لانه اذا قام اعتمد على جميع كفيه كالعاجن قال الشاعر

فاصبحت كنتيا وأصبحت عاجزاً وشر خصال المرء كنت وعاجن

قال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد اللغوى في مجالساته يقال رجل كنتى اذا أكثر من قوله كنت أفعل كنت أقاتل ورجل كنتي اذا قال كان لي من المال كذا والخيل كذا ولا يكون إلا عند الهرم والفقر •• وسمعت بعض المولدين يقول في صفة

شيخ يعجن ويسقف ويخالط أي اذا نظر سقف بان يضع يده على حاجبه فيستوضح به الشيء وهو الاستمطاف فان قرن يده وبين الجبهة شيئاً فهو الاستسقاف فاذا رفع من ذلك قليلا فهو الاستشراف ويخالط أى يضرط من غير اختيار فيغلط بانه قد سعل .. ويقال في الكناية عن الشيخ راكع قال لبيد

* أدبُّ كأنى كلما قمت راكع *

ويقال للانسان اذا انتقل من الثروة والغناء الى الفقر قد ركع قال

لاتحزنن الفقير علك أن | تركع يوما والدهر قد رفعه

ويقال راكع اذا سقط قال شاعر من بنى فزارة يمدح رجلا من أهله

حزق اذاركع المطى من الوجى | لم يطودون رفيقه ذا المزود

حتى يؤب به قليلا فضله | حمد الرفيق بذاك أم لم يحمد

وكما يشبهون الشيخ بالراكع يشبهونه بالمقيد لتقارب خطوه قال أبو الطمحان

حنتنى حانيات الدهر حتى | كأنى خاتل يدنو الصيد

قريب الخطو يحسب من رآني | ولست مقيداً اني بقيد

ومثله لعدي بن زيد

أعاذل قد لاقيت مايزع الفتى | وطابقت فى الحجلين مشى المقيد

قال ثعلب وتقول العرب للرجل المسن قاد المهر وخصف النعل وأنشد عن ابن الاعرابي

عاق الوداد بريّق الجهل | وأبر واستقصى على الاهل

وصبا وقد شابت مفارقه | كهلا وكيف صبابة الكهل

أدركت معتصري وأدركني | حلمى ويسر قائدى نعلى

ـ ريق الجهل ـ أوله وأول كل شئ ريقه ـ ومعتصرى ـ عمرى ودهرى وقيل معتصرى أى اعتصار شبابه وذهابه ـ ويسر قائدى نعلى ـ أى أدناها الى يقول انه أسن فنعله يدني اليه .. ومن الكنايات عن الشيب قيد بفلان البعير ويقال فلان عاض على صوفة اذا ابيضت عنفقته .. وقال ابن الاعرابي فلان لايبنى ولا ينات قال هذا رجل كبير أراد

النهوض فلم يقدر في أول مرة ولا في الثانية ولا في الثالثة •• وقال غيره تقول العرب فلان تزوج بامرأة جمعت الثياب أى امرأة كبيرة تلبس القناع والخمار والازار وليست بصبية تكتفى بثوب واحد •• ويقال فلان يسود وجه النذير اذا كان يخضب اشارة لقوله تعالى وجاءكم النذير أى الشيب قال الشاعر

وقائلة أتخضب فالغوانى   تطير من ملاحظة القتير

فقلت لها المشيب نذير عمري   ولست مسوداً وجه النذير

وقال أبو الفرج أحمد بن خلف وقد أحسن كل الاحسان

تعيرني وخط المشيب بعارضى   ولولا الحجول الباق لم تعرف الدهم

حنى الشيب ظهرى فاستمرت عزيمتى   ولولا انحناء القوس لم ينفذ السهم

قال بعض الكتاب لابي العيناء وقد رآه ضعيفا من الكبر كيف أصبحت قال في الداء الذي يتمناه الناس •• ومثله ماحكى عن سليمان بن وهب انه نظر في المرآة فرأى شيباً بلحيته فقال عيب لاعدمناه •• وفي مثله نظما

يعيب الغانيات على شيبي   ومن لى ان أمتع بالمعيب

وفقدى للشباب وان تولي   حميد دون فقدي للمشيب

وأنشد ثعلب

الشيب كره وكره أن يفارقنى   فاعجب لشئ على البغضاء مودود

يمضي الشباب ويأتي بعده خلف   والشيب يذهب مفقود بمفقود

وتقول العامة صب الزيت في قنديله اذا ارشاه •• وأنشدنا قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي قال أنشدنى أبو عبد الله محمد بن المعلى بن خلف الاسدي لنفسه

وعند قضاتنا خبث ومكر   وزرع حين تسقيه يسلبل

اذا ماصب في القنديل زيت   تحولت القضية للمقندل

فبرطل إن أردت الحال يمشي   فما يمشي اذا مالم تبرطل

وحكي ان قاضياً استرشى فكتب اليه

اذا رشوة حلت ببيت تولجت لتدخل فيه والامانة فيه
سعت هربا منها وولت كأنها حليم تولى عن جوار سفيه

وفى رواية ـ اذا رشوة من داره قد تقحمت على أهل بيت ـ الخ واسم القاضى الحارث ابن عمر الاشعرى قاضى دمشق ٠٠ ويقال تزوج فلان على فتيا ابن عباس أى تزوج متعة وذلك انه كان يذهب اليه ثم رجع عنه ٠٠ وحكي القتبي باسناده عن سعيد بن جبير قال قلت لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما ماتقول في المتعة فقد أكثر الناس فيها حتى قال الشاعر

أقول للشيخ لما طال غربته يا شيخ هل لك في فتوي ابن عباس
ياشيخ هل لك فى بيضاء بهكنة تكون مثواك حتى مرجع الناس

قال فنهى عنها وكرهها وفى رواية أخرى فقام خطيباً وقال ان المتعة مثل الدم والميتة ولحم الخنزير فمن أغناه الله عنها فليستغن ٠٠ ويقال بخر فلان امرأته بمثلثة كناية عن الطلاق الثلاث ويقال فى معناه تلقاها بالأثافى ٠٠ وشكى الفرزدق امرأته فقال له شيخ من بنى نصر الا تكسفها بالمرجات قال قاتلك الله ما أعلمك ٠٠ ويقال فلان عصامى لاعظامي أى شرفه بهمته وقدرته يشيرون الى قول النابغة

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما
* وجعلته ملكا هماما *

الشعر للنعمان بن المنذر فيه وقد ليم على اصطفائه له وهو عصام بن شهبر الخارجي الجرمى حاجب النعمان الذى قال فيه النابغة ماوراءك ياعصام وكان النعمان مريضاً فسأله النابغة عن خبره فصار ذلك مثلا فى كل من استخبر فيقال ماوراءك ياعصام ويشيرون بالعظام الى قول الشاعر

اذا ما الحي عاش بعظم ميت فذاك العظم حي وهو ميت

ونحو من هذا البيت ماحكي ان عطاء بن أبى سفيان الثقفى قال ليزيد بن معاوية اغنق عن غيرك فقال حسبك ما أغناك به معاوية فقال عطاء فهو والله الحى وأنت الميت فاهتز يزيد لكلمته وأمر له بجائزة ٠٠ قال ابن السكيت العرب تكنى عن الحرب بثلاثة أشياء

أحدها عطر منشم ثانيها ثوب محارب ثالثها برد فاخر فاما منشم فاسم امرأة كانت تبيع الطيب وكانوا اذا قصدوا الحرب غمسوا أيديهم فى طيبها وتحالفوا عليه ان يستميتوا فى الحرب فلا يولوا أو يقتلوا وكانوا اذا دخلوا فى الحرب بطيب تلك المرأة يقال دقوا بينهم عطر منشم .. وقال بعضهم اشتقاق هذا الاسم انما هو من شم والاصل فيه امرأة كانت تبيع الطيب فوردت بعض احياء العرب فأفسدوا طيبها وفضحوها فلحقها قومها ووضعوا السيف فى أولئك وقالوا اقتلوا من شم طيبها وقال أبو عبيدة اسم وضع لشدة الحرب وليس ثم امرأة وانما هو كقولهم جاؤا على بكرة أبيهم اذا جاؤا جميعا وليس ثم بكرة .. وأما برد فاخر وثوب محارب فذكر ابن السكيت ان فاخراً كان رجلا من بنى تميم وكان أول من لبس البرد الموشى فيهم وأن محاربا كان رجلا من قيس عيلان يتخذ الدروع والدرع ثوب الحرب وكان من أراد ان يحارب اشترى ثوب فاخر ودرع محارب وأنشد لقيس بن الحطيم

ولما رأيت الحرب حربا تجردت لبست مع البردين ثوب المحارب

وتقول العرب فلان بيضة البلد كناية عن العزيز وعن الذليل فمن الاول قول حسان

أرى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا وابن الفريعة أضحى بيضة البلد

والمراد منه المدح بذلك انه ليس مثله في الشرف كالبيضة التي وحدها تريكة ليس معها غيرها أي هو مصان كما تصان البيضة ولو قال قائل فلان بيضة الدار وبيضة البيت كان رديا لان ذلك لايستعمل إلا في البلد على أن القائل قد قال

وكان عميدنا وبيضة بيتنا وكل الذى لاقيت من بعده جلل

ومن الثاني قول الراعي فى آخر قطعة يهجو بها عدى بن الرقاع أولها

ان كنت ناقل عزي عن مباءته فانقل أبانا بما جمعت من عدد
والهضب هضب نبروري ان مررت به ورحرحان فاطلعه الى أحد
اني وجدتك ورّادا اذا انقطعت عمى الموارد صدارا عن الورد
إن امرءًا نال من عرضي وغرته كغرة العير ترعى تلعة الاسد
جاءت به من قرى بيسان تحمله ـ ـ ـ ـ وأي مخضرة الآباط والكتد

لو كنت من احد يهجي هجوتكم ... يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد
تأبي قضاعة ان نرضى دعاوتكم ... وأبنا نذار فانتم بيضة البلد

ويقال كان ذلك بيضة الديك للشيء يكون مرة واحدة ثم لايتبعها ٠٠ والبخيل يعطى مرة ثم يعود قال الشاعر

لولا الرقيان إذ أقبلت زائرة ... قبلت فاك وقلت النفس تفديك
كوني لنا جنة نرعي أطايبها ... حتى نكون كماء المزن نسقيك
ياطيب الناس ريقا غير مختبر ... إلا شهادات أطراف المساويك
قد زرتنا زورة في الدهر واحدة ... ثني ولا تجعليها بيضة الديك

واذا كان يعطى شيئاً ثم قطعه قبل للمرة الاخيرة كانت بيضة العقر وفيها قولان أحدهما هي آخر بيضة يبيضها الطائر ثم يعصر بعدها فلا يبيض والثاني انها بيضة الطيفة يسبر بها عقر الجارية العذراء اذا شك فيها ٠٠ وحكى ابن عياش قال بينا الاخطل جالساً عند امرأة يحدثها وبين يديه باطية شراب وهو يشرب اذ دخل رجل فجلس وثقل على الاخطل واستحيا ان يقول له قم فاطال الرجل الجلوس الى ان وقع ذباب في الباطية فقال له الرجل يا أبا مالك الذباب في شرابك فقال الاخطل

وليس قذاها بالذي لايضيرها ... ولا بذباب نزعه أيسر الامر
ولكن قذاها كل جاف مثقل ... أتتنا به الايام من حيث لاندري
فذاك القذا وابن القذا وأخو القذا ... فاف له من زائر آخر الدهر

وأنشد ابن المعتز لبعض المولدين

إنما ان عندنا بعض من أنـ ... ـت له وامق من الاصحاب
واناس فيهم وفيهم ولكن ... ليس بد من القذا في الشراب

أى لابد من ثقيل يختلط بهم ٠٠ وسمعت بعض المولدين يقول في الكناية عن الثقيل هو طحين الجالبة لان طحنها خشن ٠٠ ويقولون في الكناية عنه هو قدح البلاب قال

ياثقيلا زاد في البغـ ... ـض على كل ثقيل
أنت عندي قدح البلـ ... ـلاب في كف عليل

وتسميه أيضاً بالقدح الاول ويكنى عنه بالكانون قال الحطيئة يهجو أمه

تنحي فاقعدى مني بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغرْبالاً إذا استودعت سراً وكانونا على المتحدثينا
حياتك ماعلمت حياة سوء وموتك قد يسر الصالحينا

حكى الاصمعي ان الكانون هو الذى اذا دخل على قوم وهم فى حديث كنوا عنه وعن أبي عبيدة انه قال هو فاعول من كنيت الشيء أي أخفيته وسترته ومعناه ان القوم يكنون عنه حديثهم وقيل هو لغة مولدة من كان لشدة برده .. وكذلك يقولون أبرد من صحو الكوانين .. ويقال فى الكناية عن الثقيل أيضاً هو رحا البزر قال الشاعر

وأثقل من رحا بزر علينا كأنك من بقايا قوم عاد

ويقولون فى الكناية عمن يحمد جواره هو جار أبي دؤاد والاصل في ذلك ان كعب ابن مامة الايادى كان اذا جاوره رجل فمات وداه وان هلك له شاة أو بعير أخلف عليه فجاوره أبو دؤاد الايادى الشاعر فصار يفعل ذلك فصارت العرب اذا حمدت جاراً لحسن جواره قالوا جار أبي داؤد قال قيس بن زهير العبسى حين جاور قرط بن أبي ربيعة الكلابي

أطوف ما أطوف ثم آوى الي جار كجار أبي دؤاد

ويقولون فلان جليس قعقاع بن شور كناية عن حسن الحال قرأت في تهذيب الاخلاق عن أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد السكرى باسناده عن الوليد ابن هشام قال وفد القعقاع بن شور على معاوية فدخل والمجلس غاص لم يكن له مقعد فقام له رجل من القوم وأجلسه مكانه فأمر له معاوية بمائة ألف فقال للذى قام ضمها اليك فهي لك بقيامك عن مجلسك فقال الرجل

وكنت جليس قعقاع بن شور ولا يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن ان نطقوا بخير وعند الشر مطراق عبوس

ويقال فلان جار الامير وضيف الامير كناية عن السمين اشارة لقول الغضبان بن

القبعثري وكان محبوسا في سجن الحجاج دعى به يوما وقال له انك لسمين قال من يك ضيف الأمير يسمن وري انه قال سمنني القيد انتهى ٠٠ ويقولون في الكناية عن الكذب هو قرص الخنجرة زلوق اللبد لايولق بسبل تلعته ٠٠ ويكنى عنه باسير الهند لانه يدعى انه ابن ملك وان كان من السفلة ٠٠ وبالشيخ الغريب لانه يتزوج في الغربة فيدعي انه ابن أربعين سنة وله سبعون سنة ٠٠ والعامة تكني عنه بالفاختة اشارة لقول القائل

أكذب من فاختة تقول وسط الكرب
والطلع لم يبـد لها هـذا أوان الرطب

ومثله قول الآخر

حديث أبي حازم كله كقول الفواخت جاء الرطب
وهن وان كن يشبهنه فليس يدانينه في الكذب

وربما قالوا فاختة سرخس ٠٠ وتقول العامة فواخت عنده صادقات ٠٠ ووعد الاعمش إنسان حاجـة فأخلفه فلما جاءه قال مرحبا يا أبا المنذر قيل له ماهـذه كنيته قال قد علمت ولكن كنيته بكنية مسيلمة ٠٠ ويقال في الكناية عن النمام زجاجة لانه يشف عما تحته قال السرى الرفاء

سألقاك بالبشر الجميل مداهنا فانى منك خل ماعلمت مداهن
انم بمـا استودعته من زجاجة يري الشئ فيهاظاهراً وهو باطن

ويكنى عن النمام أيضاً بالنسيم اشارة لقول السرى الرفاء

بياني عنك فاستشعرت هجراً خلال فيك لست لهـا براضى
وانك كلما استودعت سراً أنم من النسيم على الرياض

ويقولون أنم من الصبح ومن الطيب كقول البحترى

وكان البعير بها واشيا وجرس الحلى عليها رقيبا

وتقول العامة رقص فلان في زورقه اذا خادعه وسخرمنه ٠٠ وتقول في ذلك فتل ذروته اذا خادعه وأزاله عن رأيه ٠٠ ومن أمثالهم مازلت أفتل في الذروة والغارب حتي أسمحت

قرونته ـ أي ذل بعد صعوبته والقرينة والقرونة النفس ـ والذروة ـ أعلى السنام ـ والغارب ـ مقدمه .. ويروى ان الزبير حين سأل عائشة رضي الله عنها الخروج الى البصرة مازال يفتل في الذروة والغارب حتى أجابته .. وتقول العرب فى الكناية عن الجاهل لايدرى أى طرفيه أطول قال ابن الاعرابى ذكره ولسانه وقال الاصمعى لايدري أنسب أبيه أفضل أم نسب أمه وقال أبو عبيدة لايملك طرفيه أى فمه وأسته اذا شرب الدواء واذا سكر .. والعامة تقول فى ذلك لايدري أي رجليه أطول .. وحكى بعضهم قال جاء اعرابي الى شريك القاضى فقال

أتيتك ممتارا من العلم بلغة ... لمن ليس يدرى أى رجليه أطول
يظن بان الحمل في القطف نابت ... وان الذي في داخل التين خردل

وقال بعض من هذه صفته قد عرفت كل شئ حتى عرفت ان القرطم من الطلع وان الخردل من التين بقى حمل القطف لا أدرى من أى شئ .. ويقال فى الكناية عنه أيضاً لايدري ماطحاها ولا يدري أى الشهور المحرم والعرب تقول لايدري الوحى من السفر أى الاشارة من الكناية والحى من اللى أى واضح الكلام من غيره .. وتقول فى الكناية عن الجاهل هو راعي الضأن لبعد راعى الضأن عن الناس فوق راعي الابل ولذا ذكره حمزة الاصفهاني من الامثال على أفعل وتقول العامة غرفته خالية أى فارغ الدماغ .. ومن أحسن ماقيل فيه قول الشاعر

قيل صفه قلت نصفا ... ن وفي ذلك رمز
غرفة خفت كما قيل ... وسرداب يبتز
يزرع الكمون فى تلك ... وفي هذي الارز

وقال المصيصى

وليس في الرأس منه شئ ... يدور إلا أبو رياح
أوله ... أف لقاض لنا وقاح ... أضحي بريئا من الصلاح

والاقتصاد كناية عن البخل والاستقصاء كناية عن الجور .. وأهل بغداد يقولون عن البليد هو مبنى أى هو جماد وربما قالوا حائط .. ومما يحكي ان بعض الحكماء رأى

رجلا أحمق جالساً على حجر فقال حجر على حجر .. ويقولون في ذلك هو أعمى بلا عكاز وكودن بلا مهماز وثور مبطن بجمار .. ويقولون هو خزانة الطرائف لمن جمع عيوبا ومساوى ويقولون فيمن تكامل فضله ليس له على الله حجة .. وتقول العرب فلان يشوى القراح كناية عن الذى لازاد معه وأنشد ابن الاعرابى

بتنا جياعا وبات البق يلسبنا | نشوى القراح كان لاحىّ بالوادى
ياحاضر الحي لامعروف عندكم | لكن اذا لم يكن علينا رائح غادى
انى لمثلكم فى سوء فعلكم | ان جئتكم أبداً إلا معى زادى

قال وذلك ان الماء اذا شرب على غير ثقل قتل أو آذى فلا بد ان يسخن الماء ويشرب .. ويقال في الكناية عن البخيل عاري الخوان وهو يخنق كلبه قال الحطيئة

دفعت اليه وهو يخنق كلبه | ألا كل كلب لا أبالك نابح

أي يخنق كلبه لئلا ينبح فيدل الاضياف .. ويقال عنه أيضاً أخرس الكلب اشارة لقول الفرزدق

وعفنا على حى الطير ماح أنهم | طغام لهم أبد لئام وأنفس
وأبنا كلاب الحي تحرس حيهم | وأكلبهم من خيفة النبح تخرس
أقول لهم لما هجمنا عليهم | وقد منعتنا القصد ظلماء حندس
أأنتم بلا نار أم النار جذوة | أأنتم بلا كلب أم الكلب أخرس

والعامة تقول في الكناية عن البخيل هو دهن الجص وجوزاية الحصا وهو من كعك فيد كناية عن الشديد الصعب الذى لايطمع فيه لان كعك فيد انما هو زاد الحاج فيودعون بها للرجوع فيزداد جفافا ويقولون قد أسرج بخل كناية عمن ساءت حاله وافتقر قال منصور بن يحيى الكاتب

ولمهدى به ويسرج بالخل | اختلالا في حاله وبد اذا

وتقول العامة فى الكناية عن الرجل الشديد في الحاجة هو حرف لايقرأ ومعناه هو صعب الدبكة وتقول العرب فى الكناية عن الجائع تحرك شجاع بطنه وصاح شجاع بطنه .. ويقال فى معناه عض علي شرسوفه الصفر ـ والصفر ـ دويبة تزعم العرب أنها تعض

على صدر صاحبها اذا جاع ٠٠ حكي ابن دريد قال لما تواترت النكبات على قيس بن زهير خرج هو وصاحب له من بنى أسد يقال له رافع ابن المنتصم بسيحان وعليهما المسوح يتقوتان بما تنبته الارض الى ان دفع فى ليلة قرة الى أخبية العرب فوجدوا رائحة القتار وهما جائعان فسعيا يريدانه فلما قاربا أوكادا أدركت قيسا شهامة النفس وعزة الانفة فرجع وهو يقول

أعشيت فى الارض حتي كاد يطردني الى الصفار شجاع النفس بالعنف

ثم قال ان كان فى ترك الاغذية التلف فان فى النزاهة الخلف فانفتل عن صاحبه وقال دونك وما تريد فان لى لبثا على هذه الاجارع ارقب داهية القرون الماضية فمضى ورجع من الغد فوجده قد لجأ الى شجرة الوادى فنال من ثمرها شيئاً ثم مات وفى ذلك يقول الحطيئة

ان قيساً كان ميتته أسفا والحر منطلق
شام نارا بالحشا فسمى وشجاع النفس يختنق
جاه حتى كاد ثم نمى أسفل الوادى له ورق
فجنا فى فه حشوفه ثم أغفى وهو مطرق
فى دريس ماتعيبه رب حر ثوبه خلق

وقال أبو خراش الهذلي في شجاع النفس

وانى لأثوى الجوع حتى يملنى فيذهب لم تدنس ثيابي ولا جزمي
وأغتبق الماء القراح وأنتهي اذا الزاد أمسى للمذع ذا طعم
أرد شجاع النفس قد تعلمينه وأوثر غيري من عيالك بالطعم
مخافة ان أحيا برغم وذلة وللموت خير من حياة على رغم

ـ المذع ـ الضعيف وقوله ـ ذا طعم ـ أي شهوة والطعم في البيت الاخير هو الطعام نفسه ٠٠ وتقول العامة في الكناية عن الجبان صاحت عصافير بطنه ٠٠ ويقل زود زاد الضب أي ما زوده شيئاً لان الضب لايشرب الماء وانما يتغذى بالريح قال ابن المعتز

يقول أكلنا لحم جدي وبطة وعشر دجاجات سمان بالبان

وقد كذب الملعون ما كان زاده سوى زاد ضب يبلع الريح عطشان

وقال المتنبي

لقد لعب البين المشت بها وبي وزودني في السير مازود الضبا

قال أبو الفتح بن جنى لم يزودوني وقت البين شيئاً أستعين به على السير ضرب مثلا لشدة السير وقد رد عليه أبو على بن مورجه فى كتابه الموسوم بالنجفى على ابن جنى وقال وما زود الضبا فاعله البين والذي زودوه اياه على زعمه هو الغني عن الماء والبين مازود الضب ذلك بل هو خلق له وجبلة ولكن معنى البيت انه يشبههما قال وزودني البين الضلال عن وطنى الذي خرجت منه أو البلد الذى كنت أجتمع فيه مع هذا المحبوب عما كان أوفق للعود اليه والعرب تضرب المثل فتقول أضل من ضب وأحير من ضبة والسبب فيه انهم يزعمون ان الضب ربما خرج من جحره فلم يهتد للعود اليه واذا حمل على هذا التأويل كان المزود هو البين ويكون مفعوله مازود الضبا انتهي •• وتقول العامة دواب فلان فى زبقه كناية عن القمل قال الصاحب بن عباد

أنظر الى وجه أبي زيد أوحش من سجن ومن قيد

وحوشه تكثر في جيبه وظفره يركب للصيد

حكي عن أحمد بن أبي طاهر قال مددت يدي لصفعان لاصفعه فقال كف عنى هذا مزاح من داره ملكه وفى بستانه طاووس وفى اصطبله فيل وعلى باب داره زرافة ليس من داره بكراه وخبزه بشراه ودوابه فى راشه وفي حجرته ديك وعلى باب داره كلب انتهى •• وقال بعض الظرفاء اذا أخرجت دما فادخل دما أى اذا افتصدت فاشرب نبيذاً والعرب تسمى الخمر دما قال

خلطنا دما من كرمة بدمائنا فاظهر فى الالوان منا الدم الدم

البيت لمسلم بن الوليد وهو ثانى أربع أبيات أولها

اذا شئتما ان تسقياني مدامة فلا تقتلوها كل ميت محرم

ويقظي نفيت النوم عنها بسكرة بصهباء صرعاها من السكر نوم

وأغضيت للاكواب فى وجناتها لهيب فويق النار أو هي أضرم

وقال آخر

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطكاك المزاهر
لدن غدوة حتى أظل وصحبتى عصاة على الناهين شرب المناخر
كأن أباريق الشمول عشية أوزبا على الطف عوج الحناجر

ويقال في الكناية عن الدرهم الاخرس النجيح وعن القلم الناطق الابكم ويقال هو أخضر البطن كناية عن الحائك وأخضر النواجذ كناية عن الأكار قال جرير

كم عمة لك يا خليد وخالة خضر نواجذها من الكراث
نبتت بمنبته فطاب لريحها ونأت عن القيصوم والجثجاث

وانما هجوا بالكراث لان عبد القيس يسكنون البحرين والكراث فى أطعمتهم ٠٠ ويقولون في المختلفين من الناس هم كنم الصدقة وكبعر الكبش قال عمرو بن لجأ

وشعر كبعر الكبش فرق بينه لسان دعى فى القريض بخيل

وذلك أن بعر الكبش يقع متفرقا وقال المبرد خبرت ان عمرو بن لجأ قال لابن عم له أنا أشعر منك قال وكيف قال لانى أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه وسئل جرير عن شعر ذي الرمة فقال هو بعر الظباء ونقط العروس أي هي متفاوتة وليست بمتساوية المسقط قال الاصمعي شعر ذى الرمة حلو أول ماتسمعه فاذا أكثر انشاده ضعف ولم يكن له حسن لان ابعار الظباء أول ماتشم يوجد لها رائحة ما أكلت من الشيح والقيصوم والجثجاث والنبت الطيب فاذا أدمت شمه عدمت تلك الرائحة ونقط العروس اذا غسلته ذهب ٠٠ ويقال في الكناية أيضاً عنهم كيت الأدم أي كيت الاسكاف لانه يجمع من كل جلد رقعة في تأليف الاشياء الرديئة قال الشاعر

الناس أخياف وشتى في الشيم وكلهم يجمعهم بيت الأدم

قيل أراد ـ بيت الأدم ـ القبر لانه مأخوذ من أديم الارض وقيل أراد انهم يرجعون الى آدم عليه السلام وقوله ـ الناس أخياف ـ أي مختلفون مأخوذ من الخيف وهو ان يكون احدى عيني الفرس سوداء والاخرى زرقاء يقال القوم بنو أخياف اذا كان آباؤهم شتى وأمهم واحدة وبالعكس فهم بنو علات مشتق من العلل وهو الشرب الثانى كأنهم

أولاد امرأة بعد امرأة وجارية بعد جارية وفي الحديث الانبياء أولاد علات أي أمهاتهم مختلفة ودينهم واحد وفي الحديث يتوارث بنو الاخياف من الاخوة دون بني العلات أي يتوارث الاخوة لام وأب دون الاخوة للأب ـ والعلة ـ الدابة وقال أوس ابن حجر في بني العلات

فاني وجدت الناس إلا أقلهم　　خفاف العهود يكثرون التنقلا
بني الناس ذي المال الكثير يرونه　　وان كان عبداسيدالام جحفلا
وهم لقليل المال أولاد علة　　وان كان محضا في العمومة مخولا

وقال عبد المسيح بن عمر

والناس أولاد علات فمن علموا　　ان قد أقل فمجفو ومحقور
وهم بنو الام اما ان رأوا أشبا　　فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان في قرن　　فالخير متبع والشر محذور

ويقولون في معناه فتيان كابعار الضأن وكانهم خبز كتان اشارة لقول القائل يهجو الحجاج الثقفي

أينسى كليب زمان الهزال　　وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ماترى　　وآخر كالقمر المسفر

وذلك ان الحجاج لقبه كليب وكان هو وأخوه معلمين بالطائف يقول خبز المعلم مختلف لانه من بيوت صبيان مختلفي الاحوال وأنشد الجاحظ من هذا المعنى

أما رأيت بني بحر وغيرهم　　كأنهم خبز كتان وقال

ويقال حاطب ليل وحامل غثاء السيل كناية عمن يجمع بين الخزف والصدف والدرة والبعرة قال معن بن أوس

اذا قلت فاعلم ماتقول ولا تكن　　كحاطب ليل يجمع الدق والجزلا

وقال أكثم بن صيفي المكثار كحاطب ليل وانما قال ذلك لانه ربما نهشته الحية ولسعته العقرب في احتطابه وكذلك المكثار ربما أصابه اكثاره ببعض مايكره .. ويقال في معناه هو ساقي ليل لانه لا يدري ماسقاه أكدرا أم صافيا ويقال في المثل تكلم فلان .. جمع بين

الاروى والنعام أى جمع بين كلمتين مختلفتين لان الاروي يشغف بالجبال والنعام فى البرارى فهما مختلفان لانهما لايجتمعان •• ويقال هذا شعر مغسول أى عار من العيوب وشعر ساذج فى معناه •• وتقول العامة للبيت الرديء من الشعر هذا بيت بلا أوتاد •• ويقال في الكناية عن التساوى فى القدرهم كاسنان الحمار قال الشاعر

سواء كاسنان الحمار فلا ترى لذي شيبة منهم على ناشئ فضلا

البيت لكثير يهجو به بني ضمرة بن بكر بن عبد مناه بن كنانة قال الشاعر

شبابهم وشيبهم سواء فهم فى اللؤم أسنان الحمير

وأنشد المبرد في الكامل لاعرابي يصف قوما من طيء بالتساوى في الرداءة

ولما ان رأيت بني حوين جلوسا ليس بينهم جليس

قال قوله – ليس بينهم جليس – يقول هم قوم لاينتجع الناس معروفهم فليس فيهم غيرهم وهذا من أقبح الهجاء ويروى غيره ليس بينهم رئيس وأنشد أيضاً لبعض القرشيين

اذا ما كنت متخذا خليلا فلا تجعل أخاك من تميم

بلوت صميمهم والعبد منهم فما أدرى العبيد من الصميم

ويقال فى معناه هجا لحماري العبادى وذلك انه قيل للعبادى أي حماريك شر قال ذا ثم ذا •• ويقال في التساوى في الخير أو فى الشر هم كأسنان المشط وأول من تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وقف على أهل القبور فقال السلام عليكم أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع أسئل الله لنا ولكم العافية •• فى معناه وقعا لركبتي البعير وهما كرجلى النعامة أنشد ابن الاعرابى لبعضهم في نفسه واخيه

واني وإياه كرجلى نعامة على مابنا من ذي غني وفقير

قال ابن الاعرابى كل طائر اذا كسرت احدى رجليه جثم ولم يتحامل بواحدة فأخبر انه وأخاه كذلك اذا أصاب أحدهما شيء بطل الآخر •• قال أبو سفيان صخر بن حرب لعامر ابن الطفيل وعلقمة بن علاثه وقد تنافرا اليه أنتما كركبتى البعير فقال فاينا اليمين قال كلاكما يمين ومنه قول الشماخ

واني على الاوابة من عقيل فتى كلتا يديه ترى يمينا

وكان يقال لطاهر بن الحسين ذوا اليمينين حتى قال فيه الشاعر

ياذا اليمينين وعين واحدة نقصان عين ويمين زائده

وسئل الحجاج رجلا عن أولاد المهلب فقال لاأدرى أيهم أفضل هم كالحلقة لايدرى أين طرفها فأخذه البحترى وقال

انى مدحت بنى حصن وحق لهم ومدح أمثالهم فى مثله سرف

تكافأت في العلا أحسابهم فهم كحلقة الصفر لم يعرف لها طرف

وسئل ابن دريد عن ابن قتيبة فقال ربوة بين جبلين يريد خمل ذكره بنباهة ثعلب والمبرد ٠٠ وحكي البديع الهمداني قال سمعت أبا الحسين أحمد بن فارس يقول النفخ عند الاطباء كناية عن الضرط والفسو والقطع عند المنجمين كناية عن الموت والنصيحة عند العمال كناية عن السعاية والوطيء عند الفقهاء كناية عن الجماع وطيب النفس عند الظرفاء كناية عن السكر والعلق عند اللاطة كناية عن المؤاجر والزوار عند الكرام كناية عن السؤال وما أفاء الله عند الصوفية كناية عن الصدقة ٠٠ ويقال فلان وصى آدم للمتكفل بمصالح الناس اشارة لقوله

كان آدم عند قرب وفاته أوصاك وهو يجود بالحوباء

ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم وكفيت آدم عيلة الابناء

وقيل لابى العيناء ماتقول فى الحسن بن سهل فقال خلف آدم فى ذريته فهو يرقع غلتهم ويسد خلتهم ولقد رفع الله من الدنيا قدرها وأعلى شأنها اذ جعله من سكانها ٠٠ ويقال فلان خليفة الخضر اذا كان كثير السفر ٠٠ وفى الكناية عن الشيء النفيس هو ثمرة الغراب ٠٠ ويقال سمن فلان فى أديمه كناية عمن لاينتفع به غيره أى ماخرج منه رجع فيه قال أبوا العالية السامي

ترحل فما بغداد دار اقامة ولا عند من أضحي ببغداد طائل

محل ملوك سمنهم فى أديمهم وكلهم عن حلية المجد عاطل

ولا غرو أن شابت يد المجد والعلا وقل سماح من رجال ونائل

اذا غضغض البحر الغطامط ماؤه فليس عجيبا أن تغيض الجداول

ـ غضغض ـ أى نقص والتغضغض النقصان .. ولبعض المطبوعين فى ذم البغداديين

سقيا لبغداد ورعيا لها ولا سقى صوب الحيا أهلها
يعجبنى من سفل مثلهم كيف أبيحوا جنة مثلها

ولم أسمع في مدح بغداد أحسن من قول القائل

بغداد جوهرة العراق كأعين حفت بالمآقى
فكأنما الدنيا امرؤ وهي الحشاشة فى التراقى

ويقال فلان لايقرأ سورة الاخبار أى لايفى العهد وذلك أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم كانوا يسمون سورة المائدة سورة الأخيار قال جرير

ان البعيث وعبد آل مقاعس لايقرآن سورة الاخيار

ويقال فى الرجل اذا كان حسن اللباس قليل الطائل هو مشجب تشبيها له بمشجب القصار قال أبو عبد الله بن الحجاج

لى سادة طائر الرجاء لهم يطرده اليأس بالمقاليع
مشاجب للثياب كلهم وهذه عادة المشافيع
جائزتى عندهم اذا سمعوا شعرى هذا كلام مطبوع
وإنهم يضحكون إن شبعوا منى وأبكى أنا من الجوع

وقال دعبل

اذا ماالتقوا في روعة من خيولهم وأثوابهم قلت البروق الكواذب
وإن لبسوا دكن الخزوز وخضرها وراحوا فقد راحت عليك المشاجب

وربما سموه حبل المطرى وحبل القصار .. وما أحسن قول القائل في صفة النار

كأن نيرانهم فى كل شارقة مصبغات على أرسان قصار

قال ابن قتيبة الناس يستحسنون هذا البيت وأنا أرى أن الاولى تشبيه المصبغات بالنيران لا النيران بالمصبغات .. وأخذ الطائي هذا المعنى فقال فى حرق الافشين

مازال سر الكفر بين ضلوعه حتي اصطلى سر الزناد الواري
نارا يساور جسمه من حرها لهب كما عصفرت شق إزار

وأنشد ابن دريد عن عبد الرحمن عن الاصمعي لاعرابي

رأيت بحزن عزة ضوء نار ... تلألأ وهي نازحة المكان
فشبه صاحباي بها سهيلا ... فقلت تأملا ماتنظران
أناراً أوقدت لتنوراها ... بدت لكما أم البرق اليماني
كأن النار يقطع من سناها ... بنائق حلة من أرجوان

ومن الجيد في وصف النار قول جميل

رأيت وأصحابي بأيلة موهنا ... وقد غاب نجم الفرقد المتصوب
لبثنة نارا مانبوخ كأنها ... اذا مارمقناها من البعد كوكب
اذا ماخبت من أول الليل خبوة ... يعاد لها بالمندلي فتثقب

ويستحسن في وصف النار قول الفرزدق

ومستنبح طاوي المصير كأنما ... يخاصمه من شقة الروع أولق
دعوت بحمراء الفروع كأنها ... ذرى راية في جانب الجو تخفق
رآني سفيه النار للمبتغي القرى ... وان حليم الكلب للضيف يطرق

وتقول العامة في الكناية عن المتطفل ذباب قال ابن أبي عيينة

أتيتك زائراً لقضاء حق ... فحال الستر دونك والحجاب
ولست بواقع في قدر قوم ... اذا كرهوا كما يقع الذباب

وقال آخر

وأنت أخو السلام وكيف أنتم ... ولست أخا الملمات الشداد
وأطفل حين يجني من ذباب ... والزم حين يدعى من قراد

ويقال في الكناية عن الطامع هو قرلى وهو طير من بنات الماء صغير الجرم سريع الاختطاف كثير الغوص يرفرف على وجه الماء على جانب كطيران الحدأة يهوى باحدى عينيه الى الماء طمعا ويرفع الاخرى الى الهواء حذراً فان أبصر في الماء مايستقل بحمله من سمك أو غيره أنقض كالسهم المرسل وأخرجه من قعر الماء وان أبصر في الهواء جارحا غاص فضربوا به المثل في الاختطاف والحذر وفي الطمع فقالوا اخطف

من قرلي واحذر من قرلى إن رأي خيراً تدلى وأن رأى شرا تولى .. قال الصفري البصري فى ذلك

اذا كان صلح تبخترت فيه ... وإن كان هيج دخلت الثقب
كمثل القرلى اذا كان خيراً ... تدلى وإن كان شراً هرب

وأهل بغداد يكنون عن الجرب بحب الطرب وربما صغروه فقالوا حب حبيبات الطرب .. قال الوزير أبو محمد المهلبي فى غلام له جرب

ياصروف الدهر حسبي ... أى ذنب كان ذنبي
علة عمت وخصت ... في حبيب ومحب *
رب فى كفيك يامن ... حبه ربي بقلبي
فهو يشكو حر حب ... واشتكائي حر حب

ويكنون عن القصير بفقاعة قال ابن الرومى

الق اليها اذنا واستمع ... أبرد ماغنته كراعه
دحداحة الحلقة حد باؤها ... قامتها قامة فقاعه

ويكنون عنه بالبيدق قال

ألا يابيدق الشطرنج في القيمة والقامه ... لقد صغرت منك الكل غير الدبر والهامه

وقد أحسن الشاعر فى وصف القصير بقوله

وقام الى الغلام أسى وغيظا ... بقدر لم يزد فيه القيام

هذا البيت من أبيات أولها

رأيت أبا زرارة قال يوما ... لحاجبه وقد طال الخصام
خلاك الله من أهل ومال ... عليه وكلما تحوى حرام
لئن حضر الطعام ولاح شخص ... لاخنطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذاك شيخ ... بغيض ليس يردعه الملام
فقال وقام من حنق اليه ... بقدر لم يزد فيه القيام
أبي وأبو أبي والكلب عندي ... بمنزلة اذا حضر الطعام

ويكنون عن الطويل بغزل النعامة وبخيط باطل وفي خيط باطل قولان أحدهما أنه الهباء فى ضوء الشمس فيدخل فى الكوة من البيت ويقال انه يكون غزل عين الشمس والثانى أنه الخيط الذى يخرج من فم العنكبوت وتسميه العامة مخاط الشيطان وهذا القول أجود .. وكان مروان بن الحكم يلقب بخيط باطل لانه كان طويلا مفرطا فلقب به لدقته كما قال الشاعر

لحى الله قوما ملكوا خيط باطل   على الناس يعطى من يشاء ويمنع

وقرأت فى جمهرة الامثال عن أبي هلال العسكري قال تقول العرب للمتكبر الضخم ظل الشيطان .. وقال غيره تقول العرب فى الكناية عن الحزين فلان يعد الحصي ويخط في الارض لأن الحزين يفعل ذلك قال قيس بن الملوح

عشية مالى حيلة غير أنني   بلقط الحصي والخط في الدار مولع
أخط وأمحو كل ماقد خططته   بدمعي والغربان في الدار وقع

وهذا كما أن النادم يقرع السن والبخيل ينكث الارض ببنانه أو بعود عند الرد قال عمر بن أمية بن أبي الصلت

ياطالب الحاجات عند سراتنا   أعمد الى الابناء من دهمان
الاكبرين الاكرمين أرومة   أهل الندى والطيبى الاعطان
قوم اذا نزل الغريب بدارهم   ردوه رب صواهل وقيان
لاينكتون الارض عند سؤالهم   لتطلب العلات بالعيدان
بل يسفرون وجوههم فترى لها   عند السؤال كأحسن الالوان
واذاهم ركبوا ليوم كريهة   سدوا شعاع الشمس بالخرصان

ويقولون فلان منقرس كناية عن المثرى ويشتق منه تنقرس فلان اذا أثرى قال المبرد وسمعوا ان هذا الداء يكون فى أهل النعمة قال ومنه قول بعض العرب

فصرت بعد الفقر والتبئس   يخشى علىّ الحي داء النقرس

وحكى المبرد قال كان الحرمازى في ناحية عمر بن مسعدة وكان يجرى عليه فخرج عمر الى الشام وتخلف الحرمازى ببغداد لنقرس أصابه فقال

أقام بارض الشام فاختل جانبي ومطلبه بالشام غير قريب
ولا سيما في مفلس خلف نقرس اما نقرس من مفلس بعجيب

وتقول العرب فلان أكرم من لقط الحصى أى أكرم العرب لان العرب لاتحسن عقد الحساب فكانوا اذا عدوا الحساب لقطوا لكل يوم حصاة فتقول لنا يوم كذا وتلقط الحصاة ولنا يوم كذا وتلقط حصاة أخرى وهذا أصل قولهم أصبت الشيء اذا عددته ثم كثر ذلك حتى استعمل فيمن لايعد الحصى عند العدد قال الله تعالى أحصاه الله ونسوه وقال البعيث

يعز بنجد كل من لقط الحصى ويعلو رؤس الناس عند المواسم

قال ابن دريد يقال عز الرجل يعز اذا صار عزيزاً وعزه يعزه اذا قهره •• ويقال فلان رقيق النعل كناية عن الملك قال النابغة

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

أراد انهم ملوك والاصل في ذلك ان الملك لايخصف نعله انما يخصف نعله من يمشي ـ طيب حجزاتهم ـ أى هم أعفاء الفروج أى يشدون إزرهم على عفة ـ ويوم السباسب ـ يوم الشعانين •• وفلان مسمط النعل كناية عن الشريف لان أشراف العرب نعالهم غير مطبقة قال المرار

وجدت بني خفاجة في عقيل كرام الناس مسمطة النعال

يقال نعل سمط أى طارق •• وقريب من ذلك قول النجاشي

ولا يأكل الكلب السروق نعالنا ولا نستقي المخ الذي في الجماجم

يريد ان نعالهم سبت ـ والسبت ـ جلود البقر المدبوغة بالقرظ وهو ورق السلم اذا كانت سبتا لم تقربها الكلاب وانما يأكل الكلب غير المدبوغ لانه اذا أصابه المطر دسمه وكان زهما •• وقريب منه ما أنشد أبو موسى الحامض

أبني لبيني أمكم أمة وان أباكم وقب
أكلت خبيث الزاد فاتخمت منه وشم خمارها الكلب

أى قد تقيأت فيه ـ والوقب ـ الضعيف •• ويقولون فلان لايطأ على قدم أي هو سيد

الناس بتقدم الناس ولا يتبع أحداً فيطأ على مؤخر قدمه قال الشاعر

عهدى بعبس وهم خير الامم لا يطؤن قدما على قدم

ويقال خلع الله نعليه أي جعله مقعدا لان المقعد لايحتاج الي النعل ٠٠ ويقولون أطفأ الله ناره كناية عن العمي وعن الموت أيضاً ٠٠ وفى الكناية عن الاعمى أيضاً عابر الوقاذبن ذكره ابن السكيت ٠٠ ويقال سقاه الله دم جوفه دعاء عليه بان يقتل ولده ويضطر الى أخذ ديته ابلا فيشرب من ألبانها ٠٠ ويقال رماه الله بليلة لا أخت لها أى بليلة يموت فيها لا أخت لها ٠٠ وقريب منه وقع في سلا جمل أي فى داهية لم يرمثلها لان الجمل لاسلا له وانما السلا للناقة وهو مايلتف فيه ولدها ٠٠ ويقولون فلان تحت الحبل اذا غسل ثيابه ولم يكن له مايلبسه قال بعض الظرفاء

عبدك تحت الحبل عريان كأنه لاشك شيطان
يغسل أثوابا كأن البلا فيها خليط وهي أوطان
أرق من ديني لو كان لي دين كما للناس أديان
يقول من أبصرني معرضاً فيها وللاقوال برهان
أهكذا قد نسجت فوقه عناكب الحيطان إنسان

وقال آخر

قوم اذا غسلوا ثياب جمالهم لبسوا البيوت الى فراغ الغاسل

ويقولون هو حافي الحز يكنون به عن الملك قال قطري الغنوى

حفاة الحز لايجزون مفصلا ولايأكلون اللحم إلا تحزما

يقولون هم ملوك وأشباه الملوك لاحذق لهم بالنحر والتجلد والسلخ ولهم من يتولى ذلك عنهم فاذا لم يحضرهم من ينحر جزوراً تكلفوا للاضياف ولم يحسنوا حز المفصل كما يفعله الجزار وقوله ـ ولا يأكلون اللحم الا تحزما ـ أي ليس فيهم شره فاذا أكلوا اللحم تحزموا قليلا قليلا ـ والحزم ـ القطع وأنشد الجاحظ فى مثله

وصلع الرؤس عظام البطو ن حفاة الحز غلاظ القصر

لان ذلك كله أمارات الملوك قال وقريب منه قوله

لبس براعى ابل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

ويقولون فلان أملس يكنون عمن لاخير فيه ولا شر .. وتقول العامة هو حامضة فى جوف اترجة كناية عمن حسن وجهه وقبح خلقه .. وتقول العرب ماحه على ركبته أى هو سيئ الخلق يغضبه أدنى شئ أنشد الاصمعي لمسكين الدارمى

لاتلمها انها من نسوة ملحها موضوعة فوق الركب

كشموس الخيل يبدو سبقها كلما قيل لها هال وهب

قيل للاصمعي كيف قال ماحها موضوعة فقال كما قالوا أعسل طيبة .. وقال بعضهم ملحها على ركبها أى هي زنجية لان الملح السمن وسمن الزنج فى أفخاذهم .. ويقولون فى سيئ الخلق سرج العرب لان السرج انما هو خشب غير موطأ .. وتقول العامة صفيق الوجه صلب الزرقة يكنون به عن الوقح .. ويقولون فلان متبرقع بصخرة قال

ياصفيق الوجه قل لى قد تبرقعت بصخره

همة فى بطن حوت وقرون فى المجره

وأبلغ ماجاء فيه قول اعرابي لو دق بوجهه الحجارة لرضها .. وتقول العرب فلان يخط على النمل كناية عن المجوسى والنملة قرحة تزعم العرب ان المجوسى اذا كان من أخته وخط عليها برأت قال الشاعر

ولا عيب فينا غير عيب لمعشر كرام وأنا لانخط على النمل

أى لسنا بمجوس ننكح اخواتنا وهذه الطريقة في الشعر هى اخراج الشئ المحمود بلفظ يوهم غيره يقال فلان كريم غير انه شريف قال النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وقال النابغة الجعدى

فتى تم فيه مايسر صديقه على أن فيه مايسوء الاعاديا

فتى كملت اخلاقه غير انه جواد فما يبقى من المال باقيا

ومثله

ولا عيب فيهم غير ان ضيوفهم يلام بنسيان الاحبة والوطن

ومنه قولهم

ولا عيب فيهم غير شح نسائهم   ومن المكارم أن يكنّ شحاحا

ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم أنا أفصح العرب بيدانى قريشي ونشأت فى بنى سعد بن بكر ـ وبيد ـ بمعنى غير ٠٠ وصحف ابن الاعرابي البيت الاول فقال لايخط النمل فرد عليه أبو عمرو ٠٠ ويقولون فلان مقطوع الثمرة كناية عن المختون أى مقطوع القلفة أنشد الجاحظ لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير

مازال عصياننا لله يسلمنا   حتي دفعنا الى يحيي ودينار

الى علجين لم تقطع ثمارهما   قدطالما سجدا للشمس والنار

وتقول العامة سوق كسوق الجنة أى كاسدة لان سوق الجنة لابيع فيها ٠٠ وتقول العامة فى مثل ذلك سوق كبطن الحمار وجوف الحمار أى خال لان بطن الحمار ليس فيه شئ ينتفع به قال امرؤ القيس

وواد كجوف العير قفر قطعته   به الذئب يعوى كالخليع المعيل

فسره الاصمعى وأبو حاتم بالخالى ٠٠ وروى ابن دريد باسناده عن الكلبي قال ـ الجوف ـ موضع كان يسكنه حمار بن مالك بن نصر الازد وكان جبارا عاتياً وهو الذى جرى به المثل فقيل هو أعز من حمار فبعث اليه سيلا فاحتاج الجوف وأهله فقالت العرب أخلى من جوف حمار فلم يقدر امرئ القيس ان يقول كجوف حمار فقال كجوف العير والصحيح هو الاول وأما قول الحارث بن حلس

زعموا ان كل من ضرب العير   موال لنا وأنا الولا

فقال اختلفوا في تفسيره فقال أبو حاتم أراد بالعير الماء في الحوض اذا ضرب ليصفوا وتصير قذاؤه على جوانبه ٠٠ وقال غيره ـ العير ـ الوتد وقال شبه بعير البصل لنتوه وقيل انه عنى كليبا سماه عيراً لانه كان سيدا والعير السيد يقول كل من قتل كليبا أو أعان على قتله جعلوه مولي لنا وألزمونا ديته ٠٠ وقيل لاعرابية ماخبر قدرك قالت حليمة منتاشة أى ساكنة الغلى لم تبرد ٠٠ ويقال عمن لايصلى هو عفيف الجبهة ٠٠ ورأى شاعر رجلا يصلى صلاة خفيفة فقال لو رآك العجاج لسربك قال وكيف قال لان صلاتك رجز ٠٠ ويقال هو

عنف الفقر اذا افتقر لم يغش المدنئة القبيحة قال جرير

وانى لعف الفقر مشترك الغنى   سريع اذا لم أرض دارى انتقاليا

ويقال فلان عنيف الشفة أي قليل السؤال وفلان خفيف الشفة أى كثيره ٠٠ وسمع عمر رضى الله عنه امرأة فى الطواف تقول

فمنهن من تسقى بعذب مبرد   نقاخ فتلكم عند ذلك قرت

ومنهن من تسقى باخضر آجن   أجاج ولولا خشية الله فرت

فعلم رضي الله عنه ماتشكو فوجه الى زوجها فوجده متغير رائحة الفم فخيره بين خمسمائة درهم أو جارية من الفيء على أن يطلقها فاختار الخمسمائة درهم ٠٠ وتقول فلان يشبه كراع الارنب أى دنى الهمة قصيرها ٠٠ أنشد ابن الاعرابي لزياد الاعجم

زعمت غدانة ان فيها سيداً   ضخما يوازنه جناح الجندب

يرويه مايروي الذباب فينتشي   سكراً ويشبعه كراع الارنب

وتكنى العرب عن الشيء القليل بدر الارانب لأن الارنب يضرب المثل بقلة لبنها قال عمرو بن قمئة

شركم حاضر وخيركم د   رخروس من الارانب بكر

ـ الخروس ـ النفساء والخرساء ماتأكله والخرس طعام الولادة الذي يجتمع عليه الناس ـ والبكر ـ التى لم تلد إلا مرة واحدة وهو أقل للبنها وأضيق لمخرجه ٠٠ والعرب تكنى عن التيقظ بالقطامى فيقولون فلان قطامي أي متيقظ شديد النظر قال المرار

تأمل ماتقول وكنت قدما   قطاميا تأمله قليل

ويقال ان الصقر يكتفي بنظرة واحدة ٠٠ ويكنون عن آدم بعرق الثرى قال امرؤ القيس

فبعض اللوم عاذلتى فاني   سيكفينى التجارب وانتسابي

الي عرق الثرى وشجت عروقى   وهذا الموت يسلبني شبابى

أى اذا انتسبت ولم يكن بينى وبين آدم أب حى كفاني وعلمت اني سأموت ٠٠ ومثله قول لبيد

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما   وهل انا إلا من ربيعة أومضر

أخذه أبو نواس فقال

وما الناس إلا هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

وقال أهل الادب وهذا أحسن ماقيل في وصف الدنيا حتى قالوا لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بأحسن منه وهو مأخوذ من قول جرير

دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا بأسهم أعداء وهن صديق

ولمتمم بن نويرة في عرق الثرى

فعددت آبائي الى عرق الثرى فدعوتهم فعلمت ان لم يسمعوا

ذهبوا فلم أدركهم ودعتهم غول أتوها والطريق المهيع

وتقول العرب لقيت من فلان عرق القربة يكنون به عن الشدة ٠٠ والاصل فيه ان العرب كانوا اذا شنت القربة وخافوا انشقاقها دهنوها يوما وأشربوها الدهن بالشمس فاذا شربت زالت آثار الدهن عنها ثم اذا وضعت في الشمس تقبضت ولم تعرق وربما سقوها الشحم المذاب قال

عرق القربة كلفتني كيف آتي بجميل قد ذهب

أي كيف آتي بشحم قد ذهب ٠٠ قال ابن الاعرابي يقال كلفت اليك علق القربة وعرق القربة فاما علقها الذي يشد ثم يعلق به واما عرقها فعرقك عنها الذي تعرقه من جهدها وانما قال كلفت اليك عرق القربة لان أشد العمل عندهم السقي انتهى ٠٠ والعرب تكني عن الحشرات بجنود سعد ويريدون سعد الاخبية لانه اذا طلع انتشرت الهوام وخرج منها ما كان مختبئاً ويقال انه سمي لذلك سعد الاخبية قال الشاعر

قد جاء سعد مؤذناً بشره مؤذنة جنوده بحره

وكان بعض أهل العلم يكني عن المكدي بحافظ سورة يوسف لانهم يعتنون بحفظها دون غيرها ٠٠ وقال عمارة يهجو محمد بن وهيب

تشبهت بالاعراب أهل التعجر فدل على ماقلت قبح التكلف

لسان عراقي اذا ماصرفته الى لغة الاعراب لم يتصرف

ولا تنس ماقدكان بالامس حاكه   أبوك وعود الخف لم يتقصف
لئن كان للاشعار والنحو حافظاً   لقد كان من حفاظ سورة يوسف

وكان بعض الظرفاء يكنى عن المقيط بتربية القاضى وعن الرقيب بثانى الحبيب لانه يرى مع الحبيب أبداً .. قال ابن الرومي

موقف للرقيب لا أنساه   لست أختاره ولا آباه
مرحبا بالرقيب من غير وعد   هو يجلى علىّ من أهواه
لا أحب الرقيب الا لاني   لا أرى من أحب حتى أراه

وله

مابالها قد حسنت ورقيبها   أبداً قبيح قبح الرقباء
ماذاك الا أنها شمس الضحي   أبداً يكون رقيبها الحرباء

ـ الحرباء دويبة شبيهة بالعظاية تأتي شجرة تعرف بالتنضبة وتشد بيديها غصن منها وتقابل الشمس بوجهها وكلما زالت عين الشمس عن ساق منها حلت يدها منه وأمسكت ساقا آخر حتي تغيب الشمس فتسبح فى الارض وترفع .. قال أبو دؤاد

أني أتيح لها حرباء تنضبة   لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا

يضرب مثلا لمن لايدع حاجة الا سأل أخري ويضرب للحازم لانها لا ترسل غصنا إلا اذا أمسكت آخر .. والعرب تقول أحزم من الحرباء وقال بعض العلماء هو فارسى معرب وأصله حربا أى حافظ الشمس وحربا بالفارسية اسم الشمس .. وقال ذو الرمة وكان أنعت العرب للحرباء

ودوّية حذاء جرباء خيمت   به هبوات الصيف من كل جانب
كأن يدي حربائها متمسكا   يدا مذنب يستغفر الله تائب

وله

تصلى بها الحرباء للشمس مائلا   عن الجذل إلا انه لايكبر
اذا حول الظل العشى رأيته   حنيفاً وفى قرب الضحي يتنصر

وقريب من قول ابن الرومى حيث شبه الحبيب بالشمس والرقيب بالحرباء قول

الصاحب بن عباد

قال لي ان رقيبي سيئ الخلق فداره
قلت دعني وجهك الجنـ ـة حفت بالمكاره

ويستحسن قول ابن سكرة في الرقباء الثقلاء

أشبهه وحاشية لديه ثقالا كلها رخم وبوم
كبدر التم إشراقا وحسناً وقد سترت ملاحته الغيوم
عهدت البدر تكنفه نجوم وذا بدر تحيط به رخوم

ومن الشعر المطبوع في وصف الرقيب والثقيل قول ابن الرومي

ذا بلاء من محضر ومغيب وحبيب مني بعيد قريب
لم ترد ماء وجهه العين الا شرقت قبل ريها برقيب

ويقال في الكناية عن العريان هو محرم تشبيها له بالحاج أو بالمعتمر ٠٠ وفي الحافي يكنون عنه ببشر اشارة الى بشر الحافي الزاهد ٠٠ وما أطبع قول ابن سكرة الهاشمي حيث قال وقد دخل حماما

ولست بداخل حمام يحيي ولو حاز المنى طيبا وحرا
تكاثفت اللصوص عليه حتى نحفى من يسلم أو تعرا
ولم أفقد به شيئاً ولكن دخلت محمداً وخرجت بشرا

وسمعت بعض الظرفاء يكنى عن الوجه المليح بحجة المذنب اشارة لقول القائل

قد وجدنا غفلة من رقيب فسرقناه نظرة من حبيب
وأرانا بنم وجها مليحاً فوجدناه حجة للذنوب

وسمعته يكني عن الجاهل بحجة الزنادقة اشارة لقول ابن الرومي

مهلا أبا الصقر فكم طائر صار صريعا بعد تحليق
زوجت نعمى لم تكن كفؤها فصانها الله بتطليق
وكل نعمى غير مشكورة رهن زوال بعد تحقيق
لا قدست نعمى تسربلتها كم حجة فيها لزنديق

ويشبه هذا قول ابن سلام فى اسماعيل بن بلبل

ياحجة الله فى الارزاق والقسم   وعـبرة لاولي الالباب والهمم
نراك اصبحت فى نعماء سابغـة   ألا وربك غضـبان على النعم

الا ان ابن بسام صرح بان النعم لاقدر لها عند الله تعالى حتى جعلها عند الجهول الذي هو أقل المخلوقين قدراً وأدناهم منزلة واعترف بانها من عند الله وابن الرومي طوي على شبهته وادرج شكه وروى ان البيتين لسـعيد بن حميد ولست أضمن صحته ولابى هفان من قول ابن بسام

ليست النعمة عنـ   ـد الله في مثلك نعمه   سخط الله عليها   فابتـلاها بك نقمه

•• ويقولون عرض فلان على الحاجة عرضاً سابريا أى خفياً من غـير استقصاء تشبيها له بالثوب السابرى والدرع السابري وهو الخفيف منهما •• ويقال من ذلك وعد سابري للذي لايقرن به وفاء •• وقال محمد بن عبد العزيز السوسى

أرضى بان أرضى بتأخير حاجتى   وأنت صـديقى دون كل صـديق
أبي الله أن يرضى ذووا العلم والتقى   بوعـد كثوب السابري رقيـق

وحـدث المبرد قال صرت الى مجلس ابن عائشة وفيه الجاحظ والجماز فسأله عيسى بن اسماعيل من أشعر الناس من المولدين فقال الذى يقول

كأن ثيابه أطلعـ   ـن من أزراره قمرا   بعـين خالط التفتـ   ـير من أجفانها الحورا
ووجه سابرى لوتصـ   ـوب ماؤه قطـرا   يزيدك وجهه حسناً   اذا مازدته نظـرا

يعنى العباس بن الاحنف وتروي هذه الابيات لابى نواس فى عنان جارية الناطفى وأولها

عنان قد رأيناها   فلم نر مثلها بشرا
يزيدك وجهها حسناً   اذا مازدته نظرا

ويروى فى آخرها

اذا ما الليل حل به   دجي الظلماء فاعتكرا
وغاب فلم يكن قمـر   بابردها تكن قمـرا

والعرب تقول في معـنى العرض السابرى سامه سوم عالة أى عرض عليه عرضاً ليس

بالحكم ــ والعلة ــ التي نهلت لم تعتل ثانية فبشمت الماء فهي تعرض عليه عرضاً لايبالغ فيه ٠٠ ويقال عليه واقية الكلاب اذا كان مسلما من الآفات لدناءته وحقارته وذلك ان على الكلاب واقية من الصبيان والسفهاء والبهائم وغيرها ٠٠ قال دريد بن الصمة حين ضرب امرأته بالسيف ليقتلها فسلمت

أقر العين ان عصبت يداها ... وما ان يعصبان على خضاب

وأبقاهن ان لهن لؤما ... وواقيـة كواقيـة الكلاب

وأحسن ماقيل في هـذا المعنى قول أبي عمر الحسن بن على بن غسان الشاكر يعضى الخيار

يعضى الخيار من الانام نهافتا ... يتساقطون تساقط الأوراق

وشرارهم مثل الحجارة والحصا ... من كل حادثة عليهـم واق

ومن الكنايات الحسنة ماروى ان امرأة عجوز قالت لقيس بن سعد رضى الله عنهما أشكو اليك قلت الجرذان فقال ماأحسن ماكنيت به إملؤا بيتها خبزاً وسمنا وتمراً ٠٠ ومن ذلك ماروى ان بعض الولاة ساير رجلا على برذون مهزول فقال ماأهزل برذونك فقال يده مع أيدينا ففطن له ووصله ٠٠ ومن كنايات العامة فلان فى الزيت وربما قال الحشيش فى الزيت لمن وقع فى شدة وهم ٠٠ أنشد أبو الحسين هلال بن ابراهيم قال أنشدني أبي لنفسه

لحية منصور اذا سرحت ... تضيق عنها سعة البيت

كأنهـا وهو لتى تحتهـا ... بارية هـدت على ميت

سبحان من يعطى الحامن يشا ... ويجعل الكوسج في الزيت

ومنها قولهم فلان نوى الزيتون لمن لاخير فيه وربما قرنوا به التفسير فقالوا لاالشاة تأكله ولا القماش تجمعه ٠٠ وفى معناه هو ابن اللبون لمن يقل الانتفاع به لانه لالبن له فيحلب ولا ظهر له فيركب ٠٠ والعامة تقول غى الشرير أعرفه بشرى الاصل وربما قالوا بطراز الاصل ٠٠ ويقولون هو اعرف بشمس أرضه كناية عمن تزداد معرفته بالشيء عن معرفة صاحبه ٠٠ ويكنون عن الشيء الملازم بتزويج النصارى لان النصراني

لايطلق •• وعن المخالف بغلام الجبال لانه يرجع الي وراء •• وعن الكبريت بالحقير النافع •• وعن الثوم بعنبر القدور •• ويقولون فيمن لبس ثوب أحمر قد انفجر قصاره ••وعن المصفر الوجه كأنه قدبلغ إزار يهودي••ويقولون هذا مثل شمس العصر كناية عما يحتمل من الافعال المكروهة القبيحة •• أنشدني بعض الادباء فيه

لا ترقّع من فوق حالك حال   قد وفي الصاع وامتلا المكيال
مثل شمس الضحي اذا ماستقلت   في ذارها فليس إلا الزوال

وفى هذا المعنى وان لم يكن من هذا اللفظ قوله

يا من علا وعلوه   أحدوثة بين البشر
غلط الزمان بان علا   بك ثم حطك فاعتذر

وتقول العامة فلان سلب الكره عمن أخذ في الكلام وأطال فيه •• ويكنون عن المهذار بتربية الخدم وهي من الامثال المعكوسة••وفلان يتفرزن أي يقصد تحت الصدر كالفرزان••وفلان مالح فلان أى يصالحه••وعن المجدور بنقش الكرسى تشبيهاً له به ••ويكنون عنه اذا كان نقي البياض بالدبيقى المعين أشارة لقول القائل

وجهه للحسن معدن   فتأمل وتبين
جدرى فى بياض   كدبيقى معين

وهذا من الطف ما قيل فيه رواه بعضهم عن البجامي الفقيه ثم وجدت في بعض تصانيف الثعالبي النيسابورى منسوباً الي الصنوبرى •• ومما قيل فى الجدرى وهو أحسن ماقيل فيه

له في نواحي الوجه منه كواكب   من الحسن حراس على كل موقب
فان ترقب عين المشرّق لحظة   بشيطان لحظ أحرقتها بكوكب

وحكى ابراهيم بن السرى الزجاج أنه كان بحضرة أحمد بن يحيي النحوى اذ وقف عليه اعرابي ثم قال أيكم ثعلب قال لعلك تريد أبا العباس قال اياه أردت فقال قل أطال الله بقاك وأحسن ممساك ما أراد عمنا صعصعة بن بجير الهلالي بقوله

الحمد لله الحميد المنان   صار الثريد فى رؤس القضبان

فاتكفا ثعلب على أهل المجلس فقال أحسن الكهل فوسعوا له فدخل المجلس ثم قال أجيبوا الكهل فقال نفطويه الجواب منك يا سيدي أحسن فقال على أنكم تعلمونه فقال له قد سمعت ما رده القوم قال لا ولا أنت أعزك الله يعلم قال أراد أن السنبل قد أفرك قال صدقت أعزك الله ولكن خذلنى من القوم بحق الفائدة قل بالله بروه فبروه الناس البر الوافر ٠٠ ومن الكنايات العامة قولهم وقع الشهر في الاثنين اذا بلغ العشرين وجاوزها ٠٠ أنشد الصولى لاحمد بن سعيد الطائي

قدوقع الصوام فى الاثنين   وجاءنا ذاالفطر فى الكمين
فاسقنيها من يدى غزال   معتدل القد أخى مجون
وغنى لي على صوت ناى   وطيب ورد وياسمين
ألم تر البدر عاد نضواً   في عطفة الزاى بعد سين

ويقال أيضاً وقع الشهر في الواوات اذا جاوز العشرين لانه يعطف بالواو على العشرين ٠٠ قال على بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام

قد قرب الله يا ذا كل من شسعا   كأنني بهلال الفطر قد طلعا
فخذ لهوك فى شوال أهبته   فأن شهرك فى الواوات قد وقعا

ومن كناية العامة اذا قال أحدهم سلامتها خير من كل شيء فقد ولدت امرأته اثنين في بطن ٠٠ واذا قال إنما رغبتنا فى العفاف فقد تزوج قبيحة فقيرة ٠٠ واذا قال لقمة البيت أطيب من كل شيء فقد فاته دعوة ٠٠ واذا قال وما شهدنا الا بما علمنا فقد ردت شهادته في حق من شهد به ٠٠ واذا قال مابحلال الله من بأس فقد تزوجت أمه ٠٠ وحكي بعضهم قال رجل لآخر تزوجت أمك فقال نعم حلال طيب فقال حلال نعم وأما الطيب فهو الزوج أعلم ٠٠ ومن الكلام الغالى الذى يكاد يلحق بالمعجز قوله صلى الله عليه وسلم جدع الحلال أنف الغيرة حين ذفت فاطمة لعلى رضى الله عنه ٠٠ ومن الكنايات مايكون على وجه التبكيت كقول العرب للرجل الجاهل يا عاقل قال الله تعالى ذق إنك أنت العزيز الكريم بزعمك ودعواك فهو تبكيت له كقوله تعالي حكاية عنهم إنك لانت الحليم الرشيد وقيل قوله إنك أنت العزيز الكريم أى الذليل المهين على العكس وقد جاء مثله

فى الشعر قال الشاعر يهجو جريراً

ألم تكن فى وسوم قد وسمت بها من جار موعظة يا زهرة اللبن

ومن الكنايات ما يقرن بالتفسير فيذكر معه كقولهم النار فاكهة الشتاء والحلق دهليز الحياة .. قال ابن سكرة

أيها النزلة سيرى وانزلي غير لهاتى واتركى حلقى بحق فهو دهليز حياتى

وقال آخر

النار فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتياً فليصطلى

ان الفواكه فى الشتاء شهية والنار للمقرور أفضل مأكل

وفى هذا المعنى .. قولهم الشيب خضاب المنية ورائد الموت ووافد الحمام .. ونظرت امرأة الى شعرة بيضاء في رأس زوجها فقالت ما هذا قال رغوة الشباب .. وقال غيره الشيب وقائع الدهر وأنشد لابن المعتز

عقبت سواى وأزمعت هجرى وطوت ضمائرها علي الغدر

قالت كبرت وشبت قلت لها هذا غبار وقائع الدهر

ويقال من ذلك الشيب زهرة الحنكة وثمرة التجارب وزبدة مخضتها الايام وفضة سبكتها التجارب .. ومنه قولهم التواضع زكاة الشرف والعفو زكاة القدرة والعفو ثمرة الذنوب .. وقد احسن الخالدي فى قوله

تبسطنا علي الآثام لما رأينا العفو من ثمر الذنوب

ومنه قولهم السحاب نخل الارض . والعيال سوس المال . والرشوة رشاء الحاجة . والغيبة أدم كلاب الناس . والغنا رقية الزنا .. وسئل خالد بن معد ان فقيه أهل حمص عن القبلة للصائم فقال القبلة عندنا برق الجماع واذا برقت السماء أمطرت .. ومن ذلك قولهم القلم أحد اللسانين . ورداءة الخط احدى الزمانتين .. وحكي الجاحظ قال قال رجل أعمى ارحموا ذا الزمانتين فقالوا وما زمانتاك قال أعمى وصوتي قبيح .. وقد أشار الشاعر لهذا المعنى

اثنان اذا عدا حقيق بهما الموت

فقير ماله زهد وأعمي ماله صوت

﴿ الباب الرابع والعشرون ﴾

(في ألفاظ متخيرة تجري مجرى الكنايات)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في منبت السوء ٠٠ ومثله قول زفر بن الحارث

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

ويقال في المثل الحنظلة خضراء وأوراقها مر مذاقها ٠٠ ويروى عن على بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال ما رأيت أفصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت كلمة من عربي فصيح الا وقد سمعتها منه وسمعته صلى الله عليه وسلم يقول مات حتف أنفه ما سمعتها من عربي قبله ٠٠ قال ابن دريد يعنى خرجت روحه في نفسه لم يجرح ولم يقتل ولم يكلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلح أهل نجران ان بيننا وبينهم عيبة مكفوفة يعنى صدراً نقياً من العداوة مطويا على الوفاء ٠٠ ويقال فلان شرح صدره على كذا أي طواه ٠٠ وتقول العرب هؤلاء عيبتى أى اهل ودى وخالصتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار كرشى وعيبتي ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ـ والمكفوفة ـ المشروحة قال الشاعر

وكادت عياب الود بيني وبينكم ... وان قيل أبناء العمومة تصفر

فقوله صلى الله عليه وسلم ـ الانصار كرشي ـ أى جماعتى الذين أثق بهم وأعتمد عليهم ـ وعيبتي ـ أي موضع سري كأنه يودعهم سره كايداع العيبة نفيس المتاع ٠٠ قال بعض العرب وقد سئل عن صديق له فقال صفرت عياب الود بيني وبينه بعد امتلائها وأكفرت وجوه كانت مشرقة بمائها أي خلت القلوب عن المودة بعد امتلائها وهذا من الاستعارات اللطيفة لان العيبة لما كانت تستودع أنواع الثياب وكان القلب لما يتضمنه من المحبة والعداوة لايخلو منهما خلو العيبة من المتاع استعار العيبة مكان القلب ٠٠ وتقول العرب جاء فلان ربد العنان اذا جاء منهزما أنشد ابن الاعرابي

ولم يرم ابن دوة عن تميم ... غداة تركته ربد العنان

ويقال جاء ينفض مذرويه ـ المذروان ـ فرعا الا ليتين وذلك اذا توعد من غير حقيقة •• وفي هذا المعنى قال رؤبة

حرق على جرك أو تبين ... بأي دلو إن غرفت تسقين

أي سكن غضبك وانظر بأي فخر تفاخرني •• ويقال لمن جاء خائبا ولم يظفر بحاجته جاء على حاجبه صوفة• قال أبو عطاء• السندي في عمر بن هبيرة

ثلاث خلقهن لقوم قيس ... طلبت بها الاخوة والثناء

رجعن على حواجبهن صوف ... وعند الله يلتمس الجزاء

وهو مثل قولهم جاء بخفي حنين •• ويقال نظر فلان عن شماله كناية عن المنهزم أنشد ابن الاعرابي للحطيئة

رقيبان صدق من عدي عليهم ... صفائح بصرى علقت بالعواتق

اذا فزعوا لم ينظروا عن شمالهم ... ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافق

وقاموا الى الجرد الجياد فألجموا ... وشدوا على أوساطهم بالمناطق

وقال ابن الاعرابي يقال مر بهم غراب شمال أي طائر شؤم •• ويقال هم عندي بالشمال أي بالمنزلة الخسيسة•• ولم أجعل شؤنك بالشمال أي لم أجعلها موضع سوء•• وأنشد لابن ميادة

ألم تك في يمني يديك جعلتني ... فلا تجعلني بعدها في شمالكا

ولو أنني أذنبت لم أك هالكا ... على خصلة من صالحات خصالكا

وتقول العرب التقي الثريان في الاثنين والرجلين يكونان متفقين فيأتلفان •• قال أبو عبيدة ـ والثري ـ التراب الندي فاذا جاء المطر الكثير رشح بطن الوادي حتى تلتقى نداه ـ والندي ـ الذي في بطن الوادي فعند ذلك يقال التقى الثريان •• قال ابن الاعرابي لبس فلان فرواً بغير قميص فقيل التقي الفروان يريد شعر الفرو وشعر العانة ••وحكى أبو حاتم عن الاصمعي قال قلت لاعرابي اتخذ جعفر بن سليمان سراويل وبطنها بعباءة فقال التقى الثريان•• وتقول العرب في الخير لا يطير غرابه يريد أن يقع الغراب فلا ينفر لكثرة ماعندهم قال الشاعر

تمشى النسور اليه وهى لاهية مشي العذارى عليهن الجلابيب

أى في خلاء ليس فيه شئ يذعرها وهي لا تدجل وقيل أراد به ليس به غراب فيطير كما قال الشاعر

لا تفزع الارنب فى أحوالها

أى ليس لها أرانب تفزع ٠٠ وكذلك قوله

على لا حب لا يهتدى بمناره

انما أراد لامنار له وهذه الطريقة يقال لها الابهام ٠٠ فاما قول القائل

سارفع قولا للحصين ومالك تطير به الغربان شطر المواسم

فليس يريد به الغراب وانما أراد تسير به الأبل ـ والغراب ـ مقعد الراكب ٠٠ وتقول العرب هذا أمر لاينادى وليده كناية عن الامر الشديد والخطب المعضل ٠٠ قال أبو عبيدة هو أمر لا تنادى فيه الصغار وانما تنادى فيه الكبار ٠٠ وقال غيره المراد به أن المرأة تشتغل عن ولدها فلا تناديه كما قال

اذا خرس الفحل وسط الحجور وصاح الكلاب وعق الولد

معناه ان الفحل اذا عاين الجيش وبوارق السيوف لم يلتفت للحجور والكلاب تنبح أربابها لانها لا تعرفهم للبسهم الجديد والمرأة تذهل عن ولدها ويشغلها الرعب فجعل ذلك عقوقا كما قال الآخر

وادعى اذا ما الكلب أنكر أهله وادعى اذا ما الكلب جذلان ناعم

وانكار الكلب أهله فى القتال وجذل الكلب ونعيمه اذا كثر القتلى فيقول ادعى فى الحالتين ٠٠ ويقال أصبح فلان على قرن غزال أى أدبر وولى أمره لانهم يتشاءمون به قال امرؤ القيس

ولا مثل يوم فى قذار ظللته كانى وأصحابى على قرن أعفرا

ويقال ذلك للحذر أيضا قال المرار يصف مفازة

كأن قلوب أدلائها معلقة بقرون الظبا

وقال المعري

في بلدة مثل بطن الظبي بت بها كأنني فوق روق الظبي من حذر

وأنشد ابن دريد في معنى قول امرئ القيس ـ على قرن أعفرا ـ لبعضهم

وما خير عيش لايزال كأنه محلة يعسوب برأس سنان

يعنى من القلق وانه غير مطمئن •• قال ابن قتيبة يقال للشيء الذي لايستقر على رجل طائر وبين مخالب طائر وفي قرن ظبي••وقال أبو عبيدة يقال به داء ظبي أى هو صحيح لاداء به قال وهذا من مثل قول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

أى لاعيب فيهم بحال••ويقال فلان كظل الذئب أى لايستقيم على طريقة واحدة كما ان ظل الذئب لا يستقيم مرة كذا ومرة كذا••ويقال رماه الله بداء الذئب اذا دعي عليه بالجوع لان الذئب جائع فى اكثر أوقاته وتظن به البطنة لعدوه على الناس والماشية وربما كان مجهوداً من الجوع ••وفى ذلك قال بعض المحدثين

الارب ذئب مر بالقوم خالياً فقالوا علاه البهر من شدة الاكل

والعرب تقول أجوع من ذئب••قال ابن الرومي

ومصحح الاضياف يسلم ضيفه من كل داء غير داء الذيب

ويقال رماه الله بداء الذئب فى الدعاء عليه بالموت أيضا لان الذئب لايعتل الا بعلة الموت •• ويقال فى المثل أصح من الذئب •• ويقال عهد فلان عهد الغراب للخائن الغدار •• قال الشاعر وقد اعتل فلم يعده أمية بن عبد الله بن خالد وكان عظيم الكبر

ان من يرتجى أميـة بعدى لكمن يرتجي خفوق السراب

كنت أرجوه والرجاء كذوب فاذا عهده كعهد الغراب

قال ابن دريد سألت أبا حاتم عن عهد الغراب فقال قالت العرب كل طير يألف أنثاه إلا الغراب فانه اذا باضت الانثى تركها وصار الى غيرها••قال ابن الاعرابى ألقى فلان نفسه بين سمع الارض وبصرها اذا غرر بنفسه والقاها حيث لايدرى اين هو غيره••ويقولون فعلت ذلك بين سمع الارض وبصرها أي فى موضع خال لا أحد فيه•• وقال عبد الملك ابن مروان للحجاج حين ولاه العراق أخرج اليها كميش الازار منطوى الخصيلة أى مر

اليها مشمرا مسرعاً ـ والخصيلة ـ لحم العضدين والفخذين والساقين وجمعه خصائل وكل لحم على عضد خصيلة •• ويقال ألقى فلان عصاه اذا أقام واستقر قال الشاعر

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عيناً بالاياب المسافر

وقال زهير فلما وردنا الماء زرقا جمامه ... وضعنا عصيّ الحاضر المتخيم

قال أبو عمر بن العلاء لم يقل فى صفة الماء أحسن من هذا البيت •• ويقال طارت عصى بني فلان شققا اذا تباغضوا •• قال الجاحظ فى كتاب التبيان العرب تسمى كل صغير الرأس العصا وكان عمر بن هبيرة صغير الرأس فقال فيه سويد بن الحارث

ومن مبلغ عنى العصا أن بيننا ... ضغائن لاتنسى وان قدم الدهر

ويقال هو أبقي من تفاريق العصا لان العصا ينتفع بها مرة أخرى لانها تكون سأجور الكلب فتكسر فتجعل أوتادا وتفرق فتجعل أشظة ـ والشظاظ ـ الذي يجعل في عروة الجوالق فان جعلوا رأس الشظاظ كالفلكة صار خشاشا للجمل فاذا فرق الخشاش جعل منه العود الذى يجعل فى فم الجدى لئلا يرضع أمه فاذا كانت العصاة قناة كان كل شق منها قوساً فاذا فرقت الشقة صارت سهاما لطافا فاذا فرقت صارت مغازل فاذا فرقت شقعت بها الاقداح •• قالت المرأة فى ابنها وقد أصابه قوم بمجبول

أقسم بالمروة حقا والصفا ... انك خير من تفاريق العصا

ويقال انفلقت بيضتهم عن كذا اذا وضح لهم عما يريدون •• ويقال أفرخ حي القوم بيضتهم أي أظهروا أمرهم كما تفرخ الحمامة بيضتها ومنه يقال أفرخ روعك أى زال ما كنت تخافه وترتاع كما يخرج الفرخ من البيضة •• وتقول العرب فلان طوع القياد أى لا رأي له •• وفلان عريض البطان اذا أثرى وكثر ماله •• وفلان رخي اللبب اذا كان في سعة يصنع ما شاء •• وفلان واقع الطير اذا كان لينا ساكنا •• وقال ابن الاعرابي يقال ان فلانا لشديد الناظر اذا كان بريئا من التهم وشديد الكاهل منيع الجانب •• وتقول أنف فلان فى أسلوب للمتكبر ـ والاسلوب ـ الطريق •• ويقال فلان يقلب كفيه اذا ندم وأصله أنه اذا ندم قلب كفيه تلهفا على ما فاته قال

وما كان ذو شعب يمارى عصبنا ... فينظر فى كفيه الا تندما

ـ العبص ـ العبصة شبه حسبهم به ومثله يعض أنامله قال

قد أفنى أنامله أزمه فأضحى يعض على الوظيفا

٠٠ ويقولون في الندم فلان ينظر في أعقاب النجم المغرب قال الشاعر

وأصبحت من ليلى الغداة كناظر مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

ويقال سقط في يده اذا أيقن بالهلاك قال تعالى ولما سقط في أيديهم ٠٠ ويقولون رددت يده في فيه اذا عصيته وأصله أن الانسان اذا تكلم أشار بيده فاذا رد يده في فه فكأنما رد كلامه ويقال هم عليه يد أي مجتمعون لان الانسان يقوي بيده فاذا اجتمعوا ولم يخالفوا فكأنهم يد واحدة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم وهم يد على من عاداهم من الملل المحاربة لهم ٠٠ وتقول خرج فلان نازع يد أي عاصياً وأصله أن بيعة الامام باليد فاذا عصى فكأنه نزع يده من بيعته ٠٠ وتقول أعطاه عن ظهر يد أى ابتداء لا عن مكافاة وأصله أن يده ظهرت بالعطية مبتداة ٠٠ وتقول هذه يدي لك تريد بذلك الانقياد لأن من ناول يده فكأنه قد سلم اليه مايقوى به ٠٠ وقال بن الاعرابي يقال لبس فلان لفلان أذنيه اذا تغافل وأنشد لبعض بني فقعس

لبست لغالب أذني حتى أراد برهطه ان يأكلوني

ويقال جاء فلان ناشراً أذنيه أي جاء طامعاً وقال ابن الاعرابي يقال فرس غير محلفة أي لا تحوج صاحبها الى أن يحلف أنه ما رأى مثلها كرماً ٠٠ قال الشاعر في وصف قصيدة حسنة

محلفة لما ترد اذن سامع فتصدر إلا عن يمين وشاهد

أي لا يسمعها أحد إلا قال أجاد والله فيكون هو شاهداً أو حالفاً ٠٠ فأما قول الشاعر

كميت غير محلفة ولكن كلون الصرف عل به الاديم

فهو من هذا أيضاً ٠٠ ومنه قوله حضار والوزن محالفان وهما نجمان يطلعان قبل سهيل فيظن كل واحد منهما أنه سهيل حتى يكاد يحلف الواحد عليه ويقال فلان خلف الدهر أشطره أي مرت عليه صروفه خيره وشره والأصل فيه اخلاف الناقة ولها شطران قادمان وآخران فكل خلفين شطر ٠٠ ويقال قرع لذلك الأمر ظنبوبه أي عزم عليه

واجتهد فيه .. والظبوب عظم الساق .. قال سلامة بن جندل

أنا اذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب

الصارخ ــ المستغيث هاهنا ــ والمصرخ ــ المغيث قال تعالى ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي أي مغيثكم .. ومن الاستعارات الحسنة قولهم أبدى الشر نواجذه وكشفت عن ساقها وكشرت عن نابها وافتر الصبح عن نواجذه وخفق قلب الرعد قال ابن الاعرابي يقال رأي أعود وطريق أعود اذا لم يكن فيه علم ولا أثر ودليل أعور للمسيء الدلالة والأعور من الرجال من لاخير فيه ولما اعترض أبو لهب على النبي صلى الله عليه وسلم بعد اظهار الدعوة قال أبو طالب يا أعور ما أنت وهذا فاراد ياردى الرأى لأن أبا لهب لم يكن أعور ومنه يقال للكلمة القبيحة عوراء وقال أبو عبيد بدل أعور للمذموم يخلف بعد الرجل المحمود وأنشد لابن همام السلولى في قتيبة ابن مسلم

أقتيب قد قلنا غداة لقيتنا بدل لعمرك من يزيد أعور

وقال نهار بن توسعة فيه أيضاً

كانت خراسان روضا اذ يزيد بها وكل باب من الخيرات مفتوح

فاستبدلت قتبا جعداً أنامله كأنما وجهه بالخل منضوح

ويقال استنوق الجمل للرجل يكون في حديث أوصفه ثم يخلط ذلك بغيره وينتقل اليه والأصل فيه أن طرفة بن العبد كان عند بعض الملوك والمسيب بن علس ينشده شعراً فقال

وقد أتناسى الهم عند احتضاره · بناج عليه الصيعرية مكدم

فقال بناج فوصف جملا ثم حوله الى وصف ناقة فقال طرفة عندها استنوق الجمل أي صار الجمل ناقة فقال الجمل الخمس وبل لهذا من لسانه فكان كما قال فهجا عمرو ابن هند فقتله قال أبو عبيدة وقد يقال ذلك للرجل يظن به غنا وشجاعة ثم يكون الأمر بخلافه قال الكميت

هززتكم لو كان فيكم مهزة وذكرت ذا التأنيث فاستنوق الجمل

ويقال كان حماراً فاستأتن أي صار أتانا يضرب للرجل يهون بعد العز ويقال

استنسر البغاث في الضعيف يقوي قال* إن البغاث بارضنا يستنسر* ويقال مالكلامه ضحي أي ليس له بيان ذكرهما ابن فارس فى مختار الألفاظ ٠٠ وقال ابن الأعرابى هذا كلام لا يستعدى عليه أى واضح لا يحتاج أن يستعان معه ٠٠ ويقال هما يتنازعان حلة الظربان اذا استبا ٠٠ ويقال ماأصفيت لك إناء ولا اصفرت لك فناء وهما في المعذرة يقول لم آخذ مالك وإبلك فيبقى إناؤك مكبوباً لا تجد لبناً تحلبه فيه ويبقى فناؤك فارغاً لا تجد ما يبرك فيه ٠٠ ومن الالفاظ المختارة قولهم أكدي الشاعر وانقطع رشاؤه وانخرق سقاؤه والعامة تقول في معناه وقف حماره ٠٠ ويقال شمط حديثه اذا خلط جداً بهزل وفظاظة بلين ٠٠ وكان أبو عمر يقول اشمطوا أي خذوا مرة فى الحديث ومرة في الشعر ٠٠ ويقال فلانا يفتل فى حبل فلان اذا كان يعينه في باطله ٠٠ وفلان يكبر من وراء الصف عمن يدخل في صناعة ليس من أهلها ٠٠ ويقال كان هذا الأمر على حبل الذراع ـ وحبل الذراع ـ عرق في اليد ٠٠ وهولك على ظهر الاناء ٠٠ ومثله هو على طرف الثمام أى قريب المتناول ٠٠ قال الشاعر

نعم ان قلتهـا فع الثريا — وعيدك لا على طرف الثمام
ومالك نعمة سلفت الينا — وكيف وأنت تبخل بالسلام
سوى ان قلت لي أهلا وسهلا — وكانت رمية من غير رام

وتقول العامة هو أقرب من عصا الاعرج ٠٠ ويقال ضرب فلان بجهاره أى نفر من الشئ نفورا لا يرجع اليه ـ والجهاز ـ بفتح الجيم أصله في البعير يسقط على ظهره القتب فيقع بين قوائمه فيفزع فيذهب في الارض ٠٠ ويقال ضرب عليه جورته أي وطن عليه نفسه ـ والجورة ـ النفس ٠٠ وشد فلان للامر حزيمه اذا استعدله ـ والحزيم ٠ والحيزوم ـ ماوالى الصدر ٠٠ ويقال ظهر فلان لحاجته أي جعلها خلف ظهره ولم يلتفت اليها ٠٠ ويقال لا تجعل حاجتى بظهر قال تعالى (واتخذتموه وراءكم ظهرياً) ٠٠ وتقول لمن أيسر بعد شدته اقبسنى نارك ٠٠ ويقال هذا أمر ليل اذا كان ملبسا مظلما ٠٠ ويقال اختلط الليل بالتراب اذا اختلط على القوم أمرهم ٠٠ أنشدنى ابن الاعرابى

لو أشرف القوم على أمر العدا — واختلط الليل بألوان الحصا

وبعثوا سعداً الي الماء سدي بغير دلو ورشاء يستقي

ويقال عند اظهار الزهد في واحد واطراحه وهبت نصيبي منه للشيطان ٠٠ قال الشاعر

لما رأيت جميل ودك قد نبا وابيت غير تهجم وقطوب
وعرفت منك خلالا تفاجربها ظهرت فضائحها على التجريب
خليت عنك مفارقالك عن قلا ووهبت للشيطان منك نصيبي

وقال آخر في معناه

يا خيلي لا أذم زماني غير اني أذم أهل الزمان
لم يزل منهم أخ صادق الو دقليل الوفاء حلو اللسان
لم أجده موافقا فتصدقـ ت بحظي منه على الشيطان

ويقال لبس فلان لفلان جلد النمر أي أظهر العداوة له وجعلوا النمر مثلا في ذلك لانه أجرأ سبع في ذلك وأشده وأقله احتمالا للضيم ٠٠ ومنه يقال تنمر له أي صار مثل النمر ٠٠ ويقال في معناه قشر له العصا أي أبدا له ما في نفسه ٠٠ ولبس له جلد الضأن اذا لان له ٠٠ ويقال ملكت فاسجح أي أحسن ووجه أسجح أي حسن ٠٠ قال ذو الرمة

* وخد كمرآة الغريبة أسجح *

أي في نهاية الجلاء والصقال لان التي في أهلها يخبرونها بمساويها ومحاسنها والغريبة لا تعول في ذلك الا على مرآتها فهي معنية بجلائها وصقالها فزاد المعنى حسناً بزيادة الغريبة وتقييده بها فكان أبلغ من مطلق امرئ القيس بن حجر حيث قال

* ترائبها مصقولة كالسجنجل *

ونظير ذلك قول الأعشى ميمون بن قيس

يروح على آل المهلب جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

فشبه الجفنة بالحوض ثم زادها حسناً بذكر العراقي اذا كان بالبر فهو على جمع الماء احرص اذ لم يعرف مواضعه من البدوي العارف المناقع والحسى ٠٠ وهذه الطريقة تسمى الايغال والايغال أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت ثم يصف وصفاً آخر يزيد به في معناه ولو اقتصر عليه لكفاه ومثله قول امرئ القيس

كأن عيون الوحش بين خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

فقد أتى في هذا البيت على التشبيه كاملا قبل القافية لان عيون الوحش شبيهة بالجزع فزاد على الوصف بقوله ـ الذي لم يثقب ـ وكان ذلك ادخل في التشبيه .. قال ابن الاعرابي يقال رجل شديد الحجزة أي صبور على الشدة والجهد .. قال وقيل لاعرابي ماتقول في فلان قال جرف منهار وسحاب منجار لا يطمع في خيره .. ويقال سال بهم السيل وجاش بنا البحر أي وقعوا في أمر شديد ووقعنا نحن في أشد منه .. ويقال كان وجهه نمش بقتادة أي خدش بها وذلك في الكراهة والعبوس والغضب .. ويقال فلان لا يركض بالمحجن اذا كان بليداً ليس فيه ان يدخل المحجن بين رجل البعير فان كان البعير بليداً لم يركض فيه وان كان ذكيا ركض ومضي .. ويقال فلان يضرب اخماساً لاسداس أي يظهر أمراً يكني عنه بغيره قال ابن الاعرابي والاصل فيه انه كان شيخ في ابل معه أولاده ورجال قد طالت غربتهم عن أهلهم فقال لهم ذات يوم ارعوا أربعاً نحو طريق أهلهم فقالوا رعيناها خمساً فزادوا يوماً لانه قبل أهاليهم ثم قالوا رعيناها سدساً ففطن الشيخ لما يريدون فقال ما أنتم إلا ضرب اخماس لاسداس ماهمكم ولا شأنكم رعيها انما همتكم أهلكم ثم صار مثلا في كل مفكر .. قال الشاعر

اذا أراد امرؤ هجراً جرى عللا وصار يضرب اخماسا لاسداس

حكى عن أبي عمر قال بلغني ان عتبة بن أبي سفيان قال لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما مامنع عليا ان يبعثك مكان أبي موسى قال منعه من ذلك حاجز القدر وقصر المدة ومحنة البلاء أما والله لو بعثني لاعترضت في مدارج نفس معاوية ناقضاً لما أبرم ومبرما لما نقض أسف اذا طار وأطير اذا أسف ولكن مضى قدر وبقى أسف والآخرة خير لامير المؤمنين .. فقال خزيم بن فاتك الاسدى

لو كان للقوم رأي يرشدون به أهل العراق رموكم بابن عباس
لله در أبيه أيما رجل مامثله لقضاء الامر في الناس
لكن رموكم بشيخ من ذوي يمن لم يدر ماضرب اخماس لاسداس

أي لم يعرف المكر ولم يكن فيه دهاء .. قال القاضي أبو العباس الجرجاني هذا آخر

ماشرطت ايراده فى هـذا الكتاب ولو مددت النفس فى ذلك لامتد ولو أوسعت باع القول في ذلك لاتسع لكنني قصدت أن يكون كتابي هذا علا بين المتوسط والمختصر ليقرب على متأمله تناوله ويسـهل على مريد المحاضرة به حفظه فلذلك قيـدت لساني وقصرت قيد عناني وأنا أستغفر الله من كل ماجرى به قلمى وخطته يمينى مما لا يرضاه الله ورسوله واستقيله عثرات لساني وبنانى وأن يهب لى ماظهر فيـه من زلاتى وأن يستر على ماعلن فيه من سقطاتي لما استدر من صحة ديني وخلوص يقيني وان يجعـل سـعي فيه وفي جميع أمورى خالصاً لوجهه ويحمدنى العاقبة فى مقاصـدى ومذاهبي ويجعل منقلبي وخالصـة أمرى الي خير بمنه ولطفه انه ولى ذلك والقادر عليـه والله حسبي ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

عونك اللهم على شكر نعمتك في ملك كملك • وبحر في قصر • وبدر في دست • وغيث يصدر عن ليث • وعالم في ثوب عالم • وسلطان بين حسن وإحسان

لولا عجائب صنع الله ما نبتت تلك الفضائل في لحم ولا عصب

هذه صفة تغني عن التسمية • ولا تحوج الى التكنية • اذ هي مختصة بمولانا الأمير السيد الملك المؤيد وليّ النعم أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه مولى أمير المؤمنين أدام الله سلطانه • وحرس عزه ومكانه • وخالصة له دون الورى • وجامعة لديه محاسن الدنيا • اللهم فكما فضلته على عبادك بالفضائل التي لا تحصى • والفواضل التي لا تنسى • ففضله بطول العمر • ودوام الملك • واتصال الصنع • ورغد العيش • وسكون الجاش • وعلو اليد • وسعادة الجد • وكفاية المهم • وازالة الملم • وانظر للمكارم والمعالي بالدفاع عن مهجته • وحراسة دولته • وتثبيت وطأته • برحمتك يا أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين آمين • وصلواتك على النبي محمد وآله أجمعين • ﴿ثم ان هذا﴾ الكتاب خفيف الحجم • ثقيل الوزن • صغير الجرم • كبير الغنم • في الكنايات عما يستهجن ذكره • ويستقبح نشره • أو يستحيا من تسميته • أو يتطير منه • أو يسترفع ويصان عنه • بألفاظ مقبولة تؤدي المعنى • وتفصح عن المغزى • وتحسن القبيح • وتلطف الكثيف • وتكسوه المعرض الأنيق • في مخاطبة الملوك • ومكاتبة المحتشمين • ومذاكرة أهل الفضل • ومحاورة ذوي المروءة والظرف • فيحصل المراد • ويلوح النجاح • مع العدول عما ينبو عنه السمع • ولا يأنس به الطبع • الى ما يقوم مقامه • وينوب منابه • من كلام تأذن له الاذن • ولا يحجبه القلب • وما ذلك الا من البيان في النفوس • وخصائص البلاغة • ونتائج البراعة • ولطائف الصناعة • وأراني لم أسبق الى تأليف

مثله • وترصيف شبهه • وترصيع عقده • من كتاب الله وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم • وكلام السلف • ومن قلائد الشعراء • وفصوص البلغاء • وملح الظرفاء • في أنواع النثر والنظم • وفنون الجد والهزل • وقد كنت ألفته بنيسابور في سنة أربعمائة فلما جرى ذكره على اللسان العالي أدام الله علاه وخرج الأمر الممتثل ادام الله رفعته بانفاذ نسخة منه الى الخزانة المعمورة أدام الله شرفها أنشأتها نشأة أخرى وسبكته ثانية بعد أولى ورددت في تبويبه وترتيبه وتأنقت فى تهذيبه وتذهيبه وترجمته (بكتاب الكناية والتعريض) وشرفته بالاسم العالي ثبته الله مادامت الأيام والليالى وأخرجته في سبعة أبواب يشتمل كل باب منها على عدة فصول مترجمة بمودوعاتها ﴿ فالباب الاول ﴾ فى الكناية عن النساء والحرم ومايجري معهن ويتصل بذكرهن من سائر شؤنهن وأحوالهن وفصوله خمسة ﴿ والباب الثانى ﴾ فى ذكر الغلمان ومن يقول بهم والكناية عن أوصافهم وأحوالهم وفصوله خمسة ﴿ والباب الثالث ﴾ فى الكناية عن بعض فضول الطعام وعن المكان المهيأ له وفصوله أربعة ﴿ والباب الرابع ﴾ فى الكناية عن المقابح والعاهات وفصوله اثنا عشر ﴿ والباب الخامس ﴾ فى الكنايات عن المرض والشيب والكبر والموت وفصوله ثمانية ﴿ والباب السادس ﴾ فيما يوجبه الوقت والحال من الكناية عن الطعام والشراب وما يتصل بها في فصلين ﴿ والباب السابع ﴾ في فنون شتى من الكناية والتعريض مختلفة الترتيب وفصوله سبعة وهاأنا أفتتح سياقها وأوفيها حقوقها وشرائطها بعون الله تعالى ودولة مولانا الملك السيد ولي النعم خوازرم شاه ثبتها الله وأدامها

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الباب الاول .. في الكناية عن النساء والحرم وما يجرى معهن ويتصل بذكرهن من سائر شؤنهن وأحوالهن ﴾

﴿ فصل في الكناية عن المرأة ﴾

العرب تكنى عن المرأة بالنعجة والشاة والقلوص والسرحة والحرث والفراش والعتبة والقارورة والقوصرة والنعل والغل والقيد والظلة والجارة وبكلها جاءت الأخبار ونطقت الاشعار ﴿ فاما ﴾ الكناية بالنعجة فقد أوضح عنها القرآن فى قصة دواد عليه السلام (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة) أى إمرأة ﴿ وأما ﴾ الكناية بالشاة فكما قال عنترة العبسى

يا شاة ماقنص لمن حلت له حرمت عليّ وليتها لم تحرم

فكنى عن امرأة وقال أي صيد أنت لمن يحل له أن يصيدك فأما أنا فان حرمة الجوار قد حرمتك على ﴿ وأما ﴾ الكناية بالقلوص فكما كتب رجل من مغزيّ كان فيه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوصيه بنسائه

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فداك من أخى ثقة ازاري

قلائصنا هداك الله إنا شغلنا عنكم زمن الحصار

﴿ وأما ﴾ الكناية بالسرحة وهى شجرة فكما قال حميد بن ثور

أبى الله الا أن سرحة مالك على كل أفنان العضاه تروق

وانما كنى عن امرأة مالك بسرحة مالك أحسن كناية وعبر عن اتفانها فى الحسن على سائر الغوانى أحسن عبارة وقد سلك طريقته في هذه الكناية من قال

ومالى من ذنب اليهم علمته سوي انى قد قلت ياسرحة اسلمى

نعم فاسلمى ثم اسلمي ثمت اسلمى ثلاث تحيات وان لم تكلمى

وانما تقع مثل هذه الكناية عمن لايجسرون على تسميتها أو يتذممون من التصريح بها كما قال الشاعر

واني لاكني عن قذور بغيرها ... وأعرب أحيانا بها فأصرح

﴿ وأما الحرث ﴾ فمنه قول الشاعر والقاه على طريق الألغاز

اذا أكل الجراد حروث قوم ... فحرثي همه أكل الجراد

يعني ـ بحرثه ـ امرأته وفي القرآن (نساؤكم حرث لكم) ﴿ وأما الفراش ﴾ فقد قال الله تعالى في وصف الجنة (وفرش مرفوعة) يعني النساء ألا تراه يقول على أثرها (إنا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكاراً) ﴿ وروي ﴾ عن بعضهم انه قال لرجل أراد أن يتزوج استوثر فراشك أي تخير السمينة من النساء ﴿ وأما ﴾ العتبة ففي قصة ابراهيم عليه السلام زار ابنه إسماعيل عليه السلام فوافق حضوره غيبته عن المنزل فقدمت عليه امرأته وأخبرته بحاله ولم تعرض عليه القرى فقال لها قولي لابني ان أباك يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تغير عتبتك فلما رجع أسماعيل عليه السلام وقصت عليه المرأة القصة وأدت اليه الرسالة طلقها في الساعة امتثالا لأمر أبيه لان قوله غير عتبتك كناية عن طلاقها والاستبدال بها ﴿ وأما ﴾ الكناية بالقارورة ففي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسائق الابل التي عليها نساؤه رفقاً بالقوارير ﴿ وأما الكناية ﴾ بالقوصرة فمنها قول الراجز

أفلح من كانت له قوصرّه ... يأكل منها كل يوم مرّه

﴿ وأما النعل ﴾ فمنها قول عمر رضى الله تعالى عنه المرأة نعل يلبسها الرجل اذا شاء لا اذا شاءت هي ﴿ وأما الغل ﴾ فمنه قول بعض الحكماء من العرب وهو يذكر النسا ومنهن الودود والولود القعود ومنهن غل يضعه الله فى عنق من يشاء ويفكه عمن يشاء ﴿ وأما القيد ﴾ فمنه قول أبي الحسن الجوهرى الجرجاني من قصيدة فى الصاحب يذكر استعداده للسير الى حضرته ويكنى عن طلاق امرأته

جوادي قدامي وذيلي مشمر ... وقلبي من شوق يجيء ويذهب

وقد كنت معقولا بأهلي مقيداً ... وهاأنا من ذاك العقال مسيب

وعلى ذكر الطلاق فانى أستحسن واستظرف جداً ما كتبه ابن العميد في الكناية

عن حلف بعض الملوك بالطلاق وهو قوله فى فصل من كتاب حلف يميناً سمي فيها حرائره (وأما الطلة) فهي عند بعض الكوفيين أصلية وعند بعضهم مكنية وكذلك الحليلة وينشد

وانى لمحتاج الى موت طلتي ولكن متاع السوء باق معمر

﴿ وأما الجارة ﴾ ففيها يقول الاعشى

* أجارتنا بيني فانك طالق *

﴿ ومن احسان ﴾ المتنبي المشهور قوله لسيف الدولة وقد أوقع ببني كلاب وسبى نساءهم ثم ردهن عليهم

ولو أن الامير سبى كلابا عداه عن شموسهم الضباب

وانما كنى عن النساء بالشموس وعن المحاماة دونهن بالضباب والعرب قد تكني أيضا عن النساء بالجآذر والظباء والمها والبقر ﴿ وأتى النعمان ﴾ بن المنذر بهذه الكناية وكان فيها دمه وذلك انه كان وتر زيد بن عدي اذ قتل أباه عدى بن زيد وزيد ترجمان الملك ابرويز وكان يتربص بالنعمان الدوائر ويبغي له الغوائل ولما علم ميل الملك الى النساء وصف له بنات النعمان وأشار عليه بخطبتهن وهو يعرف امتناعه من تزويج العجم لما فى نفسه من النخوة فارسل اليه رسولا فى الخطبة فقال النعمان أما للملك غنية ببقر العراق عن هؤلاء الاعرابيات السود وترجم زيد هذه اللفظة بالفارسية وقبح المعنى وأساء المحضر وقال انه يعير الملك بنيك البقر فأمر ابرويز باشخاص النعمان والقائه الى الفيلة حتى خبطته بارجلها وأتت على بقيته ... ومما لانهاية لحسنه كناية النبي صلى الله عليه وسلم عن المرأة الحسناء فى المنبت السوء اياكم وخضراء الدمن

﴿ فصل في الكنايات عن الحرم ﴾

﴿ لما نقل ﴾ أبو الحسن خمارويه بن طولون والى مصر ابنته المسماة قطر الندي الى المعتضد كتب اليه يذكره حرمة سلفها بسلفه ويصف مايرد عليها من ابهة الخلافة وروعة السلطان ووحشة الغربة ويسأله ايناسها وبسطها وتقريبها فأراد الوزير عبيد الله بن

سليمان ان يجيب عن الكتاب بخطه فسأله جعفر بن محمد بن ثوابة أن يعتمد عليه في الجواب ففعل فكتب جعفر بن محمد كتابا قال في فصل منه ٠٠ وأما الوديعة أعزك الله فهي بمنزلة ما انتقل من شمالك الى يمينك ضنامنا بها وحيطة لها ورعاية لمودتك فيها فلما عرضه على الوزير عبيد الله ارتضاه جداً وقال له كنايتك عنها بالوديعة نصف البلاغة ووقع له بالزيادة في جراياته واقطاعاته ﴿ ولما كانت ﴾ أيام عز الدولة بن معز الدولة ونقل ابنته الى عمدة الدولة أبي تغلب الحمداني كتب عنه أبو اسحاق الصابي الى أبي تغلب كتابا استحسنه أهل الصناعة وتحفظوا منه هذا الفصل لاشتماله على عدة كنايات لطيفة ونسخته ٠٠ وقد توجه أبو النجم بدر الحرمي وهو الامين على مايلحظه الوفي بما يحفظه نحوك ياسيدي ومولاي أدام الله عزك بالوديعة وانما نقلت من وطن الى سكن ومن مغرس الى مغرس ومن مأوى الى مثوى كرامة والطاف وهي بضعة مني حصلت لديك وثمرة من جنى قلبي انفصلت اليك وما بان عني من وصلت حبله بحبلك وتخيرت له بارع فضلك وبوأته المنزل الرحب من جميل خلائقك وأسكنته الكنف الفسيح من كريم شيمك وطرائقك ولا ضياع على ماتضمه أمانتك وتشتمل عليه صيانتك ٠٠ قال مؤلف الكتاب وكثيراً مايكني ابن العميد والصاحب والصابي وعبد العزيز بن يوسف وهم بلغاء العصر وافراد الدهر عن البنت بالكريمة وعن الصغيرة بالريحانة وعن الام بالحرة والبرة وعن الاخت بالشقيقة وعن الزوجة بكبيرة البيت وعن الحرم بمن وراء الستر وعن الزفاف بتأليف الشمل واتصال الحبل ولو كتبت الفصول المتضمنة لهذه الكنايات لامتد نفس الباب وفيما أوردته من هذه النكت كفاية ﴿ وحدثني ﴾ أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي قال لما توفيت والدة الأمير الرضي أبي القاسم نوح ابن منصور احتاج خالي أبو النصر العتبي الى مكاتبة الحضرة في التعزية عنها فلم يرتض لفظة الام والوالدة في ذكرها فكتب كتابا قال في فصل منه وقد قرع الاسماع نفوذ قضاء الله فيمن كان البيت المعمور ببقائها مصعد الدعوات المقبولة ومهبط البركات المأمولة فارتضاه كتاب الحضرة وتحفظوه

﴿ فصل في الكناية عن عورة المرأة ﴾

أنشدني أبو القاسم الرسوري لبعض العرب

وإذا الكريم أضاع مطلب أنفه أو عرسه لكريهة لم يغضب

﴿ والعرب ﴾ تقول ان الجنين اذا تمت أيامه في الرحم وأراد الخروج منه طلب بانفه الموضع الذي يخرج منه فقال لي الاستاذ أبو بكر الطبري انظر كيف لطف هذا الشاعر بحذقه للكناية عن فرج الام بقوله مطلب انفه ﴿ ومعنى ﴾ البيت ان الرجل متى لم يحم فرج أمه أو امرأته لم يغضب من شئ يؤتى اليه بعد ذلك ٠٠ وقال الصاحب في رسالته الموسومة بالتنبيه على مساوي شعر المتنبي قد كانت الشعراء تصف المآزر وتكنى بها عما وراءها تنزيهاً لالفاظها عما يستبشع ذكره حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع الى التصريح الذي لم يهتد اليه غيره فقال

اني على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها

وكثير من العهر أحسن من هذه العفافة ﴿ ومما ﴾ يستحسن للحجاج قوله لام عبد الرحمن ابن محمد بن الاشعث عمدت الى مال الله فوضعته تحت ذيلك لانه كره أن يقول تحت استك كما تقوله العامة خوفاً من أن يكون قد جازف كما عيب به عبد الله بن الزبير لما قال لامرأة عبدالله حازم أخرجي المال الذي تحت استك فقالت ماظننت أحدا يلي شيأ من أمور المسلمين فيتكلم بهذا فقال بعض الحاضرين أما ترون الى الخلع الخفي الذي أشارت اليه ﴿ وقال ﴾ أبو منصور الازهري في نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن اتيان النساء في محاشهن انها كناية عن ادبارهن وأصلها من الحش ﴿ وقال ﴾ الجاحظ في قول الله عز اسمه والذين هم لفروجهم حافظون ٠ وقوله ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها انها كناية عن العورة ولما كثر في الكلام قال بعض المفسرين انه يحتاج الى كناية فقال في قوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا انها كناية عن الفروج كأنه لم يعلم ان كلام الجلد من أعجب العجب ولو كان كذلك لقال عند ذكر الفروج والذين هم لجلودهم حافظون ولقال ومريم ابنة عمران التي أحصنت جلدها ﴿ وروي ﴾ الفقهاء ان رفاعة

طلق امرأته فتزوجت برجل يقال له عبد الرحمن بن الزبير بفتح الزاي وجر الباء ثم شكته الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت ان الذى معه كهدبة الثوب فقال صلى الله عليه وسلم أتريدين أن تراجعي رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فانظر الى لطافة هذا الكلام وكثرة رونقه وحسن كنايته عن العورة والنكاح بالعسيلة التي هي تصغير العسل وهو يذكر ويؤنث ﴿ وذهب ﴾ من أنكر تأنيثه الي انه تصغير عسلة يقال عسلة وعسل كما يقال تمرة وتمر ﴿ ومن نادر ﴾ الكناية وجيدها قول ابي حكيمة راشد بن اسحق الكاتب في فقه الذي شهر به من قصيدة

نم فما عندك خير يرتجى أيها الاير القليل المنفعه
طالما جدلت فرسان الوغى وافتتحت القلعة الممتنعه
وتقحمت مطامير الهوى فعرفت الضيق منها والسعه

وعهدي بالاستاذ الطبري ينشد هذه الابيات ويعجب من جودتها في معناها ويقول إن من يكنى عن الاحراح والفقاح بمطامير الهوى لمن شياطين الانس الذين سخر لهم الكلام حتى قادوه بألين زمام ﴿ ومما يليق ﴾ بهذا الفصل قول البحتري في رجل تزوج قينة

تزوجها بعد احراقها قلوب الندامى واقلاقها
فكيف انبسطت ولم تنقبض لاجلالها مع عشاقها
اذا كنت تمكن من حبها فانك تمكن من ساقها

﴿ فصل يتصل به في الكناية عن عورة الرجل ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم من تعزي بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن أبيه ولا تكنوا ﴿ وقال ﴾ عليه الصلاة والسلام من وقاه الله شر ما بين فكيه ورجليه دخل الجنة ‥ وقال الشاعر في مثل هاتين الكنايتين

وعضوين للانسان لاعظم فيهما هما سببا اصلاحه وفساده
اذا صلحا كان الصلاح لديهما وان فسدا لم يحظ يوم معاده

وقد كنى عنها عبد العزيز بن محمد السوسى بالبلبلة فقال من قصيدة

وحين قامت على بلبلتي ولم أجد حيلة تبلبلت

يكنى عن جلد عميرة وعميرة كناية وكذلك القضيب والطومار قال أبو نعامة

زرت أخاكم يا بنى صالح فلم يزل بنشر طومار

حتى اذا الخشوشن فى كفه أدخله مصيدة الفار

(وقال دعبل)

يامن يقلب طوماراً وينشره ماذا بقلبك من حب الطوامير

فيه مشابه من شئ كلفت به طولا بطول وتدويرا بتدوير

ومن كنايات ابن الرومي فى هذا الباب قوله يهجو شخصاً

ما من يوم عليه وليلة الا وبعض غلامه فى بعضه

(وأنشدنى أبو الفتح البستى لنفسه)

وذات دل اذا لاحظت صورتها رجعت عنها بقلب جد مفتون

تزور عني بنون الصدغ حين رأت امام لهوي يقرا سورة النون

ولقد ملح في الجمع بين النونين وطرف فى الكناية عن متاعه بامام اللهو وعن عوجاجه وقلة انتصابه بقراءة سورة النون وانما شبهه بسورة النون المعروفة ﴿وكانت﴾ جنان المدنية تكنى عن متاع الرجل بمفتاح اللذة وفى كتاب ملح النوادر أن رجلا راود امرأة عذراء عن عذرتها فقالت هذه ختم الله فقال واشار الي متاعه وهذا مفتاح الله ﴿ومن الكنايات﴾ الجيدة فى هذا الباب فلان عفيف الازار وفلان طاهر الذيل اذا كان عفيف الفرج ﴿وقلت﴾ في كتاب المبهج من عف ازاره خفت أوزاره وانما يكنى بالازار عما وراءه كما قالت امرأة من العرب

النازلين بكل معترك والطيبين معاقد الازر

وما أحسن كنايات زيادة بن زيد عن عفة الفرج وشرف المنكح بقوله

فلما بلغنا الامهات وجدتم بنى عمكم كانوا كرام المضاجع

﴿فصل﴾ في الكناية عما يجرى بين الرجال والنساء من اتباع الشهوة والتماس اللذة وطلب النسل لا أحسن ولا أجمل ولا ألطف من كناية الله تعالى عن ذلك بقوله

(وقد أفضى بعضكم الى بعض) وقوله عن ذكره (فلما تغشاها) وقوله (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) وقوله (فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم) وقوله (فأتوا حرثكم أني شئتم) وقوله (فما استمتعتم به منهن) وقوله في الكناية عن طلب ذلك حكاية عن يوسف عليه السلام (هي راودتني عن نفسي) فسبحان الله ما أجمع كلامه للمحاسن واللطائف وما أظهر أثر الاعجاز على إيجازه وبسطه في معناه ولفظه ﴿ ومما ﴾ جاء في حسن الكناية عن النكاح في شعر الجاهلية قول الاعشى

وفي كل يوم أنت جاشم غزوة تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا

ـ القروء ـ ههنا الاطهار لان الممدوح لما كان كثير الغزو لم يغش النساء للغيبة عنهن في مغازيه أضاع اطهارهن ﴿ وقد زعم نقاد ﴾ الشعر ان هذه الكناية لطيفة دالة على حذق الشاعر بصنعته ﴿ وعندي ﴾ ان ضياع اطهار نساء الملوك ليس مما يخاطبون به وكذلك قول الاخطل في بني مروان

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

فانه على حسنه من فضول القول الذي لو رزق فضل السكوت عنها لحاز الفضيلة وما للشاعر وذكر حرم الملوك فضلا عما يجري لهم معهن ٠٠ وأما قول الربيع بن زياد

أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الاطهار

فهو أيضا كناية عن النكاح بعد الطهر يقول أيرجون أن يحملن مثله في شرفه وكرمه ﴿ والعرب ﴾ تزعم ان أكثر ما تكون المرأة اشتمالا على الحبل بعد مواقعة الرجل إياها بعيد طهرها من حيضها فيكون الحمل عاقبة الطهر ٠٠ ويروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع ذات ليلة وهو يطوف إمرأة تغني بهذين

تطاول هذا الليل وازور جانبه وارقني أن لا خليل ألاعبه
فوالله لولا الله لا شيء غيره لزعزع من هذا السرير جوانبه

فسئل عنها فقيل هي مغيبة وزوجها فلان خارج في بعض البعوث فأمر برده اليها وزعزعة السرير ـ كناية عن الزج العنيف ﴿ ومما ﴾ يقاربها قول أبي عثمان الخالدي من نتف

واذا الليل كف كل رقيب وعاذل صرت الفرش تحت قوم صرير المحامل ومن الكنايات عن النكاح الحلج وقد استعمله أبو نواس فى قوله

ثم توركت على متنه كأننى طير على برج
وكان منا عبث ساعة واندفع الحلاج فى الحلج

وللقاضى أبي الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى من قصيدة هزل ومداعبة

تبيت تحاج طول الليل منكمشاً وباختبار ينادى ادركوا الفرقا
وقام عمرو فامته أكف يد لما انثنى أو تحسى منهم المرقا
اذا هوامنه مثل الرمح واتسعت كالترس وافق شن عندهاطبقا

ومن ملح البحترى فى هذه الكناية قوله

لم يخط باب الدهليز منصرفا الا وخلخالها مع الشنف

وهو مسروق من قول غيره

ترفق قليلا قد او جعتنى وألصقت قرطي بخلخاليا

وقد أخذ الاستاذ أبو بكر الطبرى هذه الكناية وزاد فيها حيث قال

والشأن فى ظنك الظن الجميل بها وطال ماأوجعت كتفى رجلاها
وانظر الى كعبها تبصر به ندبا من طول ماخدش الكعبين قرطاها

وقال أيضاً

كمترق اللحاظ الى عروس وعند سواء تضطرب الحجول

﴿ وحكى ﴾ الصولى عن المكتفى فى حديث له قال سهرت البارحة فذكرت بعض أدوية السهر فانست فنمت قال فقلنا له والله ماسمعنا بأحسن من هذه الكناية قط فقال والله ماسمعتها قبل وقتى هذا وانما ساقها اللفظ ودواء السهر كناية عن النكاح وعن السكر ﴿ وبلغنى ﴾ عن ابن عمر القاضى انه كان لا يجلس للخصوم حتى ينال من الطعام والشراب ويلم بأهله احتياطاً على دينه وتعففاً بالحلال عما عساه تتوق نفسه اليه من الحرام اذا بدرت منه لحظة لمن عساها تحاكم اليه من النساء الحسان ﴿ فقرأت ﴾ لابى اسحاق الصابى فصلا فى هذا المعنى بعينه من كتاب عهد سلطاني لبعض القضاة تعجبت

من حسن عبارته ولطف كنايته وهو وأمره أن يجلس للخصوم وقد نال من المطعم والمشرب طرفا يقف به عند أول الكفاية ولا يبلغ به الى آخر النهاية وان يعرض نفسه على أسباب الحاجة كلها وعوارض البشرية بأسرها لئلا يلم به ملم أو يطيف به طائف فيحيلان عن رشده ويحولان بينه وبين سدده .. وهذه نسخة رقعة للصاحب في المداعبة تشتمل على كنايات حسنة من هذا الباب خبر سيدي أدام الله عزه وان كتمه مني واستأثر به دوني مصون عندي وقد عرفت ذلك في شربه وانسه وغناء الضيف الطارق وعرسه وكان ما كان مما لست أذكره وجري ماجري مما لست أنشره وأقول إن سيدي امتطى الاشهب فكيف وجد ظهره وركب الطيار فكيف شاهد جريه وهل سلم على حزونة الطريق وكيف تصرف أفي سعة أم ضيق وهل أفرد بالحج وقال في الجملة بالكره ليتفضل بتعريفي الخبر فما ينفعه الانكار ولا يغني عنه الا الاقرار وأرجو أن يساعدنا الشيخ أبو مرة كما ساعده مرة فصلى للقبلة التي صلى وتمكن من الدرجة التي خطب عليها هذا وله فضل السبق الى ذلك الميدان الكثير الفرسان ﴿ومما يليق﴾ بهذا الفصل فصل ذكره الازهري في كتاب تهذيب اللغة فقال اذا أتى الرجل المرأة في غير مأتاها قيل حمض تحميضاً تحول من مكان الى مكان — والخلة — ما كان حلوا — والحمض — فاكهتها يقال أحمض القوم احماضاً اذا أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث والفكاهة ﴿ويروى﴾ عن سعيد بن سيار انه قال لابن عمر ماتقول في التحميض قال وما التحميض قال أن يأتي الرجل المرأة في دبرها قال أو يفعل ذلك مسلم ﴿وقال﴾ غير الازهري من الكناية عن الجارية المشتهية لذلك قولهم هي مالكية لما روى عن مالك بن أنس من إباحة ذلك ﴿ومما﴾ يستظرف لابي اسحق الصابي قوله

بات وكل مصون لي من حماها مباح
في ليلة لم يعبها والله الا الصباح

﴿ فصل في افتضاض العذرة ﴾

من طريف الكناية عن أخذ العذرة ما قرأته في أخبار بشار بن برد حين قال يزيد بن منصور في دار المهدي ياشيخ ماصناعتك قال ثقب اللؤلؤ وأرى الصاحب أخذ منه قوله

لأبي العلاء الاسدي وقد دخل بأهله من أبيات

وقد مضى يومان من شهرنا فقل انا هل ثقب الدر

وله يقول أيضاً

قلبي على الجمرة يا با العلا فهل فتحت الموضع المقفلا
وهل فككت الكيس عن ختمه وهل كحلت الناظر الاحولا

ولابن العميد في هذا المعنى الى أبي الحسن بن هندو

انعم أبا حسن صباحا وازدد بزوجتك ارتياحا
قد رضت طرفك خالياً فهل استلنت له جماحا
وطرقت منغلقاً فهل سني الاله له انفتاحا

وأنشدني أبو الفضل الميكالي لنفسه في مداعبة كانت له بين أهله

أبا جعفر هل فضضت الصدف وهل إذ رميت أصبت الهدف
وهل جبت ليلا بلا حشمة لهول السرى سدفا في سدف

وأظن السابق الى وصف الافتضاض حماد عجرد حيث قال وأحسن

قد فتحنا الحصن بعد امتناع بمبيح فاتح للقلاع
ظفرت كفي بتفريق شمل جاءنا تفريقه باجتماع
فاذا شعبي وشعب حبيبي انما يلتام بعد انصداع

وليس بالبارد قول اليعقوبي

وهمتي مذ كنت في حل التكك ولم يزل يعجبني ثقب الفلك

وقول أبي عبدالله بن الحجاج

جميع ملكي صدقه لا كسرن الفستقه
لا بد ان أطعن با رع صميم الدرقه
وان أمد الميل في جوف سواد الحدقه
لا بد من أن يقع الزر فين وسط الحلقه

ومن مشهور مايقع في هذا الفصل مايروى أن ابن القرية قال للحجاج وقد بنى ببعض نسائه الأبكار باليمن والبركة وشدة الحركة والظفر في المعركة .. ومن ملح الكناية عن البكر

قول بعضهم

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم أشهى المطي الى مالم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة لبست وحبة لؤلؤ لم تثقب

وقد ناقضه من قال

ان المطية لا يلذ ركوبها حتى تذلل بالزمام وتركبا
والدر ليس بنافع أصحابه حتى يعالج بالسموط ويثقبا

ومن حسن الكناية عنها قولهم فلانة بخاتم ربها ﴿ ويروي ﴾ أن شيخا من العرب تزوج بكراً فعجز عن افتضاضها فلما أصبحت سئلت عن حالها فأنشدت بيتاً ما شيء أدل منه على العجز عن أخذ العذرة

تبيت المطايا حائرات عن الهدى اذا ما المطايا لم تجد من يقيمها

ومن عويص هذا الباب قول الشاعر لابي المدبر

أبوك أراد أمك حين زفت فلم يوجد لامك بنت سعد

يعني لم يوجد لها عذرة وبنت سعد عذرة بنت كعب

﴿ فصل في الكناية عن الحيض ﴾

قال بعض المفسرين في قول الله تعالي (فضحكت) انه كناية عن الحيض وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما ذم من النساء انهن ناقصات عقل ودين ثم قال تدع الصلاة أحداهن شطر عمرها يكني عن الحيض ﴿ وحدثني ﴾ سهل بن المرزبان قال كنت أحضر أحيانا ببغداد مجلس عنان المسمعة وكان الافاضل كثيراً ما ينتابونها لسماع الفائق وكانت تبتدئ بالقرآن استفتاحا ببركته فتجيد جداً ثم تأخذ في شأنها فبينا أنا ذات يوم عندها اذ ابتدأت بالشعر فارتفعت أصوات الحاضرين باستعادة عادتها في الابتداء بالقرآن وهي ساكتة فلما عاودوها مرات قال لهم صاحب الستارة ليس يجوز لها أن تقرأ القرآن فلم يفطن لهذه الكناية أكثرهم حتى نبهتهم انه كنى عن حيضها ﴿ ويحكى ﴾ أن بوران بنت الحسن بن سهل لما زفت الي المأمون حاضت من هيبة الخلافة في غير وقت الحيض فلما

خلا بها المأمون ومد يده الى تكتها قرأت أتى أمر الله فلا تستعجلوه ففطن لحالها وتعجب من حسن كنايتها وازداد انجابا بها ﴿وما أشبه﴾ وقوفه على كنايتها الا بحال أبي فراس الحمداني حيث قال

وكنى الرسول عن الجواب تظرفا　　ولئن كني فلقد علمنا ما عنى

وكنت أقرأ في شعر ابن الحجاج والامير مفتصد في بيت لامجال فيه لمعنى فصد الامير ولا أفطن له الى ان ذكر لي بعض السادة انه كناية عن الحيض بلسان المجان من أهل بغداد فخرج لى معنى البيت ولولا فرط قذعه لاوردته ثم أنشدت ما يحقق معناه لبعض العصريين

مشيت على دمي وركبت هولا　　على خطر وجد بي المسير
الى من بين ثوبيها الاماني　　وفي ازرارها القمر المنير
فلما ان خطبت الوصل منها　　حجبت وقيل قد فصد الامير
فيالك ثم يالك من فصاد　　تعوق لي به حج كبير

﴿فصل في الحبل﴾

مجاهد فى قول الله تعالى (فمرت به) قال انه كناية عن الحبل وكثيراً ما تجري هذه الكناية في الفارسية .. وما أحسن ما كني به الفرزدق عن جارية له حبلي توفيت بقوله

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح　　عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفى جوفه من صارم ذى حفيظة　　لو ان المنايا انسأته لياليا

﴿وسمعت﴾ أبا الفضل عبد الله بن أحمد الميكالى فى المذاكرة يقول تقول العرب في الاستخبار عن الحبلى والكناية عن ولادتها أحلبت ناقتك أم أجلبت أى أنت بأنثى فتحلب أم بذكر فتجلب للبيع ﴿وقرأت﴾ فى كتاب جراب الدولة أن حبة قالت لسحاقة ما أطيب الموز تكنى عن الاير قالت نعم ولكن ينفخ البطن تكني عن الحبل

﴿فصل في نوادر وملح في كنايات هذا الباب﴾

ههنا أبيات مشهورة متنازعة منسوبة الى جماعة من الجواري والغلمان فمنهم قينة رآها

صديق لها ولما خلا بها استخشن العرض وتأذى بالشعرة فنبا عنها وهجرها ثم انها أصلحت من شأنها وكتبت اليه تقول

فديتك سهلت الطريق الذى اشتكى جوادك فيه للحفى من خشونته
فأصبح بعد الحزن ميدان لذة يجول كميت اللهو فيه للذته
فان كنت ذا عزم على ان تزورنا فبادر وعجل فالهلال ابن ليلته

ومن كناية مجان بغداد عن تلك الحال في فم القينة ليف قال ابن الحجاج

أحن اذ رأيت الكس ليلا يجنى وهو منتوف نظيف
ولست أعافه ان جاء يوما وفى فيه وأعلا الرأس ليف
اذا سمط الخروف أكلت منه ولست أعافه وعليه صوف

﴿ ويحكى ﴾ ان الوليد بن يزيد أراد امرأة من قريش على مايفعل بالاماء فقالت

صاعد أمير المؤمنين صاعد لست كما اعتدت من الولائد

(ويحكى) أن بعض الاكاسرة خرج متصيدا فتفرد عن أصحابه فاذا هو بشيخ كبير يعمل فى أرض له فقال له ياشيخ هلا أدلجت فيكون لك من يكفيك فقال أدلجت ولكن ضللت الطريق فقال له زه فلما تلاحق بالملك أصحابه أعطى الشيخ أربعة آلاف درهم (أراد) هلا نكحت وأنت شاب فيكون لك اليوم من يكفيك من أولادك وقوله أضللت الطريق يحتمل معنيين أحدهما انه لم يتزوج شابة ولودة والآخر انه لم يتبع ما كتبه الله له (وحكى) المازنى قال جلس نساء ظراف الى بشار بن برد فتحدث وتحدثن ثم قلن له لوددنا انك ابونا فقال على انى على دين كسرى (وسمعت) أبا نصر سهل بن المرزبان يقول فى المذاكرة سئل بعض النساء التي كان عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة يشبب بهن عن حالها معه فقالت لعن الله ذلك الفاسق جمعني واياه مكان كذا في خلوة كذا فخلات منه بواد غير ذى زرع تكنى عن عجزه عن النكاح (ولما قال) أبو الصمت وهو أعرف بالشعر لعلى بن الجهم

لعمرك ماجهم بن بدر بشاعر وهذا على بعده يدعي الشعرا
ولكن أبى قد كان جاراً لامه فلما ادعى الاشعار أوهمنى أمرا

استظرف الناس هذه الكناية وسار البيتان كل مسير فقال علي والله ماهو بابي عذرة هذا المعنى وانما نسج منوال مادار بين الفرزدق وكثير فسئل عن ذلك فقال بلغني ان كثيراً أنشد لنفسه قصيدة استحسنها السامعون وفيهم الفرزدق فقال كثير ياأبا ضحوك هل كانت أمك ترد البصرة فقال لا ياأبا فراس ولكن كان أبي كثيراً ماردها (ومن) خبيث الهجاء المشتمل على التصريح قول أبي الحسن بن طباطبا العلوي لابي علي بن رستم وكانت حرمته تتهم بآذربونْ غلامه

يارستميُّ لقد لموت ببركة ... أُصبحت تحمي حسنها وتصون
والعرس لاهية ببركتها التي ... يجرى اليها الماء آذربون

(سئل) رجل عن امرأة فقال فيها خصلتان من خصال الجنة يكنى عن البرد والسعة (وحدثني) أبو سعد نصر بن يعقوب فقال طلب رجل غريب ببغداد امرأة حسناء يتزوجها فقالت له دلالة عندى هنا امرأة كأنها باقة نرجس فخطبها وتزوجها فلما دخل بها اذهي عجوز ذميمة فدعي بالدلالة وقرعها على كذبها فقالت ما كذبتك حين قلت كأنها باقة نرجس وانما كنيت عن صفرة وجهها وبياض شعرها وخضرة ساقها (ومن نوادر) ما كنى به عن المرأة الخائنة لفراش زوجها قول ابن الرومي ويقال لابي علي البصير

أنت يا شيخ نائم فتنبه ... وانتصحني فلست من غشاشك
لك أنثي تزيف في كل وكر ... وتربي الفراخ في أعشاشك

(والعامة) تكني عن استئناف المعاشرة ومعاودة المواصلة بعد وقوع الفترة وحدوث السلوة بتسخين الارز كما كتب بعضهم لعشيقة له

خلوت بذكركم اذ غاب عني ... رقيب كنت قدما أتقيه
وردت المقيل فدتك نفسي ... وتسخين الارز يطيب فيه

(وقال آخر)

ولست أحب الرز أول طبخه ... فكيف أحب الرز وهو مسخن

﴿الباب الثاني في ذكر الغلمان والذكران ومن يقول بهم﴾
(والكناية عن أوصافهم وأحوالهم)

﴿فصل في الاحتلام والختان﴾

يكنى عن الختان بالطهر والتطهير .. ومن أملح ما سمعت في ذلك قول الصنوبري

أري طهر ايثمر بعد عرساً   كما قد يثمر الطرب المدامه
وما قلم بمفن عنك الا   اذا القيت منه كالقلامه

وما ينقضي تعجبي من حسن هذه الكناية وملاحة هذا التمثيل كما لا يتناهى اعجابي بقول أبي ابراهيم اسماعيل بن أحمد العامري الشاشي من قصيدة مدح بها فخر الدولة وكنى عن تطهيره ولده بأحسن كناية وما أظن أن أحداً خاطب ملكا في معناه بأحسن وأبدع منه

أمسست شبلك في حق الهدى ألماً   لولا التقى لسفكنا فيه ألف دم
جلوت سيفا ليرتاح الشجاع وقد   شذبت غصنا لينمى قامة النسم

كما لا أحسب أن أحدا كنى عن احتلام الغلام بأحسن من قول ابراهيم بن العباس في المنتصر وهو اذ ذاك ولي عهد

هذا هلال العهد قد   أقمر بالمنتصر
ولي عهد الناس وابن   امام البشر
يا ليلة نعدها   مضت لنا من صفر
أبدت هلالا وانجلت   مع صبحها عن قمر

(ومما يكني) به عن القلفة قول دعبل

مازال عصياننا لله يوبقنا   حتى دفعنا الي فتح ودينار
الي علیجين لم تقطع ثمارهما   قد طال ما سجدا للشمس والنار

(ومن ظريف) الكناية عنها ماقاله أبو سعيد بن دوست في غلام اتهم بمجوسي

عجبت من حسنك ياجوهري   ومن تحازي فعلك المنكر
تترك ما يقشر من قولنا   وتبلع الفول ولم يقشر

﴿ فصل في الكناية عن الغلام ﴾

الذى عبث به ووصف فراهيته وسائر أوصافه ٠٠ يكنى عنه بالعلق والمطبوع والمعاشر والمواسى (ويقال) فلان يجيب المضطر اذا دعاه وهو من مكروه الاقتباس الذى نبهت عليه في كتاب الاقتباس من القرآن وفلان من الباب كما قال ابن طباطبا

عند صديق لنا من البابه   يهيج للمستهام اطرابه

وفلان من شرط يحيي بن أكثم كما قال الاستاذ الطبري

يدور بها ساق تدور عيوننا   على عينه من شرط يحيي بن أكثم

ويحيي بن أكثم مشهور باللواطة (وقد أحسن) القاضي على بن عبد العزيز في الكناية عن شرط اللاطة بقوله من قصيدة كتبها الى أبي القاسم على بن محمد الكرخى

فان يك قد سلا وثناه عنى   رضاع الكأس أوظبى ربيب
تسلطه النفوس على هواها   وتعطيه أزمتها القلوب
باعطاف تباح لها المعاصى   وألحاظ تحل لها الذنوب
فلى كبد به حرى وقلب   على مافيه من كمد طروب

ومن ملح ابى نواس فى هذا المعنى قوله

مر بنا والعيون ترمقه   تجرح منه مواضع القبل
أفرغ فى قالب الجمال فما   يصلح الا لذلك العمل

ولابي سعيد دوست فى ذكر ذلك العمل

تعانقته علقاً كلحم الجمل   وهذا الربيع أوان الحمل
فرأيك مولاى في غيره   اذا ما نشطنا لذاك العمل

وعلى ذكر ذلك العمل فان أبا الحسن بن فارس أنشد لرجل بشيراز يعرف بالهمدانى وقد عاتب رجلا من كتابها على حضوره طعاما مرض منه

وقيت الردي وصروف العلل   ولا عرفت قدماك الزلل
شكى المرض المجد لما مرضت   فلما نهضت سليما أبل
لك الذنب لاعتب إلا عليك   لماذا أكلت طعام السفل

طعام يسوي بيبع النبيذ ويصلح من جذر ذاك العمل

(ومن كنايات) الصوفية في هذا الباب قولهم للغلام الصبيح شاهد ومعناهم فيه انه لحسن صورته شهيد بقدرة الله عز اسمه على مايشاء (ويحكي) ان أصحاب أبي على الثقفي تحاموا لفظة الشاهد بين يديه هيبة له فتواصوا فيما بينهم أن يقولوا للغلام الصبيح حجة فاتفق انهم صحبوه فى بعض الطريق فتراءى لهم من بعيد غلام فقال احدهم حجة وهو يظن ان أبا على لايفطن لمغزاه فلما قرب الغلام منهم كان غير مليح فالتفت أبو على اليهم وقال داحضة (وسمعت) بعض الفقهاء ينسب هذا الحكاية الى أبى اسحق المروزى ونظيرها مايروي أن شبانا مشوا مع ابن المنكدر فكانوا اذا رأوا امرأة جميلة قالوا بينهم قد أبرقنا وهم يظنون ان ابن المنكدر لايفطن لمغزاهم فرأوا قبة مجللة فقال أحدهم بارقة وانكشف جلال القبة عن امرأة قبيحة فقال ابن المنكدر يأخى هذه صاعقة

(ومن مليح) الكناية عن الغلام المخنث قول سعيد بن حميد

ألست ترى ديمة تهطل وهذا صباحك مستقبل
وهذا المدام وقد راعنا بطلعته الشادن الاكحل
فبادر به وبنا سكرة تهون أسباب ماناًمل
فانى رأيت له طرة تدل على انه يفعل

وأنشدت للحسن المروزي الضرير فى غلام نصرانى

ومآنس لاأنس ظبي الكناس يريد الكنيسة من داره
فيا حسن ما فوق أزراره ويا طيب ما تحت زناره

وكتب السري الموصلى الى صديق له سرية فى يوم الشك ويصف ماعنده من الملاهي

غداة الشك تدعوك الى الراح تفاديها
وعندى قينة تعطيك درالقول من فيها
اذا دغدغت العود حسبناه يناغيها
وراح كللت بالطيب من أنفاس ساقيها
وورد كخدود الغيد نحكيه ويحكيها

وعلق بحمل الراية لاغشا ونمويها

(وللصاحب)

ان ابن مسرور فتى كاتب يأخذ من كل صديق قلم
مستحسن الشارة ذاشارة من أحذق الناس بحمل العلم

ولبعض العصريين من أهل نيسابور

أرسلت في وصف صديق لنا ماحقة كتبت بالعسجد
في الحسن طاووس ولكنه أسجد في الخلوة من هدهد

ولم أسمع أحسن وأبدع من قول أبي الحسن الجوهري الجرجاني لبعض الاجلة يتوسل اليه بخدمته في صباه ويكنى عن المعنى ألطف كناية

ألا يا أيها الملك المعلى أناني من عطاياك الجزيله
لعبدك حرمة والذكر نخش فلانحوج الى ذكر الوسيله

ومما يستملح للمطراني الشاشي ما كتبه الى صديق له رأي عنده غلاما

رأيت ظبياً يطوف في حرمك أغن مستأنساً الى كرمك
أطمعني فيه انه رشأ يرشي ليفشي وليس من خدمك
فاشغله في ساعة اذا فرغ ت دواته ان رأيت من قلمك

ومن مليح ما كني به عن الغلام الوسيم غير الجسيم قول الجماز

ظبيك هذا حسن وجهه وماسوى ذاك جميعاً يعاب
فافهم كلامي يا أخي جملة لايشبه العنوان مافي الكتاب

ولغيره في معناه

أنيح لي يا سهل مستظرف تغتاني ألحاظه الساحره
ماشئت من دنيا ولكنه منافق ليست له آخره

وفي مثل ذلك قال الظرفاء نثرا ليس وراء عبادان الا الخشبات فنظمه أبو نصر سهل بن المرزبان فقال

يا غزالا وجهه كالبدر يجلو الظلمات

ذقت من فيه ومن قبلته ماء الحيات
ليس لي من بعد عبا دان الا الخشبات

وسمعت بعض العامة يقول بالفارسية في وصف غلام يأخذ من دبره وينفق على قبله فلان يذيب الالية على الشحم .. ثم سمعت بعض العامة يقول في ذلك فلان ينفق من طسته على أبريقه (وبلغني) أن بعض أصحاب البريد بنيسابور كتب الى الحضرة ببخارى في انهاء ماشجر بين بعض المشائخ بها وبين أحد القواد الاتراك فقال في حكاية ذلك وانه قال له يامؤاجر فلما نظر وزير الوقت في هذه اللفظة أنكرها وأكبرها وصرف صاحب البريد عن عمله فلما ورد بخاري وحصل في مجلسه قرعه على تلك السقطة ووبخه وقال له هلا صنت حضرة السلطان عن مثل تلك اللفظة القذعة فقال أيد الله الشيخ الجليل فما كنت أكتب اذا وقد أمرت بانهاء الاخبار على وجوهها فقال أعجزت ويحك أن تكنى عنها فتقول شتمه بما يشتم به الاحداث أو كلاما يؤدى معناه

﴿ فصل في الكناية عما يتعاطى منهم ﴾

حكي المبرد قال كان سليمان بن وهب يكتب لموسى بن بغا ويتعشق مملوكا لموسى ولا يرى به الدنيا فخرج موسى ذات يوم متصيدا ومعه أبو الخطاب الكاتب فورد عليه أمر احتاج فيه الى سليمان فأمر أن يستدعى فقال أبو الخطاب لذلك الغلام بادر الى سليمان فاحضره فركض اليه فلما حصل بين يديه تلطف له سليمان حتى نال ماأحب منه ونهض معه الى متصيد موسى وامتثل أمره فلما كان من الغد كتب اليه أبو الخطاب

لا خير عندي في الخليل ينام عن سهر الخليل
قولا لا كفر من رأيـ ـت لكل معروف جليل
هل تشكرن لي الغداة تلطفي لك في الرسول
اذ نحن في صيد الجبال وأنت في صيد السهول

ومثل هذه الكناية أحسن من كناية ابن الرومي في قوله

هل مالي حاجتي مليح من خلقه البعض واللجاجه

فانما حاجتي اليه حاجة ديك الى دجاجه

وقد مرت بي أبيات لابن المعتز في نهاية الملاحة يشتمل البيت الاخير منها على كناية مستظرفة جدا وهي

وشادن أفسد قلبي بعد حسن توبته
جاء بجيش الحسن في عديده وعدته
فاتت التوبة لما ان بدا من هيبته
وجاء ابليس يهنى نظري بطلعته
ولم يزل يذكرني ربي وعفو قدرته
وقال لي ما قبلة وغيرها في رحمته

وعلى ذكر القبلة فقد أنشدت أبياتاً ليونس العروضي فيها كناية لطيفة عما يتبع القبلة وهى

اني من حبك يا سيدي في خطة هائلة صعبه
وقد أذنت اليوم في قبلة راعيت فيها حرمة الصحبه
كأنني اذ نلتها خلسة قبلت ركن البيت ذي الحجبه
والركن قد فزت بتقبيله فكيف لي أن أدخل الكعبه

ومن ظريف الكناية عن القبلة ما أنشدنيه أبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي لعبد الله بن النجم

شكي اليك ماوجد من خانه فيك الجلد
حيران لوشئت اهتدى ظمآن لوشئت ورد

ومن حسن الكناية عن العدول عن مباشرة النسوان الى مفاخذة الغلمان قول بعضهم

لا أركب البحر ولكنني أطلب رزق الله في الساحل

وأبدع ماسمعت في معنى الضيق والسعة بأحسن كناية وألطف عبارة ما أنشدنيه أبو نصر أحمد بن اكريد الزنجاني لنفسه في غلامه يوسف

مضى يوسف عنا بتسعين درهما وعاد وثلث المال في كف يوسف
فكيف يرجي بعد هذا صلاحه وقد ضاع ثلثا ماله في التصرف

ونظير هذه الحكاية فى فحش المعنى وطهارة اللفظ ما أنشدنيه أبو جعفر محمد بن موسى الموسوى قال أنشد محمد بن عيسى الدامغانى ولم يسم قائله

تذكر اذ أرسلته بيدقا فبـك فوا فاني فرزانا

ومن عادة الشطرنجيين اذا تفرزن بيدق لهم في الرقعة ان يعلموا عليه بما يتميز معه عن سائر البيادق فقد كنى هـذا الشاعر عن ذلك الشيء أنه دخل وهو نظيف وخرج وهو معلم قذر (ومن) نادر الكناية عن اتيان الغلام ما أنشدنيه القاضى أبو بكر البستي للسرى الموصلى من أبيات

أنخت فى حانه أترجة وحبذا السكر بها من مناخ

يصافح الخمر بها نفسها وتبذر النسل بها في السباخ

فانظر كيف كنى عن اللواطة بالبذر فى سباخ لاينبت (ومن) مشهور ما يليق بهـذا الفصل قول بعضهم

من كل شيء قضت نفسى مآربها الا من الطعن بالقثاء في التين

لا أغرس الدهر الا فى مشرفة ولا يجوز الا تحت سرقين

وأنشدنى أبو الفتح البستي لنفسه

أفدى الغزال الذى فى النحو كلمنى مناظراً فاجتنيت الشهد من شفته

وأورد الحجج المقبول شاهدها محققاً ليرينى فضـل معرفته

ثم افترقنا على رأى رضيت به فالرفع من صفتى والنصب من صفته

يعنى انه كان فاعـلا والفاعل مرفوع والغزال مفعولا به منصوب ولأبى تمام فيما يقاربه

وكنت أدعوك عبدالله قبل فقد أصبحت أدعوك زيداً غير محتشم

سمحت جودا بما قد كنت تمنعه ما كل جود الفتى يدعو الى الكرم

(وله)

ما كان فى المخـدع من أمركم فانه في المسجد الجـامع

يا طول فكرى فيك من حامل صحيفة مكسورة الطابع

وأما قول ابن المعتز

وجاءني في قميص الليل مستتراً يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
فبت أفرش خدي في الطريق له ذلا وأسحب أذيالي على الأثر
وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

فهو كناية عن التصريح .. ومثله لعبد الصمد بن المعذل

واذا هبت النفوس اشتياقا وتشهى الخليل قرب الخليل
كان ما كان بيننا لا اسميه ولكنه شفاء الغليل

ولبعض أهل العصر والمراد هو البيت الاخير

صفحت لدهري عن جميع هناته وعددت يوم الباغ أسنى هباته
وقابلت أشجارا هناك بقد من تعطل غصن البان عن حركاته
ويخجل ورد الباغ عند طلوعه ويعذله بالورد في وجناته
ويحجد نور الاقحوان لثغره ويقصر نشر الورد عن نفحاته
ولمادجي الليل استعاد سنا الضحي بوجه جميع الحسن بعض صفاته
فيالك من ليل رقيق ظلامه بتأليف شمل الانس بعد شتاته

ومن ردئ هذا الفصل قول بعض الفضلاء

اني اذا حان سكري وكان وقت مقيلي
أدخلت أصبع بطني في عين ظهر خليلي

ومن جيد الكناية عن التفخيذ قول أبي نواس

وغزال نشره النفس الى حل ازاره
بسطته سورة الناس لنا بعد ازوراره
فاطفنا بحواليه ولم نعرض لداره

﴿ فصل في الكناية عن اللواط وأهله ﴾

اذا كان الرجل يقول بالغلمان دون النسوان قيل فلان يؤثر صيد البر على صيد البحر (فلان) يقول بالظباء ولا يقول بالسمك (وفلان) يحب الحملان ويبغض النعاج قال أبو نواس

اني امرء أبغض النعاج وقد يعجبني من نتاجها الحمل

وفلان يميل الى من لا يحيض ولا يبيض قال الشاعر

جعلت فداك مااخترناك الا لانك لاتحيض ولا تبيض

ولو ملنا الى وصل الغواني لضاق بنسلنا البلد العريض

وفلان يكتب في الظهور وفلان يحب الميم ويبغض الصاد (وقد) أساء ابن الرومي في قوله

يبغض الصاد شهراني رجل أصفى المودة منى للحواميم

وليس يبغضى القرآن ولا مقتى اياه لله بل للصاد والميم

(وقال آخر)

لعجم الصاد ارضى الله قدما وعبدالله يعجم كل ميم

ويقال فلان من المطارين والمطار كناية عن الكناس فى كثير من البلدان قال أبو اسحاق الصابى فى ذم اللاطة

لحاجة المرء فى الادبار إدبار والمائلون الى الاحراح أحرار

كم من لطيف ظريف بات ممتطياً ظهر الغلام فاضحى وهو عطار

فاذا كان يقول بالمرد الجرد قيل شرطه اهل الجنة لان النبى صلى الله عليه وسلم قال في وصفهم جرد مرد مكحولون .. فاذا كان يقول بالصغار دون الكبار قيل فلان يوثر السخال على الكباش ﴿ ويروى ﴾ ان حماد عجرد لما قعد لتأديب ولد العباس بن محمد قال بشار بن برد

قل للامير جزاك الله صالحة لايجمع الدهر بين السخل والذيب

السخل غرٌ وهم الذئب غفلته والذئب يعلم مابالسخل من طيب

﴿ وقال أيضا ﴾

يا أبا الفضل لاتنم وقع الذئب في الغنم

ان حماد عجرد شيخ سوء قد اغتلم

بين فخذيه حربة فى غلاف من الادم

وهو إن نال فرصة مسح الميم بالقلم

فلما شاعت الابيات امر العباس باخراج حماد (ونظير) هذه السعايه قول أبي اسحق الصابي في كتاب

يا أبا الفضـل استمع قول امرئ يصفيك حبا
سرح غلمانك قد أصبح للسرحان نهبا

وكان لابن سكرة الهاشمي غـلام يستشرطه فلما كبر اخرجـه من داره فقيل له في ذلك فقال

ما تركناه وفيـه لمحب مـن طباخ
هدر الطير ومن عادانتا اكل الفراخ

واذا كان الرجل يقول بالصغار والكبار قيل فلان يصطاد مابين الكركي الى العندليب (فاذا كان) يقول بالزنا واللواط كلاهما قيل فلان يصيد الطيرين ويقبض الديوانين وفلان قلم برأسين وينشد

أي دواة لم يلقها قلمه وأي سطح لم ينله سلمه

فاذا كان يأتي ويؤتي قيل فلان لحاف ومضربة وفلان يذعن للقصاص فطورا سقف وطورا أرض (فاذا كان) يقول بحسن الوجـه دون الجامة قيـل هو يقول بالدنيا دون الآخرة (فاذا كان) يقول بهما جميعا قيـل هو يقول بالآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا (فاذا جمع) الغلام هاتين الصفتين قيل هو دنيا وآخره (فاذا كان) وسيما غير جسيم قيل هو منافق وقد تقدم ذكره

﴿ فصل في الكناية عن خروج اللحية مدحا وذما ﴾

كان أبو نواس يقول تزودوا من لذة لا توجد في الجنـة يكنى عن اتيان المختطين لان أهل الجنة جرد مرد كلهم (وفي كتاب) لباب الاداب فلان قد غلفته يد الحسن وقد احرقت فضة خده وطرز ديباج وجهه ﴿ ومن ﴾ أحسن ماحاضر به في الكناية عن خط اللحية قول بعض المولدين

كتاب من الحسن توقيعه من الله في خده قد نزل

وما أظرف ما كنى عنه الصاحب بزغب الحسن في قوله

هل زغب الحسن به ضائر والقمر التم به يقمر

وانشدني بديع الزمان لنفسه من أبيات

كن كيف شئت فانني قد صغت قلبا من حديد
وجلست انتظر الكسوف وليس ذلك بالبعيد

وانما كني بالكسوف عن خروج اللحية كما قال الآخر

واها لبدر قد كسف أسفا وهل يغني الاسف

ومن بديع الكناية وخفيها في هذا الفصل قول القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز

قد برح الحب بمشتاقكا فأوله احسن اخلاقكا
لا تجفه وارع له حقه فانه آخر عشاقكا

يكني عن قرب خروج اللحية أو خروجها وانه لا عاشق له بعدها

﴿ الباب الثالث في الكناية عن بعض فضول الطعام وعن المكان المهيأ له ﴾

﴿ فصل في مقدمته ﴾

قرأت في المستنير ان يحيى بن زياد ومطيع بن اياس وحماد عجرد اجتمعوا في مجلس يقصفون ومعهم رجل كان ينادمهم فخرجت منه ريح لها صوت فاستحيا ولم يعد اليهم فكتب اليه أحدهم

امن قلوص غدت لم يؤذها أحد الا تذكرها بالرمل أوطانا
خان العقال لها فانبث اذ نفرت وانما الذنب فيها للذي خانا
منحتنا منك هجرانا وتقلية وغبت عنا ثلاثا لست تغشانا
خفض عليك فما في الناس من أحد الا وابنقه يفلتن أحيانا

وعرض مثل ذلك لجارية تغنى في مجلس فيه الجماز فاحبت ان تنظر ماعنده فقالت أي شيء تشتهي ان اغنيك فقال غنى

يا ربع ما تنصفين بالدمن كم لك من محو منظر حسن

فضحكت وعلمت انه قد أحس بذلك ﴿ وعرض ﴾ مثل ذلك لرجل في مجلس

الصاحب فاستحيا وانقطع منه فكتب اليه الصاحب

يا ابن الحصيري لا تذهب على خجل ... لحادث كان مثل الناي والعود
فانها الريح لا تسطيع تحبسها ... اذ لست أنت سليمان بن داود

﴿ وعرض ﴾ مثل ذلك لفتى في مجلسه ليلا فقال له الصاحب ياصبي لاتمت تخجل وقال هذا صرير التخت فقال الصاحب احسب ان يكون صرير التخت ﴿ ومن ﴾ مليح ماسمعت في هذه الكناية حكاية أبي عبد الله بن الحجاج وهي انه دعا مغنية كان يتعاشق لها فلما حصلت عنده ليلا ودارت الكؤوس نعس فتفرقع ظهره وهي قاعدة فغضبت وانصرفت فكتب اليها من الغد

قد غضبت ستي وقد انكرت ... فرقعة تعرض في ظهري
وليس لي ذنب ولكنني ... اصر بالليل ولا أدري
فليت شعري وهي غضابة ... من جحرها اضرط أم جحري

﴿ فصل في عاقبة الاكل ﴾

قد كنى الله تعالى عنها بقوله أو جاء أحد منكم من الغائط ــ والغائط ــ المكان المطمئن من الارض وكانوا يأتونه تسترا وانتباذا ثم كثر ذلك في كلامهم حتى سموا الحدث باسمه واشتقوا منه الفعل تغوط ﴿ ومن ﴾ كنايات العامة عن الحاجة الي دخول الخلاقو لهم له حاجة لايقضيها غيره ﴿ ومن ﴾ لطائف الاطباء كنايتهم عن حشو الامعاء بالطبيعة والبراز وعن سيلان الطبيعة الخلفة وعن القيام لها الاختلاف ﴿ ومنه ﴾ قول أبي العيناء وقد سئل فقيل الى من يختلف فقال الى من يختلف عليه . . وقد تكني الاطباء عن البول بالماء والدليل وعن القيء بالتعالج ﴿ وقال ﴾ بعض المفسرين في قول الله تعالى (كانا يأكلان الطعام) وقوله (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق) انما هو كناية عن الحدث لان من أكل فلابد له من عاقبة الاكل ونفض الفضل ﴿ وقد ﴾ عابهم الجاحظ بهذا التفسير وقال كأنهم لم يعلموا ان مس الجوع ومايناك أهله من الذلة والعجز أدل دليل على انهم مخلوقون حتى يدعوا على الكلام شيأ قد

أغناهم الله عنه ﴿ وعلى ﴾ ذكر التفسير فقد قال لي أبو النصر محمد بن عبد الجبار القتبي سألني بعض أهل جرجان عن تفسير قوله تعالى (وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق) فقلت يعني انه ليس بملك ولا ملك وذلك ان الملائكة لايأكلون ولا يشربون والملوك لايتسوقون ولا يتبذلون فعجبوا ان يكون مثلهم فى الحال يمتاز من بينهم فى علو المحل والجلالة والله أعلم حيث يجعل رسالته ﴿ وقرأت ﴾ فى كتاب المستنير ان أبا تمام والخثعمي اجتمعا فى مجلس أنس فقام أبو تمام الى الخلا فقال له الخثعمي ندخلك فقال نعم وأخرجك فتعجب الحاضرون من هذا الابتداء البديع والجواب العجيب السريع ﴿ ومما ﴾ يشبه هذه الحكاية ماحدثنيه أبو نصر سهل بن المرزبان فقال دخل ابن مكرم الى أبي العيناء فسأله ان يقيم عنده فقال ابن مكرم اذهب واتوضأ فقال أبو العيناء اذا لايعود الينا منك شئ أى لانه كله حدث ﴿ وينشد ﴾ أصحاب المعاني لابى صعترة

هم منحوك طول الليل سقبا خبيث الريح من خمر وماء

يكنى عن أنهم ضربوه وهو سكران حتى احدث ٠٠ وكان بشر المريسي يقول اذا قيل له فلان قد وضع كتابا الوضع وضعان احدهماله افتخار والآخر له بخار يريد قول القائل

مررت بدارها فوضعت فيها كجثمان القطاة له بخار

وكتب بعض الظرفاء الى شارب دواء

ابن لى كيف أصبحت على حال من الحال
وكم سارت بك الناقة نحو المنزل الخالى

وكتب مؤلف الكتاب الى المجلس العالى آنسه الله في يوم أخذ فيه دواء

يامالكا حاز أصله الشرفا فلم يدع منه للورى طرفا
لما أخذت الدواء والطالع السعد على العزم منك قد وقفا
صقلت سيف العلى وصفيت تبر السعد والعيش منك صفا
لازلت تحسو السرور فى مهل وتنفض الهم عنك والدنفا

والعرب تقول لارأى لحاقن ولا لحاقب ـ والحاقن ـ كناية عمن به بول ـ والحاقب ـ

كناية عن الذى احتاج الى الخلاء فلم يتبرز شبه بالبعير الحاقب الذي دنا الحقب من قبله فمنعه ان يبول ٠٠ وقد ملح منصور الفقيه فى الكناية عن الحدث بقوله

تنبه لجسمك من نطفة　　وأنت وعاء لما تعلم

﴿ فصل في الكناية عن المكان التى تقضي تلك الحاجة اليه ﴾

يكنى عنه بالحش وهو البستان وبالمستراح والمبرز والمذهب والمتوضأ والميضاء ٠٠ وما أحسن ما سمعت في ذلك وأصدقه قول أبي الفتح البكتمرى

أحق بيت من بيوت الورى　　يصونه قدما واستاره

بيت اذا مازاره زائر　　فقد قضى أعظم أوطاره

يدخله المولى بجز كما　　يدخله العبد باطماره

وهواذا ما كان مستنظفا　　مروءة الانسان في داره

وعلى ذكر الكنايات عن ذلك المكان فقد اعترضت حكاية كتبها الى أبو سعد دوست باسناد له عن الزبير بن بكار قال حدثنى محمد بن الوليد الزبيرى قال قدم رجل من بنى هاشم المدينة ومعه جاريتان مغنيتان وبلغه ان بها رجلا مضحكا فبعث اليه وأحضره وسقاه نبيذا قد ألقى اليه سكر العش وهو يسهل البطن وتناوم الهاشمى وغمز الجاريتين فلما شرب المضحك ثلاثا حركته بطنه فقال ما أحسبهما الا مكيتين فقال جعلت فدا كا ابن بيت المذهب فقالت احداهما لصاحبتها ما الذى يقول قالت يقول غن لى

ذهبت من الهجران فى غير مذهب　　ولم يك حقا طول هذا التجنب

فصبر على مكروه عظيم ثم قال ما احسبهما الا بصريتين فقال جعلت فدا كا ابن بيت الخلا فقالت أحدها للاخرى ماذا يقول قالت يقول غنى

اضحت خلاء واضحي اهلها احتملوا　　اخنى عليها الذى اخنى على لبد

قال: فصبر على أمر عظيم واظلم ما بين عينيه فقال ما احسبهما الا كوفيتين فقال فديتكما الا تسمعان ابن بيت الحش فقالت احداها للاخري ماذا يقول قالت يقول غنى

اوحش الجنبذان فالدير منها　　فقراها فالمنزل المحصور

فقال المضحك ما فهمتما عني وصبر على أشد ما يكون وانفتح بطنه وضاقت حيلته فقال هما البنة مد نيتان فقال فدينكما أين بيت الكنيف فقالت احداهما للاخرى ماذا يقول قالت يقول غني لى

تكنفني الهوى طفلا فشيبني وما اكتهلا

فقال يا زانيتان أنا أخبركما ما هو فقام رافع ثوبه وساح عليهما وملأ المجلس فانتبه الهاشمى وقال ويحك ما صنعت قال اقعدت مع هاتين الزانيتين ما يحسبان الكنيف الا الصراط المستقيم فهما ينفسان على بان يدلان عليه قال أفتفسد على ثيابي فقال والله ما افسدت على من بطنى أشد مما أفسدت من مجلسك ﴿ وأنا ﴾ اختم هذا الفصل بخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم في الكناية عن الاحداث فى الشوارع وطرق المارة وهو قوله عليه الصلاة والسلام اتقوا الملاعن وأعدوا النبل

﴿ الباب الرابع ﴾

في الكناية عن المقابح والعاهات والمثالب

﴿ الفصل الاول في القبح والسواد ﴾

اذا كان الرجل قبيح الخلقة مشوه الصورة قيل فى الكناية عنه له قرابات باليمن لان القرود تكثر بها ﴿ ومن مليح ﴾ الكناية عن القبح قول أبي نواس

وقائلة لها في وجه نصح علام هجرت هذا المستهاما
فكان جوابها فى حسن مس أأجمع بين هذا والحراما

وهذا كقولهم حشفا وسوء كيله .. فاذا كان شديد الادمة مع الدمامة قيل كأن وجهه قمر الثلاثين .. ويستحسن لنصيب قوله في الكناية عن سواد بناته فى كلام خاطب به عمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين قد بليت ببنات لى أنفقت عليهن من ضيق فكسدن فرق له ووصله وفي نصيب قيل

أخ لى من بنى حام بن نوح كأن جبينه حجر المقام

﴿ ويحكى ﴾ في قصة طويلة لسكينة بنت الحسين بن على رضي الله عنهم انها أمرت باخراج

الفرزدق عن دارها وقالت والله انه لايدخل على حتى يشيب الغراب فتلطف الفرزدق واحتـال وقال لنصيب هل لك أن تدخلنى عليها وتأخذ صلتها قال نعم فاستأذن الحاجب لنصيب فاذنت له ودخل الفرزدق على أثره فلما رأته سكينة قالت ياخبيث قدختنتنى فقال ياسيدتى قد قلت حتى يشيب الغراب وهـذا والله الغراب قد شاب أراد سواد وجهه وبياض شعره فقال نصيب قد علمت انه لايريد بى خيراً ثم كفرت عن يمينها وأجزلت صلتهما ولم يكن أحـد عن الممدوح الاسود بأحسن وأبدع من كناية المتنى عن سواد كافور الاخشيد بقوله

فجاءت بنا انسان عين زمانه وخلت بياضا خلفها وأماقيا

فانه جمع الي حسن الكناية حسن التشبيه وجودة التفضل وابدع ماشاء

﴿ فصل في الثقل والبرد ﴾

حدثنى أبو جعفر محمد بن موسي الموسوى قال دخلت يوما الى الشيخ أبي نصر بن أربد بخاري وعنده علوى مبرم تأذى بطول جلوسه وكثرة كلامه فلما نهض قال لى أبو نصر ابن عمك هذا خفيف على القلب فقلت نعم مساعدا له على رأيه فتبسم ضاحكا من قولي وقال لى أراك لم تفطن للغرض فما زلت أفكر حتى وقع لى انه أراد خفيفا مقلوبا وهو الثقيل وهذا المعنى أراد أبو سعد دوست بقوله

وأثقل من قد زارني وكأنما تقلب فى أجفان عينى وفي قلبي
فقلت له لما برمت بقربه أراك على قلبي خفيفا على القلب

وكان الناصر العلوى الاطروش اذا كلمه الانسان فلم يسمعه قال له ياهذا ارفع صوتك فان باذني بعض ما بروحك يكنى عن الثقل ﴿ ونظر ﴾ بديع الزمان الى انسان بارد طويل فقال قد أقبل ليل الشتاء فانه طويل بارد ﴿ ودخل ﴾ ابن أبي أيوب الى ابن حمدار يعوده وقد اقشعر فقال له ما تجد فديتك قال أجدك يكنى عن البرد ﴿ فصل ﴾ في الكناية عن الداء الذى لادواء له الا بمعصية الله يقال فلان يخبأ العصا وفلان عصي موسى لانها تلقف ما يأفكون وفلان يخبأ العصى فى الدهليز الاقصى (وحدثني) أبو

نصر سهل بن المرزبان قال قال بعض بني هاشم لابي العيناء بلغني انك تخبأ العصى فقال له وتدعونها تظهر وانشدني الطبرى لنفسه في اللجام

رأيت للجام في خلقه للشعر تطبيقا وتجنيسا
نخوة فرعون ولكنه جانس في حمل العصي موسي
وغش ابليس ولكنه خالف في السجدة ابليسا

ويقال فلان ممن يخر للاذقان (وهو) اسجد من هدهد وفي ذلك يقول بعض المصريين

أرسلت في وصف صديق لنا ماحقة الكنية بالمسجد
في الحسن طاووس ولكنه اسجد في الخلوة من هدهد

وفلان غراب لانه يوارى سوءة أخيه قال منصور الفقيه

ان في امر أحمد بن الطحاو ى وفي امر عرسه لعجابا
طلقت نفسها عشية زفت واباحته خدرها والثيابا
قيل مابالة فقالت غراب هل شرطتم على بهلا غرابا

ومن ملح الصاحب في هذه الكناية قوله ويروى لغيره

له قراح في سراويله يزرع فيه قصب السكر

(وقوله)

قد حضر الجامع مع رفقة احدثها العالم في دينه
والله ما يحضره مسرعا الا ارتياحا لاساطينه

(وقوله)

شاهدته بالامس قد حمل العصى فسألته عنها ليوضح عذرا
فاجابني اني بها متشايخ هذا ولي فيها مآرب أخرى

(وقوله)

والله ما اتخذ الكتابة حرفة الا لحب الدرج والاقلام

وانشدني الاستاذ الطبرى لنفسه من قصيدة

وقال انا المليك فقلت حقا | بقلب اللام نونا في الهجاء
ولم أرمن أداة الملك شيئا | لديك سوى احمالك للواء

وانشدني أيضا من أخرى

فلم تضحى على الاسلام سيفا | وأنت كما علمت من العمود
وتزهد في الصلاة وفى دُويها | ولكن لست تزهد في السجود

ويروى ان الاحوص نظر الى الفرزدق وهو على بغل فقال له يا أبا فراس بغلك على خمس فقال الخامسة احب اليك وكان الاحوص يرمى بالابنة (ومن) جيد التعريض بها قول عمرو بن بابة

أقول وقد مر عمرو بنا | فسلم تسليمة خافيه
لئن تاه عمرو بفضل الغنى | لقد فضل الله بالعافيه

﴿ فصل فى الكناية عن البرص ﴾

كان جذيمة ابرص فكنى عنه بالوضاح والابرش ولما برص بلما بن قيس قيل له ما هذا فقال سيف الله جلاه ويروى حلاه بالحاء وتشديد اللام (وممن) كنى عن البرص بالوضح رجل من بنى نهشل حيث قال

نفرت شودة منى اذ رأت | صلع الرأس بجلدى والوضح
هو زين لي فى الوجه كما | زين الطرف تحاسين الفرح

وقال ابن حسا في الكناية عنه بالبياض

لا تحسبن بياضا فى منقصة | ان اللهاميم في أقرابها بلق

﴿ ولبعضهم ﴾

أخو لخم أعارك منه ثوبا | هنيئا بالقميص لك الاجد

وأخو لخم هو جذيمة الابرش وكان رجل أبرص اليد يخضبها ليكون أخفى لما بها فسئل غلامه عما يصنع فقال يداوى العاج بالمزاج

﴿ فصل فى الكناية ﴾

عن عـدة عاهات يكنى عن الاعمى بالمحجوب وفى ذلك يقول عثمان بن الوليد بن عتبة

لعمري لئن أمست على عمـاية   لقد رزئ الابصار قبل الاكارم
وقد عاش محجوبا أمية وابنه   أبونا أبو عمرو وحرب وهاشم

ولما أراد المتوكل أبا العيناء على منادمته قال له ياأمير المؤمنين أنا محجوب والمحجوب يجور قصده ويقبل على من لايقبل عليه وكل من فى مجلسك يخدم وأنا أحتاج أن أخدم فيه ﴿ويكنى﴾ عن الاعور بالممتع وعن الذى فى عينه نقطة بياض بالكوكبي والمكوكب وعمن بوجهه أثر بالمشطب ﴿وما﴾ أحسن ما كنى عوف بن محلم عن الصمم بقوله

ان الثمانين وبلغتها   قد أحوجت سمعي الى ترجمان

﴿ فصل فى البخل ﴾

يكنى عن البخيل بالمقتصد ويقال فلان نظيف المطبخ وفلان نقى القدر قال الشاعر

بيض المطابخ لا تشكو إماؤهم   طبخ القدور ولا غسل المناديل

﴿وقال آخر﴾

مطبخ داود فى نظافته   أشبه شئ بعرش بلقيس
ثياب طباخه اذا اتسخت   أنقى بياضا من القراطيس

أبو نواس

رأيت قدور الناس سودا من الصلى   وقدر الرقاشيين بيضاء كالبدر

وقال الجماز لرجل رحم الله أباك فقد كان نظيف منديل الخوان قال الاستاذ الطبري

فتى مختصر المأكول والمشروب والعطر
نقى الخبز والقصـ   ـعة والمنديل والقدر
قليل النمل والذبان   والجرذان والهر

وفى ذكر قلة الجرذان تقول اعرابية لبعض الخلفاء أشكو اليك قلة الجرذان فقال ماأحسن هذه الكناية لاكثرن جرذانك وأمر لها بطعام كثير ومال ومن نادر الكناية عن البخل بالطعام قول حمير وقد سئل عمن يحضر مائدة محمد بن يحيي فقال أكرم الخلق والأمهم يعنى الملائكة والذباب وليس بالبارد قول حماد عجرد

زرت أميراً في بيته ماجداً … له حياء وله خير
يكره أن يتخم أضيافه … ان أذى التخمة محذور
ويشتهي أن يؤجروا عنده … بالصوم والصائم مأجور

ومن ذلك قول الآخر

على أبوابه من أي وجه … قصدت له أخو مرض اد

ومما يستحسن في هذا الباب قول ابن طباطبا العلوى

وكاتب حاسب ان رمت ملتمساً … ما في يديه اذا ما رحت مجتديه
أضاف تسعين تقفوها ثلاثتها … الى ثلاثة آلاف وتسعمايه

وقوله في هذه الكناية بعينها

ان رمت ما في يديك مجتدياً … أوجئت أشكو اليك ضيق يدي
عقدت لي باليسار أربعة … مقبوضة سبعة من العدد

﴿ فصل في الكناية ﴾

عن جملة من المعائب والاخلاق المذمومة اذا كان الرجل جاهلاً قيل فلان من المستريحين لقولهم استراح من لاعقل له ﴿ فاذا كان ﴾ سليم الناحية ابله قيل فلان من أهل الجنة لان النبي صلى الله عليه وسلم يقول أكثر أهل الجنة البله ﴿ فاذا كان ﴾ أحمق قالوا نعته لاينصرف ﴿ وأنشدني ﴾ أبو الحسن الشهرزوري قال أنشدني أبو الحسن اللحام لنفسه في ابن مطران الشاشي لما صرف عن بريد الترمذية

قد صرفنا وكل من … قبلنا فهو منصرف
* وصرفنا بشاعر … نعته ليس ينصرف

فاذا كان فضولياً داخلاً فيما لايعنيه متكلفاً مالا يلزمه قالوا هو وصي آدم وقد توضع هذه الصفة موضع المدح كما قال الشاعر

وكأن آدم حين حم حمامه … وصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم … وكفيت آدم غلة الابناء

فاذا كان وسخا قالوا هناك درقة وحدقة ووجنة معارقة ﴿وهذه﴾ اللفظة للصاحب من كتاب له الى أبي العباس الضبي في ذكر أبي الحسن الجوهري الشاعر فاذا كان قليل الدماغ قالوا فلان فارغ الغرفة قال الشاعر

صاحبنا أحواله عاليه لكنما غرفته خاليه

فاذا كان كثير الطيش قالوا احضرمعه وتدا ﴿فاذا﴾ كان كذوبا قالوا الفاختة عنده أبو ذر وهذه اللفظة عذبة من ملح الصاحب ولم أسمع في معناها أحسن وأبلغ منها لأن الفاختة يضرب بها المثل قال الشاعر

أكذب من فاختة تقول وسط الكرب
والطلع لم يبد لها هذا أوان الرطب

وأبو ذر الغفارى من يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر ﴿ومن﴾ كناياتهم عن الكذب فلان يلطم عين مهران ﴿ومهران﴾ رجل يضرب به المثل في الكذب ﴿فاذا﴾ كان ملولا قيل فلان من بقية قوم موسى كما قال

أراك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام

فاذا كان كثير التكلف والبذخ قالوا فلان يكثر الزعفران يشبهونه بالقدر المتكلف لها فاذا كان جميل المنظر ولا طائل عنده قالوا فلان فالوذج السوق قال الحجاج

وكم صديق يروق عيني في قالب الحسن واللباقه
ليس له في الجميل رأى ولا بفعل الجميل طاقه
كأنه في القميص يمشي فالوذج السوق في رقاقه

﴿فاذا﴾ كان رديء الخط قالوا فلان خطه خط الملائكة لان أجود الخط أبينه وارداه على الضد وخط الملائكة غير واضح للناس ﴿وسمعت﴾ أبا القاسم على بن الحسن الطرانى الفقيه يقول سمعت أبا محمد يحيي بن محمد العلوى يقول انما قيل ذلك لان اردأ الخط الرقم وخط الملائكة رقم كما قال الله تعالى كتاب مرقوم يشهده المقربون ﴿فاذا كان﴾ لقيطا لا يعرف له أب قالوا هو من تربية القاضى ومن موالي النبي صلى الله عليه وسلم

لان القاضي يامر بتربية اللقطاء والانفاق عليهم من اللقط على اعمال البر والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا مولى من لا مولى له وهذا المعنى أراد أبو نواس بقوله

وجدنا الفضل أكرم من رقاش ... لان الفضل مولاه الرسول

ويحكى أن رجلا يتهم بالدعوة قال لابي عبيدة لما أتهم بكتاب المثالب أتسب العرب جميعا قال وما يضرك أنت من ذلك يعنى انه ليس منهم ﴿فاذا﴾ ادعى النسب فى هاشم وهو دعى قالوا هو ابن عم النبى من الدلدل وهي بغلته أي قرابة ما بينهما كقرابة مابين النبى وبين البغل وفي ذلك يقول أبو سعد دوست

فديتك ما أنت من هاشم ... وما أنت من أحمد المرسل

فان قلت انى ابن عم النبى ... فانت ابن عم من الدلدل

وأملح ماسمعت فى الكناية عن الدعوة وكذب النسبة قول أبى الفتح كشاجم

شيخ لنا من مشايخ الكوفه ... نسبته فى العراق موصوفه

أى مزورة لان المزورة موصوفة للعليل ﴿فاذا كان﴾ ماحدا قالوا فلان حر وهو من الاحرار ويكنون عن انه خارج عن ربقة الشريعة ﴿وربما﴾ كنوا بالخراط اذ يقال لكلاب مكة الخراطة لانها تخرط قلائدها وغدرها فكان الملحد بلادين كما ان كلاب مكة بلا غدر ﴿ولابى﴾ دلف الخزرجي قصيدة فى مناكاة بنى ساسان ووصف طبقاتهم وفيها في ذكر ملحديهم

رجال فطنوا للنقل ... والاعلال والامر

خليجيون ما حاضوا ... ولا باتوا على طهر

الخليجي الذى لا يغسل استه ماحاضوا أى ماتطهروا رأوا من حكمه خرط القلادات مع الغدر وأهل بغداد يقولون لمن ألحد فلان قد عبر يعنون انه قد عبر جسر الاسلام وقيل لبعضهم هل عبرت فقال ولدت فى ذلك المكان يكنى عن انه لم يزل كذلك فاذا كان نذلا خسيساً قيل هو ثامن أصحاب الكهف لان الله تعالى يقول في قصتهم وثامنهم كلبهم ﴿فاذا﴾ كانوا فى عداد البهائم والانعام قالوا كما قال الشاعر

ألست من ذكر الذي ذكره ... في سورة الجمعة والنحل

يعني قول الله تعالى في سورة الجمعة كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴿ وفي ﴾ سورة النحل والخيل والبغال والحمير لتركبوها ﴿ فاذا كان ﴾ اكولا نهما قالوا فلان ملتهب المعدة وكان في احشائه معاوية ﴿ فاذا كان ﴾ سيء الادب في المؤاكلة قالوا تسافر يده على الخوان ويرعي أرض الجيران ﴿ فاذا كان ﴾ خفيف اليد في الطر والسرقة قالوا هو أحذ يد القميص ويد القميص هو الكم والسارق يقص كمه ويخففه ليكون أقدر على عمله قال الفرزدق في عمرو بن هبيرة

أوليت العراق وساكنيه فزاريا أحذ يد القميص

وقال أيضاً وهو من أبيات المعاني

أظنك مفجوعا بربع منافق تلبس أثواب الخيانة والغدر

وانما كنى عن أن يمينه تقطع فيذهب ربع أطرافه ﴿ فاذا كان ﴾ غير نظيف البدن مغفلا لتعهده قالوا فلان أظفاره حمي وازاره مرعي ومستجاد لابي نواس قوله

من ينأ عنه مصاده فصاد زنبور ثيابه

﴿ وللصاحب ﴾

وحوشه ترتع في ثوبه وظفره يركب للصيد

﴿ ومن ﴾ كنايات العامة في هذا المعني قولهم يعرض الجند ﴿ وقد ﴾ أجاد سعيد بن حميد في الكناية عن الصنان بقوله لابي هفان

أمسى يخوفني العبدى صولته وكيف آمن بأس الضيغم الهصر
من ليس يحرزني من سيفه أجلي وليس يمنعني من كيده حذري
له سهام بلا ريش ولا عقب وقوسه أبدا عطل من الوتر
فكيف آمن من التي له عرضا وسهمه صائب يخفى عن البصر

وسمعت بعض العجائز تكنى عن الصنان برائحة الشباب ﴿ فاذا كان ﴾ قوادا قالوا فلان يجمع شمل الاحباب وفلان يأتي الحبيب ﴿ وقد يكنى ﴾ به أيضاً عن الرقيب ﴿ فاذا كان ﴾ حاذقا قالوا فلان حاذق بالقيادة يجر أحداً بشعرة ويؤلف مابين الضب والنون ﴿ فاذا كان ﴾ اما حسن اللبة واما حسن الصورة وليس وراءه حاصل ولا

لديه طائل قالوا ليس وراء عبادان قرية أنشدني الاستاذ الطبري لنفسه في أبي سعد دوست بن ملة الهروي

أبو سعد له ثوب مليح ولكن حشو ذاك الثوب خربه
فان جاوزت كونه اليه فليس وراء عبادان قريه

فاذا كان لغير رشدة قالوا أبوه قصير الحائط قال الصاحب من أبيات

فهد على نصبه عذره خيطان دار أبيه قصار

فاذا كان به جنة قالوا فلان مكتوب القميص لان المجنون قد يكتب على قميصه لايباع ولايوهب وفي الكناية عن الكشحان يقول أبو سعد بن دوست

ومخالف للحق غير مخالف للصدق عبد تناظر وحجاج
ترك الحجاج الى الاجاج فقلت يا رجز الدجاج ومنزل الحجاج

وسمعت أبا الفضل عبدالله بن أحمد الميكالي يقول قال أبو عبيدة العارضة كناية عن البذل يقال فلان شديد العارضة والاقتصاد كناية عن البخل فاذا قالوا غلامك مستعص فذلك كناية عن الجور وقال شريح الحد كناية عن الجهد والمشقة

﴿ فصل في الكناية ﴾

عن ذم الشعراء والشعر اذا كان الرجل متشاعرا غير شاعر قالوا فلان نبي الشعر لان الله تعالى يقول في نبيه صلى الله عليه وسلم وماعلمناه الشعر وماينبغي له قال مخلد الموصلي

يانبي الله في الشعر وياعيسى بن مريم أنت من أشعر خلق الله مالم تتكلم

يعنون قول الشاعر

الشعرا فيما علمنا أربعه فشاعر يجرى ولايجرى معه
وشاعر ينشد وسط المجمعه وشاعر من حقه ان تسمعه
وشاعر من حقه ان تصفعه

واياه عنى من قال

يارابع الشعراء فيم هجوتني أحسبت اني منفحم لاأنطق

ولبعض أهل العصر

قولا لشاعرنا الثقيل الاول ال ... حربي بطلعته على الرقباء
يا ثاني الموت الزؤام وثالث النحسين انك رابع الشعراء

فاذا كان بارد الشعر قالوا فلان من آلة الصيف قال الجماز في أبي السمط

ان أبا السمط فتى شاعر ... وشعره من آلة الحر
طوبى لمن في الصيف يروى له ... خمسة أبيات من الشعر

وقال ابن وريق الكوفي في شعر الصولي

داري بلا خيش ولكنني ... اعقد من خيشي طاقين
دار اذا ما اشتد حري بها ... انشدت للصولي بيتين

وقال أحمد بن طاهر في الفتح بن خاقان وقد اعتل من حرارة

مادواء الامير فتح بن خاقا ... ن سوى شعر هذا الزمان
ودواء الامير أن ينشدوه ... بعض ماقاله أبو هفان

وقيل للعتابي قد فاح أبو مسلم الخلق فقال لعله أكل من شعره ﴿ واجتمع ﴾ قوم من الشعراء على فالوذجة حارة فقال أحدهم للآخر منهم كانها مكانك من النار فقال يصلحه بيت من شعرك ﴿ وقيل ﴾ للاستاذ الطبري شعر فلان كالماء قال نعم ولكن كماء البئر في الصيف وانما أخذه من قول ابن الرومي

أنت عندي كماء بئرك في الصيف ثقيل يعلوه برد شديد

﴿ وأنشدني ﴾ أبو الحسن الحميري لنفسه في الكناية عن شعر ردي غير سائر

لنا صديق شعره داجن ... لا يألف الاسفار والغربه
لكنني أسمعه راعيا ... لحقه في قدم الصحبه

الكدية

﴿ فصل في السؤال والكدية ﴾

أول من كنى عن السؤال بالزوار خالد بن برمك وكان عبد الله بن شريك النميري صار اليه في جماعة من أهل السوتات يستميحونه وكان الزوار يسمون السؤال فقال خالد

أنا والله أستقبح لهم هذا الاسم وفيهم الاشراف والاجواد ولكننا نسميهم الزوار فقال له عبد الله والله ماأدرى أميرنا منك أجل أم صلتنا أم تسميتنا وقال في ذلك يزيد بن خالد الكوفى المعروف بابن حبيبات

حذا خالد في جوده حذ وبرمك　　فمجد له مستطرف وأثيل
وكان بنو الاعدام يعزون قبله　　الى اسم على الاعدام فيه دليل
يسمون بالسؤال في كل موطن　　وان كان فيهم نابه وجليل
فسماهم الزوار سترا عليهم　　وذلك من فعل الكرام نبيل

وذكر الصولي هذا الخبر لغير خالد باسناد له ان المساور بن النعمان لما ولي كور فارس أتاه الناس فقيل له قد اجتمع سؤالك فقال ما أقبح هذا من اسم هؤلاء الزوار فسموا به من ذلك اليوم وفيه يقول زياد الاعجم

ان المساور اعطي فى عطيته　　سؤاله أحسن الاسماء للبشر
كانوا يسمون سؤالا فصيرهم　　دون البرية زوارا ولم يجر

ويقال فلان من أصحاب الجراب والمحراب وفلان من قراء سورة يوسف لان قراء السؤال يستكثرون من قراءتها فى الاسواق والجامع والجوامع لانها أحسن القصص قال محمد بن وهب

لئن كنت للاشعار والنحو حافظا　　لقد كنت من قراء سورة يوسف

ويقال فلان خليفة الخضر اذا كان جوالا فى الاسفار جوابا للبلاد في الكدية ﴿وقد﴾ يوصف بهذه الكناية من تكثر نهضاته وتتصل حركاته وان كان لغير الاستماحة ورؤي بعضهم يسأل فى قرية فقيل له ماتصنع فقال ماصنع موسى والخضر يعنى انهما استطعما أهل قرية (وحدثنى) نصر بن سهل بن المرزبان قال ولد لابي العيناء ابن فأتاه أبو على البصير مهنئاً له فقال أى وقت فارق أمه فقال وقت الصبح عند ضرب الدبادب فقال أبو على أرجو أن يعرفك الله بركته فما أخطأ وقته يريد أن السؤال انما ينتشرون فى ذلك الوقت للكدية (ويقال) سأل رجل بعض المتجملين فقال له المسؤل باطننا كظاهرك والبستان كله كرفس يعنى انه كهوفي الخصاصة والحاجة الي السؤال (وكتب) بعض البلغاء

فى اقتضاء مبرة لرجل فلان مقيم على انتظار جوابه وثمرة ايجابه يكنى عن الصلة بثمرة الايجاب وأحسن جدا (وقلت) انا في الكتاب المبهج من جاب دُرَّ الكلام حلب دَرَّ الكرام

﴿فصل في الكناية عن الفقر وسوء الحال﴾

(يقال) فلان قد لبس شعار الصالحين أى افتقر (ويقال) فلان رقت حاشية حاله وداره تحكى فؤاد أم موسى ويقرأ سورة الطارق أى ليس بري فيها سوي السماء والنجوم (ويقال) جاءنا فلان فى قميص قد أكل عليه الدهر وشرب وجبة تقرأ اذا السماء انشقت (وفلان) وطاؤه الغبراء وغطاؤه الخضراء اذا كان لايستتر من الله بشيء (ودخل) بو الحسن محمد بن عبدالله المعروف بابن سكرة حمام موسى ببغداد فسرقت نعله فقال

تكاثفت اللصوص عليه حتى ليحفى من يطلم به ويعرا
ولم أقصد به ثوبا ولكن دخلت محمدا وخرجت بشرا

يعنى بشرا الحافي

﴿فصل فى الكناية عن الصفع﴾

كان أبو هفان يقول انالا أمزح الا باليدين والوالدين يكنى عن الصفع والشتم ومن أبلغ ماسمعت في الكناية عن الصفع قول اسماعيل السبجي فى أبي نواس

ولما تصدى لاعراضنا ولم يك فى عرضه منتقم
كتبنا الهجاء على أخدعيه بمزدوج من أكف الخدم

ومما استظرف قول ابن لنكك فى أبي رياش

أصابعه من الحلواء صفر ولكن الاخادع منه حمر

(وقوله)

لم أقبل فاه لكن قبلت كفى قفاه

واستحسن قول منصور الفقيه

يامن براني والبرية كلها في العلم دونه
صن ماتزر عليه طو قك ان بدالك ان تصونه

واستجيد ما أنشدنيه أبو بكر الخوارزمي لبعضهم في انسان وقح صفعان

سلاحه في وجهه وماله في هامته فكل ما يملكه يجمع في عمامته

وما ألطف قول السري الموصلي في الكناية عن الصفع

قوم اذا حضر الملوك وفودهم نفضت عمائمهم على الابواب

ولم ير في هذا المعنى أملح مما أنشدنيه أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان لابن سكرة في ابن قريعة

رأيت قلنسوة تستغيث من فوق رأس تنادي خذوني
وقد قلقت فهي طوراً تميل من عن شمال ومن عن يمين
فقلت لها ما الذي قد دهاك فقالت مقال كئيب حزين
دهاني ان لست من قالبي وأخشى من الناس أن يسكروني
وان يأخذوا في مزاح معي وان فعلوا ذاك بي قطعوني

﴿فصل في الكناية عن الصناعات الدنية﴾

سئل الشعبي عن رجل خطب امرأة فقال انه لين الجلسة نافذ الطعنة فزوج فاذا هو خياط وحكي الجاحظ عن النظام انه كان يكنى عن الحائك باخمص البطن يعني أن الخسف قد خصر بطنه (وسئل) حجام عن صناعته فقال أنا أكتب بالحديد وأختم بالزجاج (ومن أحسن) ما سمعت في هذه الكناية ما يحكى أن الفرزدق دخل على بلال بن أبي بردة وهو في ذم مضر ومدح اليمن فقال الفرزدق ان فضل اليمن لا يدفع سيما الواحدة التي بان بها أبو موسي فقال بلال ان فضائل أبي موسى كثيرة فأيها تعني فقال بنفسه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غلبه دمه يعني انه كان حجمه في بعض أسفاره فقال بلال أجل قد فعل ذلك برسول الله ولم يفعل بأحد قبله ولا بعده فقال الفرزدق ان الشيخ كان اتقى لله واعلم به من ان يقدم على نبيه بغير حذق فسكت بلال وحقدها على الفرزدق وعدت في جوابات الفرزدق المسكتة (ومن نادر) ما كني به عن الحجام ومشهوره قول عتبة الاعور لابراهيم بن سيار

يا بن الذي عاش غير مضطهد يرحمك الله أيما رجل

له رقاب الملوك خاضعة من بين حاف ومنتعل
أبوك أو هي النجاد عاتقه كم من كمي أدمي ومن بطل
يأخذ من ماله ومن دمه لم يمس من ثائر على وجل
* بكفه مرهف يقلبه يقطع أعناق سادة نبل

وأخذ الطائف بالكوفة رجلا فقال له من أنت فانشد

انا ابن الذي لاينزل الدهر قدره وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا الى باب داره اذا ما مضى وفدانه وفود

نخلى عنه وحسبه ابن بعض الاشراف فاذا هو ابن باقلاي (وأنشدني) أبو الفضل الميكالي لابى بكر العلاف فى الزجاجي النحوي

لك ود قد جبرنا ٭ فاعيانا صدوعه
* فاذا ودك مما كنت بالامس تبيعه

﴿ الباب الخامس ﴾

(فى الكناية عن المرض والشيب والكبر والموت)

﴿ فصل في المرض ﴾

هذا الفصل مقصور على الفاظ البلغاء من أهل العصر فى الكناية عن المرض يقع فى فصول هذا الباب (فنها) قولهم خمشه الزمان وهو من قول أبي الطيب المتنبي لسيف الدولة

تخمشك الزمان هوى وحبا وقد يؤذى من المقة الحبيب

(ومنها) قولهم عرضت له فترة أصابت عوده اشتكي الكرم لشكايته عرض له ما يجعله الله تمحيصا لاتنغيصا وتذكيراً لانكيراً وأدبا لاغضبا عرض له ما يمحو ذنوبه ويكفر سيئاته (وكنى الصاحب) عن الجرب بقوله لابى العلاء الاسدى من أبيات

أبا العلاء مليك الهزل والجد كيف النجوم التى تطلعن فى الجلد

وسمعت الاستاذ الطبرى يقول في ذكر مريض شارف التلف قد اختلف اليه رسل أبي يحيي (وكتب) أبو منصور الشيرازى فى ذكر اشتداد علة بعض الرؤساء طالع الكرم

يترجح نجمه بين الاضاءة والافول وتميل شمسه بين الاشراق والغروب

﴿فصل في كناياتهم عن الشيب﴾

أقبل ليله نور غصن شبابه ذرت يد الدهر كافوراً على مسكه فصص انبوبه لاخ الا تحوان في بنفسجه (وأحسن) هذا كله قول الله عز اسمه وجاءكم النذير وينشد أصحاب المعاني قول بعض العرب

ولما رأيت النسر عز ابن دأية وعشش في وكريه جاشت له صدري

والنسر كناية عن الشيب وابن دأية الغراب وكني به عن الشباب

﴿ فصل في كناياتهم عن الاكتهال ﴾

استبدل بالادهم الا بلق وبالغراب العقعق ارتاض بلجام الدهر نفض غبرة الصبي ولبي داعية الحجى تجلل ملابس أهل العقول أدرك زمان الحنكة

﴿ فصل في كناياتهم عن الشيخوخة ﴾

والكبر والهرم ومشارفة الموت قد فسح له في المهل قد تضاعفت عقود عمره تناهت به السن قد صحت الايام الخاليه فلان شمس العصر على القصر قد بلغ ساحل الحياة ووقف على ثنية الوداع وأشرف على دار المقام وكاد يلحق باللطيف الخبير (ولما) سقطت ثنية معاوية في الطست اشتد جزعه فقال له أبو الاعور السلمي خفض عليك يا أمير المؤمنين فوالله ما بلغ أحد سنك الا نغض بعضه بعضاً

﴿ فصل في الكناية عن الموت ﴾

استأثر الله به أسعده الله بجواره نقله الله الى دار رضوانه ومحل غفرانه كتبت له سعادة المحتضر وافضت به الى الامر المنتظر اختار الله له النقلة من دار البوار الي محل الابرار وانا استحسن قول المرقش الا كبر

ليس على طول الحياة مهل ندم ومن وراء المرء ما يعلم

وحدثني أبو نصر سهل بن المرزبان قال دخل ابن مكرم الى ابى العيناء عائداً فقال له

ارفع فديتك قال رفعك الله اليه أي أماته (وتولع) رجل ببعض الظرفاء فقال له وأبيك نحى قال مع ثلاثة مثلي يعنى فى رفع جنازته (وسمعت) بعض الحكماء يقول في الكناية عن موت صديق له قد استكمل فلان حد الانسان لان حد الانسان انه حي ناطق وكثيرا ما يكنون عن القبر بالتربة والمضجع والمرقد والمشهد

﴿ فصل فى الكناية عن القتل ﴾

صلى بحر المناصل قبل حر النار وسقى الارض من دمه بطل ووابل عدم برد الحياة وذاق حر المرهفات اروى منه غلة السيف وأحسن من هذا كله قول الله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه أى قتله (وحدثنى) أبو النصر محمد بن عبد الجبار قال كان وزير الوقت سلم بعض اقاضل العمال الى ابن أبي البغل عند نهوضه الى رأس عمله بالاهواز وأمره بتصريفه من أعماله فيما يستصلحه له ليجبر به خلل حاله فاستعمله على بعض أموال بيت المال ثم قتله تحت المطالبة بما جمعه حكم الاستيفاء عليـه وخاف من درك الانتقام من جنايته على وديعة من لزمـه شكر صنيعته فأفضى الفكر الى تمحل ما يخرجه من عهدة بادرته ويحله من ربقة جنايته فلم يجد لذلك معنى محيلا ولا لفظا يكون على المراد دليلا وطلب من يفصح عنـه بالمعذرة ويوجب له سبب الانفصال من تبعة تلك المعاملة عـلي شريطة حال يعظـم خطره ويظهر فى سد خصاصـة الحال أثره الى ان دل على شيخ من أرباب الصناعة قد أقعـدته المحنة وأكـدته العطلة فدعاه واستنشاه كتابا الى الوزير فى مهمات من وجوه المعاملات ومن حديث القتل فى ضمن الكلام فقال له اكتب عذراً لهذا المعنى فكتب أما فلان فان الوزير رسم باستعماله فلما استعملته استدويته فادبته فوافق الادب الاجـل فتعجب ابن أبى البغل من قدرته وسرعة فطنته وقوة خاطره على استخلاصه باللفظ الوجيز والمعنى المحيل عن عهدة جنايته ووصله بمال جزيل وشغله بعمل جليل قال مؤلف الكتاب أظن الشيخ ألم في معنى ما كتبه بتوقيع لعبد الله بن طاهر فزاد فى تحسينه ولطف تهذيبه وقد كان عبد الله ضرب بعض قواده ضربا مبرحا فات منه فرفع خبره اليه فوقع ضربناه لذنبه فات لاجله

(الباب السادس)

فيما يوجبه الوقت والحال من الكناية عن الطعام والشراب وما يتصل بهما

﴿ فصل في الاطعمة وما يتعلق بها ﴾

دخل الشعبي الى صديق له فعرض عليه الطعام وقال أي التحفتين أحب اليك تحفة مريم أم تحفة ابراهيم فقال أما تحفة ابراهيم فعهدي بها الساعة فاخرج اليه سلة رطب وانما كنى عن اللحم لان في قصته عليه الصلاة والسلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ وكنى بتحفة مريم عن الرطب لأن في قصتها وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا (وسمعت) أبا سعد أحمد بن محمد بن ملة الهروى يقول اجتاز المبرد بسداب الوراق وهو على باب داره فقام اليه وسأله أن يسره بدخول منزله ومساعدته على ماحضر فقال له المبرد ماعندك فقال ياسيدي عندى أنت وعليه أنا يعني اللحم المبرد وعليه السداب فضحك منه وأجابه (وسمعت) أبا الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالى يقول قال اعرابي لامرأته أين بلغت قدركم فقالت قد قام خطيبها تكنى عن الغليان (وقيل) للجماز أى البقول أحب اليك فقال بقلة الذئب يعنى اللحم ودخل الي يوما بعض الظرفاء من الفقهاء فطاولنى الحديث ثم قال لى ماقبل قوله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فقلت آتنا غداءنا فقال فاعمل عليه فاستظرفت هذه النادرة وأمرت بتقديم مايتناوله (وكان) الطبرى يقول اذا رأيت النديم يقترح أن تغنى هذا البيت

خليلي داويتما ظاهراً ... فمن ذا يداوي جوى باطنا

فاعلم انه جائع يريد أن يطعم (قال) ولهذا قصة وهي أن رجلا دخل دعوة وبه جوع شديد فسأله المطرب عن المقترح من الغناء فاقترح هذا البيت ففطنت لمراده جارية صاحب المنزل وقالت لمولاها أطعم الرجل فانه جائع (وقيل) لبعضهم أى الجوارشات أحب اليك فقال جوارش الحنطة يعنى الخبز (وللصوفية) كنايات عن الاطعمة استظرفت منها قولهم للحمل الشهيد بن الشهيد وللقطائف قبور الشهداء وللفالوذج خاتمة الخير وللارز بالسكر الشيخ الطبري بالطيلسان العسكري وللوزينج أصابع الحور وكان الجاحظ يأكل يوما

مع محمد بن عبد الملك الزيات فجيء بفالوذجة فتولع محمد بالجاحظ وأمر أن يجعل من جهته مارق من الجام فأسرع في الاكل حتى نظف ما بين يديه فقال محمد يا أبا عثمان قد تقشعت سماؤك قبل سماء الناس فقال أصلحك الله لان غيمها كان رقيقا

﴿ فصل في الكناية عن الشراب والملاهي وما يضاف اليهما ﴾

الاصل في هذا الفصل قول الشاعر

ألا فاسقني الصهباء من حاب الكرم ولا تسقني خمراً بعلمك أو علمي

ألبست لها أسماء شتى كثيرة فهات أسقنيها وا كن عن ذلك الاسم

(ويقال) استمطر فلان سحاب الانس واستدر حلوبة السرور وقدح زند اللهو واقتعد غارب الطرب وفلان يروم دم العناقيد ويفصد عروق الدنان وينظم عقود الاخوان وحكى الصولى قال كان خلاد ينقل أخبار أبي حفص بن أيوب الي ابن طولون فقال له حفص يا سيدي أبا الفضل انما مجالس المدام مجمع الانسة ومسرح الابانة وهداد الهم ومرتع اللهو ومعهد السرور أو بما بواسطته لانك عندي ممن لا يتهم غيبه وكتب الصاحب ينشط مولانا لتناول ما يستمد السرور ويستجلب الانس ويشرح الصدر (وكتب آخر) اذا حرم الانبساط في وجوه المطالب حل ما يجمع شمل الاخوان ويفرق أنواع الاحزان (وكني) عنه بعضهم باكسير السرور وكيمياء الفرح وترياق الهموم وصابون الغموم ولحام ارحام الكرام (وكتب آخر) عدنا لقداح اللهو فأجلناها ولمراكب السرور فامتطيناها (وذكر الطبري) في كتاب الامثال المولدة انه يقال للسكران اذا بلغ غاية السكر قد عبر موسى البحر (وسئل) عبيد راوية الاعشي عن معنى قول الاعشى

وسبية مما تعتق بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها

فقال قد سألت الاعشى عن ذلك فقال قد شربتها حمراء وبلتها حمراء والجريال لون الخمر (ويروي) عن الشعبي انه قال ما سمعت في الكنايات والمعاريض أحسن مما دار بين عبيد الله وبين الحارث بن بدر قال له يوما ما هذا الخدش بوجهك فقال اني سقطت عن فرس لي أشقر يعني الخمر فقال أين أنت عن الاشهب الوطيء يعني الماء (ويقال) في الكناية عن

القليل الشرب فلان مسعطي وهو من قول ابن لنك

فديتك لو علمت ببعض مابي لما جرعتني الا بمسعط
وحسبك ان كرما في جواري أمر ببابه فأكاد أسقط

وأنشدني أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي لبعضهم

ويدعي الشرب في رطل وباطية وأم عنترة العبسي تكفيه

يعني زبيبة وكان اسم أم عنترة زبيبة (ومثل هذه) الكناية وان كان من غير هذا الباب قول ابن طباطبا

منعم الجسم يحكي الماء رقته وقلبه قسوة يحكي أبا أوس

يعني حجراً فوضع مكان الحجر أبا أوس وأبو أوس حجر (ثم نعاه) عليه أبو مسلم محمد بن بحر فكتب اليه

أبا حسن حاولت ايراد قافيه مصلبة المعنى فجاءتك واهيه
وقلت أبا أوس تريد كناية عن الحجر القاسي فأوردت داهيه
فان جاز هذا فاكسرن غير صاغر في باب القرم الهمام معاويه

يعني صخراً وهو اسم أبي سفيان

والا نصبنا بيننا لك وقعة فتصبح ممنوعا بصفين ثانيه

عاد الحديث الى شرط الفصل كتب الطبري يصف مطربا فلان طبيب القلوب والاسماع ومحيي موات الخواطر والطباع (وقال) غيره فلان يطعم الآذان سرورا ويقدح في القلوب نورا وكتب الصاحب اعلام الانس خافقة وألسن الملاهي ناطقة (وكتب) أبو الفرج الببغاء قد فض اللهو ختامه ونشر الانس اعلامه (وقال) غيره قد سمعنا ما يرفع حجاب الاذن ويأخذ بمجامع القلب ويمتزج باجزاء النفس

﴿ الباب السابع ﴾

(في فنون شتى من الكناية والتعريض مختلفة الترتيب)

﴿ فصل في الكناية عن العزل والهزيمة وبعض الالفاظ السلطانية ﴾

قال الرشيد ليحيي بن خالد قد أردت أن أجعل الخاتم الذي الي أخي الفضل الي أخي

جعفر واحتشمت من الكتاب اليه فاكتب أنت اليه واكفنيه فكتب يحيي اليه قد رأى أمير المؤمنين أن يحول الخاتم من شمالك إلى يمينك فأجاب سمعاً وطاعة وما انتقلت عنى نعمة صارت الى أخي (وكتب) عامل الى المصروف به فالعطف وطرف قد قلدت العمل بناحيتك فهناك الله تجديد ولايتك وأنفذت خليفتي بخلافتك فلا تخله من هدايتك الى أن يمن الله بزيارتك فأجابه بهذه الاحرف ما انتقلت عني نعمة صارت اليك ولا خلوت من كرامة اشتملت عليك واني لاجد صرفي بك ولاية ثانية وصلة من الوزير وافية لما أرجوه بمكانك من حسن الخاتمة ومحمود العاقبة (ومن) ألفاظ الكناية عن العزل قد أغمد سيف كفايته وعطل الديوان من رياسته حط عنه ثقل العمل (وقد يكنى) عن العزل بالصرف وعن المصادرة بالمواقفة وعن الهزيمة بالتراجع والتحيز كما كتب أبو اسحاق الصابي عن بختيار الى صاحب طرف بازاء عدو وان حزبك أمر يجب الاحتراس منه عملت الى التحيز الى الحضرة فانها ممهدة لك غير نائية عنك ﴿ويكنى﴾ عن شغب العسكر باللوثة كما كتب أبو الحسن النومي عن أبي علي الصغاوى وقد بدرت من الحشم لوثة أعان الله على استدراكها ومداواتها ﴿ويكنى﴾ عن التقييد فيقال استوثق منه بالحديد ﴿ويروى﴾ ان الحجاج قال للغضبان بن القبعثرى لاحملنك على الادهم يكنى عن القيد فتغابي عليه وقال مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب قال انه الحديد قال لان يكون حديداً أحب الي من أن يكون بليداً ﴿ويكنى﴾ عن الرشوة بصب الزيت في القنديل ﴿وربما﴾ قيل لذلك القندلة ﴿وكان﴾ يحيي بن خالد ولى ديوان الخراج رجلا من أهل خراسان يقال له أبو صالح فارتشى فعزله وولى مكانه سعدان بن يحيي فقيل فيه

صب في قنديل سعدا   نمع التسليم زيتا
وقناديل بنيه   قبل أن يخفى الكميتا

فعزله يحيي وأعاد أبا صالح فقيل فيه

قنديل سعدان على ضوئه   فرخ لقنديل أبي صالح
تراه في مجلسه أحولا   من لمحه للدرهم اللائح

وفي هذه الكناية أنشدت لابن لنك

أقول لعصبة بالفقه صالت وقالت ماخلا ذا العلم باطل

أجل لاعلم بوصلكم سواه الى مل اليتامى والارامل

أراكم تغلبون الحكم قلبا اذا ماصب زيت في القنادل

وسمعت أبا زكريا يحيى بن اسماعيل الحربي يقول قد كنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن استخراج الخراج والعشر وسائر حقوق بيت المال بقوله وأدروا لقحة المسلمين أراد بلقحهم درة الفيء والخراج التى منها عطاياهم (ومن ذاك) أن سيدنا عثمان بن عفان لما ولي الخلافة عزل عمرا بن العاص عن مصر وكان أميرا عليها من يوم فتحها في خلافة الفاروق الي أن ولى عثمان وولي مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح فارسل الخراج لسنة أربعة عشر ألف ألف دينار وعمرو بن العاص حاضر اذ ذاك عند عثمان وكان عمرو يرسلها ثلاثة عشر ألف ألف دينار فقال عثمان قد درت اللقحة يا عمرو قال نعم ياأمير المؤمنين ولكنكم أعجفتم فصالها

﴿ فصل فى الكناية عما يتطير من لفظه ﴾

يكنى عن اللديغ بالسليم وعن الاعمى بالبصير وعن المهلكة بالمفازة وعن ملك الموت بأبي يحيي وقد ظرف الصاحب فى وصف أخوين مليح وقبيح حيث قال

يحيي حكى المحيا ولكن له أخ حكى وجه أبي يحيي

ويكني عن الحبشى بأبى البيضاء كما قال الشاعر

أبو صالح ضد اسمه وا كتنائه كما قد ترى الزنجي يدعي بعنبر

ويكني أبا البيضاء واللون حالك ولكنهم جاؤا به نتطير *

ولما ورد الخبر على المنصور بخروج محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بالبصرة وهو فى بستان له ببغداد نظر الي شجرة فقال للربيع ما اسم هذه الشجرة فقال طاعه يا أمير المؤمنين وكانت خلافا فتفال المنصور بذلك وعجب من ذكائه (ونظير) هذه الكناية وان كانت في ليست معناها ما يحكي ان رجلا مر في صحن دار الرشيد ومعه حزمة خيزران فقال الرشيد للفضل بن الربيع ما ذاك فقال عروق الرماح يا أمير المؤمنين وكره ان يقول

الخيزران لموافقته اسم والدة الرشيد (فأما) الكناية عما لا ينبغي ان يكنى عنه فهاهنا حكاية فيما ذكر ابن عبدوس في كتاب الوزراء والكتاب انه عرض على المتوكل أسماء جماعة من الكتاب ليقلدوا الاعمال فكان ممن عرض عليه اسم طماس بن اخي ابراهيم بن العباس فضرب عليه وقال لا يولى ولا كرامة فانه يكني من الحجامة ويسمى الشمس العدوة ويكنى عن الحية بالطويلة وعن الجن بعمار الدار

﴿ فصل في الكناية عن مرمة البدن ﴾

سمعت الطبري يقول كنت يوما بين يدي سيف الدولة بحلب فدخل عليه ابن عم له فاستبطأه الامير وقال له اين كنت اليوم وبم اشتغلت فقال ايد الله مولانا حلقت رأسي واصلحت شعري وقلمت اظفاري فقال له لو قلت أخذت من اطرافي كان أوجز وابلغ وأحسن من هذا قول الله تعالى ثم ليقضوا تفثهم قال ابو منصور الازهري في كتاب تهذيب اللغة لم يفسر احد من اللغويين التفث كما فسره النضر بن شميل اذ جعل التفث الشعث وجعل قضاءه اذهابه بدخول الحمام والحلق والاخذ من الشعر ونتف الابط وحلق العانة (ومن لطائف) الاطباء كنايتهم عن الاسهال بالاستفراغ وعن القيء بالتعالج (ووجدت) بخط ابي الحسن السلامي في دفتر من منتخب شعره اتحف به ابا الحسن محمد بن عبد الله الكرخي ابياتا له بديعة في الكناية عن النورة

لما التحى اضحت عمامته السوداء تحكي محضر الحنك
وصار يحتال او يلين يحلق الشعر عن ردفه او الفتك
في كل يوم تراه مـتزرا بالروض بين الحياض والبرك
وما علمنا بـانه قمر حتى اكتسي قطعة من الفلك

﴿ فصل فيما شذ من هذا الباب من كنايات اخبار النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

﴿ يروي ﴾ عن ابي أمامة عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن أحدكم خبثت نفسي وليقل لقست نفسي ﴿ ويروي ﴾ ان بني قريظة وكعب بن أسعد لما عاقدوا النبي صلى الله عليه وسلم على الموادعة قبلها منهم فلما كان

عام الخندق أتاهم جبير بن اخطب وحملهم على نقض العهود فنقضوها وانى الخبر الى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث رجالا ليتعرفوا الخبر وقال لهم ان كان حقا فالحنوا به الي لحنا اعرفه ولا تفتوا فى اعضاد الناس وان كانوا على اوفاه فصرحوا واجهروا به فأتوهم لخرقوا كتابهم الذي عاقدوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع القوم فقالوا عضل اوالقارة يكنون عن أنهم غدروا كما غدرت عضل والقارة وهم بنو الهون بن خزيمة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا فينا رسول الله اسلاما فابعث الينا نفرا من اصحابك يعلموننا فبعث معهم سبعة نفر اميرهم مرثد بن مرثد فلما كانوا ببطن الرجيع وهو ماء لبني هذيل قال العضليون لمرثد اقيموا حتى نرتاد لكم منزلا ومضوا حتى اتوا بنى لحيان فقالوا هؤلاء نفر من أصحاب محمد ندلكم عليهم على ان ما أصبتم من هذا بيننا وبينكم قالوا نعم فاستأسر بعضهم وأبى بعض فقتلوا من لم يستأسر فهذه قصة عضل والقارة وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قعدوا عنده كان على رؤوسهم الطير فانبرى يوما حسان فانشده قول الاعشى

كلا ابويكم كان فرعي دعامة ... ولكنهم زادوا واصبحت ناقصا

تبيتون فى المشتاة ملأى بطونكم ... وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنشد هجاء علقمة فان اباسفيان شعب منى عند هرقل فقرب عليه علقمة فقال حسان يارسول الله من نالتك يده وجب علينا شكره فما سمع في الكناية عن الوقيعة بأحسن من قوله شعب منى ولا فى الكناية عن الانكار والاحتجاج كقوله فقرب عليه ولا فى الاعتذار كقول حسان من نالتك يده وجب علينا شكره

﴿ فصل فى ضد الكناية ﴾

ومعناه تقبيح الحسن كما ان معنى الكناية تحسين القبيح (دخل) بعض الظرفاء كرما فنظر الى الحصرم فقال اللهم سود وجهه واقطع عنقه واسقني من دمه ويقال ان سليمان ابن كثير قاله وقد جرى بين يديه ذكر ابي مسلم الخراساني فنمي الحديث الى ابي مسلم

فعاتبه عليه فانكر ان يكون قاله فيه فقال ابو مسلم اخبرني الثقة عنك بهذا فقال نعم قلته ولكن في كرم كذا لما نظرت الى الحصرم فاسأل الحاكي عن ذلك فان ذكر لك حديث الكرم فصدقني فان ذكر اني قلته في مكان سوى الكرم فالامر على ماظننت وقد نظم بعض هذا النثر من لم يوفه حقه اذ قال

مررت على عنقود كرم معلق يقطر بل يوما وقد كان حصرما
فقلت اراني الله وجهك اسودا وأسقيت ياعنقود من جوفك الدما

(مر ابن مكرم) على أبي العيناء وهو على مصلى له فاراد ان يجلس عليه معه فقال لا تقعد على مصلاي فقال بل هو متمرغ فسقك (ولما ولي) سعيد بن حميد ديوان البريد بالحضرة قال فيه أبو علي البصير

بأبي نفس سعيد انها نفس شريفه
لم يزل يحتال حتى صار غماز الخليفه

﴿ فصل فيما شذ عن الكتاب من كنايات لاهل بغداد ﴾

(يكون) عن اللحية بالمحاسن فيقولون لمن يلحيته قذاة يدك على محاسنك (ويكنون) عن الزنية شتمة بالزاى قال بعض أهل العصر

صديق لنا قد كساه الزما ن ثياب الغنى رافعا شانه
تراه غليظ مزاج الكلام اذا كسر التيه اجفانه
يخاطب بالكاف اخوانه ويشتم بالزاي غلمانه

(ويقولون) فيمن يسخر به وهو لايدري رقص في زورقه (ويدعون) على من يعادونه فيقولون سلط الله عليه مالايجتر يعنون السبع ويكنون عن القواد بالنقيب قال الصاحب

يابن يعقوب يانقيب البدور كن شفيعي إلى فتى مسرور
قل له ان للجمال زكاة فتصدق بها على المهجور

﴿ فصل في فنون من التعريضات ﴾

العرب تستعمل التعريض في كلامها فتبلغ ارادتها بوجه هو ألطف وأحسن من

الكشف والتصريح ·· ويعيبون الرجل اذا كان يكاشف في كل وجه يقولون فلان لايحسن التعريض الا ثلباً (وقد) جعله الله في خطبة النساء جائزاً فقال ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او أكننتم في أنفسكم ولم يجز التصريح ·· والتعريض في الخطبة أن يقول للمرأة والله انك لجميلة وانك لشابة ولعل الله أن يرزقك بعلا صالحاً وان النساء لمن حاجتي واشباهه من الكلام (وروي) بعض أصحاب اللغة ان قوما من الاعراب خرجوا يمتارون فلما صدروا خالف رجل في الليل الى عكم صاحبه وأخذه وجعله في عكمه فلما أراد الرحلة وقاما يتعاكمان رأى عكمه يشول وعكم صاحبه يرجح وينتقل فانشأ يقول

عكم تعشي بعض أعكام القوم لم أر عكما سارقا قبل اليوم

(وعن) سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله عز وجل حكاية عن موسى عليه السلام لاتؤاخذني بما نسيت قال لم ينس ولكنها من معاريض الكلام وأراد ابن عباس انه لم يقل اني نسيت فيكون كاذبا ولكنه قال لا تؤاخذني بما نسيت فأوهمه النسيان تعريضاً (وساير) شريك النميرى عمر بن هبيرة الفزارى على بغلة فجازت برذون عمر فقال له عمر اغضض من لجامها فقال شريك انها مكتوبة أراد عمر قول الشاعر

فغض الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وأراد شريك قول الآخر

لاتأمنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيار

(والتقى) تميمي ونميرى في مجلس وخاضا مع الخائضين فقال التميمي يعجبنى من الجوارح البازى فقال النميري لاسيما اذا كان يصيد القطاة وانما أراد التميمي قول الشاعر

أنا البازى المطل على نمير أتيح من السماء لها انصبابا

وأراد النميرى قول الطرماح

تميم بطرق اللؤم أهدي من القطا ولو سلكت طرق المكارم ضلت

(ودخل) رجل من محارب على عبد الله بن يزيد الهلالى وهو بارمينية فقال عبد

الله ما لقينا البارحة من شيوخ محارب ماتركونا ننام يعني الضفادع ويريد قول الاخطل

تنق بلا شيء شيوخ محارب   وما خلتها كانت تريش ولا تبري

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت   فدل عليها صوتها حية البحر

فقال اصلحك الله انهم اضلوا البارحة برقعا فكانوا في طلبه يريد قول الشاعر

لكل هلالي من اللؤم جنة   ولابن يزيد برقع وجلال

(ومن التعريضات بالفعل) مايروى ان معاوية أرسل الى عمرو بن العاص بكلام فقال الرسول انظر مايرد عليك فلما تكلم عض عمرو ابهامه حتي فرغ الرسول ولم يزده على ذلك فلما رجع الى معاوية أخبره بفعله فقال له معاوية ماأراد قال لاأدرى فقال انما قال أتقرعني وأنا أبوك شكيمة قارح (وكان الفضل) بن الربيع مطعونا عليه في نسبه لان الربيع كان مملوكا ولكنه ينتمي الى يونس بن محمد بن أبي فروة مولى عثمان وذلك ان جارية ليونس ولدت الربيع فانكره يونس فلما ترعرع باعه وتقلبت به أحوال وأملاك حتي اشتراه زياد بن عبدالله الحارثي خال السفاح فلما رأي عقله وأدبه أهداه الى المنصور فلما أعتقه واصطنعه بلغه انه ينتمي الى يونس فأدبه وقال أعتقتك واستنجبتك ثم تدعي ولاء عثمان فلهذه القصة كان جعفر بن يحيي يكنى الفضل بن الربيع أباروح لان القبط به يكنى ٠٠ وأهل المدينة يسمون القبط فرخا وهو عندهم فرخ زنا فيحكى أن الرشيد كان يأكل يوما مع جعفر فوضعت لهما ثلاثة أفراخ فقال الرشيد لجعفر يمازحه قاسمني للستوى في أكلها فقال قسمة عدل أم جور قال قسمة عدل فأخذ جعفر فرخين وترك واحداً فقال له الرشيد أهذا العدل قال نعم مي فرخان ومعك فرخان قال فاين الآخر قال هذا وأومأ الي الفضل بن الربيع وكان واقفاً على رأسه فتبسم الرشيد وقال يافضل لو تمسكت بولائنا لسقط هذا عنك ولم يفهم الفضل ماقالاه الا بعد مدة ٠٠ ويروي أن رجلا من بني فزارة رمى الى رجل من بنى ضبة بخاتم أزرق فشد عليه الضبي سيراً ورده اليه وانما أراد قول الفزاري الشاعر

لقد زرقت عيناك يابن مكعبر   كما كل ضبي من اللؤم أزرق

وعرض الضبي بقول الآخر

لا تأمنن فزاريا خلوت به   على قلوصك واكتبها بأسيار

(وذكر) أبو علي السلامي في كتاب نتف الطرف ان عبد الله بن طاهر ولى بعض بني اعمامه مرو فاشتكاه أهلها فوفد جماعة منهم على عبد الله وشكوه اليه وأكثروا القول فيه فقدر انهم يتزيدون عليه فلم يعزله فلما انصرفوا قال بعض المشايخ بها أنا أكفيكموه وورد على عبدالله فسأله عن حال البلد فاخبر بالهدو والسكون ثم سأله عن خبر واليهم فوصفه بالفضل والادب وما يجمعه الامير من النسب وبالغ في ذكر الجميل ثم قال الا انه ونقر بأصبعه على رأسه نقرة يعني انه خفيف الدماغ فقال عبدالله مالي والولاة والطيش اعزلوه فعزله وانصرف الشيخ الى مرو فاعلمهم انه عزله بنقرة ٠٠ وسمعت أبا نصر سهل بن المرزبان يقول ولد لابن مكرم ابن فجاءه أبو العيناء مهنياً ولما خرج خلف عنده حجراً يعرض بأن الولد للفراش وللعاهر الحجر (وحكي) ابن عبدوس في كتاب الوزراء والكتاب أن سليمان بن وهب كان يتقلد الخراج والضياع بمصر والحسين الخادم المعروف بعرق الموت يتقلد البريد بها فحضر يوما عند الحسين وكان يمازحه كثيراً فاستدعى شربة سكنجبية وجيء بها فلما شربها قال ياغلام ائتني بخلال فعجب من حضر من طلبه الخلال عقب الشراب وانما عرض بالحسين الخادم وأشار الى أن الخدم اذا أسنوا صنعوا الاخلة فقال الحسين ياغلام ائتنا بخلالين ووضع احدى سبابتيه على الاخرى كهيئة الصليب يعرض بسليمان بانه كان نصرانياً وكان يتهم بعمالة النصارى والله سبحانه وتعالى أعلم ٠٠ تم كتاب النهاية في فن الكناية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم